موسوعة التربية والتعليم الإسلامية
قطاع الفقهاء

الفكر التربوي عند
زين الدين بن أحمد

دراسة وتحليل
الدكتور عبد الأمير ز. شمس الدين

الشركة العالمية للكتاب [illegible]
مكتبة المدرسة - دار الكتاب العالمي

الفكر التربوي عند

زين الدين بن أحمد

المقدمة

الحديث عن التربية قديم وحديث في آن : قديم قدم الانسان منذ بدأ يتكيف مع الطبيعة الخارجية ليحافظ على بقائه واستمراره. وحديث هو بفعل ما يستجد من آراء ونظريات ، وما يطرأ من تغييرات على جميع المستويات واختلاف المجالات.

وقطاع التربية اليوم يأخذ من العناية والاهتمام عند المفكرين والقادة اكثر من أي وقت مضى ، على المستويين العالمي والاقليمي. يكفي ان نذكر بالمؤتمرات والندوات واللقاءات التي تمت وتتم برعاية منظمة اليونيسكو الدولية[1] ، أو برعاية المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة على المستوى الاقليمي[2] . يضاف الى ذلك كله ما

---

(١) عقد المؤتمر التاسع عشر في بريوني برعاية منظمة الامم المتحدة للتربية والعلم والثقافة. للاطلاع على ميثاق هذه المنظمة انظر:
مرجع المؤتمر العام للمنظمة ، باريس ، ط ١٩٧٧.

(٢) انبثقت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عن اللجنة الثقافية الدائمة لجامعة الدول العربية. وقد شاركت هذه المنظمة في المؤتمرات العربية التالية :

١ — مؤتمر وزراء التربية العرب : بيروت ، لبنان ، شباط ، ١٩٦٦.

٢ — مؤتمر وزراء التربية والمسؤولين العرب عن التخطيط الاقتصادي : طرابلس ، ليبيا، ٩ ابريل ، ١٩٦٦.

٣ — المؤتمر الاقليمي للمسؤولين عن التخطيط الاقتصادي في الدول العربية : مراكش / المغرب. ١٢ — ٢٠ يناير ، ١٩٧٠.

٤ — مؤتمر وزراء التربية والتعليم العرب : صنعاء ، اليمن ، ٥ ديسمبر ، ١٩٧٢.

٥ — مؤتمر وزراء التربية العرب والمسؤولين عن التخطيط الاقتصادي العرب : ابو ظبي ، الامارات العربية ، ٧ — ١٦ نوفمبر ، ١٩٧٧.

انبثق عن تلك المنظمات من لجان [١] ومكاتب [٢] تغطي اليوم جميع مناطق العالم الثالث ، وفي سائر المجالات التربوية والتعليمية . ذلك ما يشير الى مدى الاهتمام الذي بدأ يحظى به هذا القطاع منذ مطلع النصف الثاني من هذا القرن.

قد يظن البعض ان فلسفة التربية او حتى تاريخ الفكر التربوي العربي موضوع قد اشبع بحثا. والحقيقة ان ذلك المضمار ما يزال بحاجة الى الدرس ، والى التحليل ، والمقارنة. فالتربية ، في التراث ، مرتبطة بأوضاع المجتمع وهمومه. وهي ايضا لا تنفصل عن السياسة ، وعن منهج الجماعة في النظر والتدبّر. وهكذا فسنلاحظ هنا ان التربية العربية كانت باستمرار تعكس اسلوب الحياة العربية ، وطريقة مجابهة الواقع أو طريقة النظر الى الانسان والتاريخ والله ، وامنيات الجماعة والافراد ، ومثلهم الأعلى وفهمهم للكمال.

ومن جهة اخرى ، فان الذين كتبوا اليوم في مضمار التربية العربية القديمة (حتى عصر النهضة) لم يتعمّقوا. وهم لم يهتموا الا ببعض الاعلام مثل : الغزالي ، وابن خلدون ، وغيرهما ...

يعتبر طلس ، وطوطح ، وشلبي ، والاهواني ، وعبد الدائم اشهر المؤلفين في تاريخ التربية العربية . وقد جاء عملي ، في هذه الاطروحة ، منتفعا من ابحاث اولئك الكتاب المحترمين. الا اني تناولت الموضوع من زاوية مختلفة ، ثم بطريقة اشمل . فقد

---

(١) المنظمة العربية للثقافة والعلوم والتربية شكلت لجنةً لوضع استراتيجية لتطوير التربية في البلاد العربية ، نوفمبر ، ١٩٧٦ . انبثقت هذه اللجنة عن المؤتمر الرابع لوزراء التربية العرب المنعقد في صنعاء اول ديسمبر ١٩٧٢ ، برئاسة الدكتور محمد احمد الشريف وعضوية كل من الاساتذة والدكاترة عبد الحميد مهري ، عبد الرزاق قدورة ، عبد العزيز البسام ، محمد الهادي عفيفي ، نجاتي البخاري . وقد تقدمت اللجنة بتقريرها عام ١٩٧٦.

(٢) المكتب الاقليمي للتربية في البلاد العربية ، بيروت ، ١٩٧٢.
المكتب الاقليمي للتربية في آسيا ، بنكوك ، ١٩٦١.
المكتب الاقليمي للتربية في اميركا اللاتينية ، شيلي ، ١٩٦٣.
المكتب الاقليمي للتربية في افريقيا ، افريقيا ، ١٩٧٠.

اعتنيت لا بدراسة التاريخ ، بل بتحليل الفكر التربوي ومقارنته واستخلاص بعض المبادىء التربوية العامة والانسانية . وقدّمت بالتفصيل من المؤلفين التربويين ما لم يقدمه عبد الدائم ، او شلبي او غيرهما ، الا في سطور او حتى دون ادنى تعرض . كما اني شددت لا على التطبيقي والعملي ، بل على طريقة النظر او على الرؤية الفلسفية عند المفكر التربوي ، وعلى المناهج والغايات التي تطلبها التربية من الانسان ، وعلى ما يطلبه المجتمع من اعضائه او نظام الحكم من افراد الشعب .

ماذا وكيف نود ان يكون الطفل ، اي الانسان مستقبلا ، موضوعان كانا محور البحث في اطروحتي . ولعلي نجحت الى حد ما في ذلك المسعى . وهكذا ادرجت النظريات (بل الفلسفة) التربوية تحت الهيكل العام التالي :

١ – الآراء في العلم وماهيته (فضله وشرفه ووظيفته) . وهذا هو ما يسمى اليوم : وظيفة التربية واهدافها .

٢ – الآراء في شروط وآداب المعلم . وهذا هو القطب الأول في العملية التربوية .

٣ – الآراء في شروط (وآداب) المتعلم . وهنا تندرج العمليات التي تنصب على القطب الثاني في مسار التعلم (والتأديب) والتربية .

٤ – الآراء التي تتناول المناهج او الطرائق في التدريس ونقل المعرفة والآداب .

٥ – النظر في تقسيم العلوم ، وفي المواد التي يجب ان تنقل الى المتعلم ، كي يتحول الى فرد فاضل ويكوّن المجتمع الفاضل .

° ° °

قسمت عملي ، وهو موسوعة نصوص مع تقديم لها وتحليلات ، الى حلقات ستصدر قريباً . فمنها :

١ – الفقهاء والمهتمون بالعلوم الدينية اهتماما تاما . وقد أتى الغزالي في قمة هذا القطاع . ثم قدمنا زين الدين بن أحمد ، أشهر كاتب تربوي أتى بعد الامام أبي حامد .

٢ – الفلاسفة : الكندي ، ابن سينا ، اخوان الصفا ، وغيرهم ...

٣ – الكاتبون في مجال الوصايا والمرايا (الآداب) . وهؤلاء كتبوا في النصائح والارشاديات كتابات موجهة الى كل انسان مهما كان موقعه في المجتمع . وهذا القطاع سميناه اثر من سبق : الادبيات او الآدابية (ولعلها تسمية غير محظوظة تماما ، لغويا . لكنها نافعة وتسهّل العمل) .

٤ — بعد ذلك سوف اقدم نصوصاً وتحليلاً عن التربية الرياضية اسمح لنفسي بالقول انه عمل غير مسبوق . ذلك ان مؤرخي الفكر التربوي العربي (شلبي ، الاهواني ، الابراشي ، عبد الدائم ، طلس ..) لم يتطرقوا الى قضية التربية البدنية ، ولا إلى النشاطات الاجتماعية التي كانت تطلب من المتعلم أن يقوم بها المعلم في بيئته من جهة وبتعاون التلاميذ من جهة اخرى .

٥ – وتحوي موسوعتنا حلقة خاصة بالتربية الصوفية . وهنا ايضا اعتبر ان هذا العمل جديد . فالذين بحثوا في التربية العربية الاسلامية لم يدرسوا موضوع التربية عند الصوفيين . وقد لجأنا في دراسة موضوعنا هذا الى امهات كتب التصوف الأولى : الى الكلاباذي ، والقشيري ، والسراج الطوسي ، والسهروردي ، وأبي نعيم الاصفهاني صاحب «حلية الأولياء» ، وأبي طالب المكي في «قوت القلوب» ...

٦ – واخيراً سوف نقدم ، في خاتمة الموسوعة ، محاولة توليفية تركيبية Synthèse للآراء التي التقيناها . وذلك مع تقديم نظرة شاملة على خصائص الفكر التربوي العربي في كبار ممثليه ، وفي مساره التاريخي .

وفي محاولتنا الطموحة حققنا نصوصا جديدة لم تنشر من قبل . واعدنا تحقيق بعض ما سبق نشره مستعملين مخطوطات جديدة . اما في الكتب التي لم نجد لها أكثر من مخطوط والتي هي منشورة قبلا ، فقد أعدنا اظهارها وفق الطرائق الحديثة في تحقيق المخطوطات . وحققنا ايضا نصوصاً تتعلق بالتربية المستمرة ، اي بالتربية ذات المعنى الواسع كما فهمها التراث العربي الاسلامي . وهكذا سوف تظهر حلقة تدرس الجدل والمناظرة . وموضوع الجدل والمناظرة ، او آداب البحث والمناظرة ، غير

مدروس بعد دراسة اكاديمية وكافية. ثم هو من جهة ثانية موضوع شديد الارتباط بالتربية كما عرفها الاقدمون (الغزالي، الطوسي، زين الدين العاملي، الخ...).

نقول الأمر نفسه بصدد حلقة اخرى خاصة بآداب الفتوى. فهذه ايضا مرتبطة بالتربية قديما... لقد أخذنا التربية العربية الاسلامية بمعناها الشامل الذي هو مختلف عن التعليم. فالتعليم هو نقل المعرفة. والتهذيب او التأديب هو نقل الآداب[1]. والآداب هي قواعد السلوك الأمثل لكل شخص، وفي كل عمر، وفي كل قطاع وفي كل مجتمع. والتربية العربية الاسلامية، كما سنرى وكما بدا لنا، واسعة المدى. انها فن، وعلم، ونظر، وتدبر. هي من عمل العقل المتأثر بالواقع، لكن المستقل نسبيا عن الواقع كي يتحرر ويحلل ويركب. وكي يناقش ما هو تطبيقي او ما هو حاصل فعلا في دنيا الواقع والعياني.

ماذا، الآن، عن هذه الحلقة الأولى التي تعود الى التربية عند الفقهاء؟

ان زين الدين العاملي الشامي صاحب فكر تربوي غنيّ. لقد بوَّب ونَسَّقَ، جمع ونظم. وهو ممثل قدير وحكيم للتربوية العربية الاسلامية. ومن قراءتنا لمؤرخي التربية العربية الاسلامية نلاحظ، ببساطة وبسرعة، أنهم لم يدرسوه. وان ذكروه، فَعَرَضاً ودون اطلاع على كتابه.

ومن الجائز لي أن أعيد بعض أحكام لجنة المناقشة، في جامعة القديس يوسف، على زين الدين العاملي وكتابه «منية المريد...» الذي نقدمه في الكتاب الثاني من هذا العمل. لقد قال الاستاذ الرئيس، الأب الدكتور جبر، إن العاملي إمام في التربية وعلم كبير من اعلام التربويات في الاسلام، وان عملاً يقدم لنا زين الدين نافع ومساهمة في خدمة التراث ونشره. ثم قال الاستاذ الدكتور خليل الجر، عميد كلية التربية في الجامعة اللبنانية، إن زين الدين «جبار». وإظهار تراثه محللاً. إضافة جلية الى معلوماتنا التربوية التراثية وبالتالي فان كليات التربية العربية يتوجب عليها منذ

(١) ميزنا بين التربية أو التربويات (بيدغوجيا pédagogie والتهذيب أو التأديب éducation الذي يبدأ في البيت، منذ الولادة وحتى قبل الولادة. وقد استعملنا التعريفات العلمية، لذينك المصطلحين، في القواميس المتخصصة المعاصرة.

اليوم دراسة هذا الامام التربوي ، الذي يستحق التقدير الوافر والاعجاب . ثم أعلن الاستاذ الدكتور أسامة عانوتي تقديره لصاحب «منية المريد» ، وأثنى عليه باعجاب وبتأسف إذ ان التاريخ أهمل عَلَماً أنتجه لبنان . وأخيراً فان الاستاذ الدكتور علي زيعور ، وكان أول المتكلمين في لجنة المناقشة ، يستحق مني الشكر : لقد كان صاحب الفكرة ، وهو الذي كان يشدد على أن زين الدين يمثل تمازج التشيّع بالاعتزال ، وان تشيع زين الدين كان الانفتاح التام على المذاهب الاسلامية كافة إذْ دَرَسَها ودَرَّسَها وأفتى بموجبها ولم تتعارض في عمله التوليفي ، وأن التربية العربية الاسلامية شخصية لها استقلالها وتناسقها التاريخي ووحدتها المنسجمة . وهنا نرد على الدكتور زيعور الذي أخذ على تحليلنا للتربية عند العاملي عدم دراسة العلاقة بين هذا المفكر التربوي وبين كاتب تربوي آخر شهير هو ابن جماعة . فسوف ندرس ذلك في الحلقة القادمة من هذه السلسلة . كما نرفض هنا افتراضات أحد الكتّاب ان ابن جماعة سعى في قتل زين الدين لسبب ان الأول كان حاسداً للعاملي إذ كلاهما وضع كتاباً في أدب المعلم والمتعلم ... وسوف نعود في جميع الأحوال الى تلك الفرضيات .

أرجو أن أكون في تقديمي لكاتب تربوي ، كان مهملاً ، نفعاً لتراثنا في مجال التربويات وأدب المتعلم . ولعل خَيْرَ حُكمٍ على عملي سيكون بعد تقديم الجزء الأخير من «الموسوعة التربوية — نصوص وتحليل» .

ع . ا . شمس الدين

رموز ومصطلحات :

ج : جزء.

د. ت. : دون تاريخ.

ر.ا. : راجع، انظر.

ص. : صفحة.

ط. : طبعة.

قا. : قارن بـ.

م. ع. : المرجع (أو المصدر او الكتاب) عينه.

مج : مجلد.

يصدر تباعاً عن دار الكتاب اللبناني في «**الموسوعة التربوية العربية الاسلامية**» :

١- ابن جماعة : نص وتحليل

٢- الزرنوجي ونصير الدين الطوسي

٣- التربية في التصوف العربي الاسلامي : نصوص وتحليل.

الباب الأول

المذهب التربوي عند زين الدين بن أحمد العاملي
(تحليل "منية المريد في آداب المفيد والمستفيد")

القسم الأول : حياته ومؤلفاته
القسم الثاني : مذهبه التربوي

القسم الأوّل

زين الدّين الجُبعي العامليّ الشّاميّ
حياته ومؤلفاته

١ - نشأته الأولى وأماكن دراسته :

وُلِدَ زين الدين العاملي في ١٣ شوال من سنة ٩١١/ ١٥٠٥ في بلدة جُبَعْ (جباع)[١] . أخذ علومه الأولى عن والده الذي كان أحد كبار علماء «جبل عامل» ، بلاد عاملة ، آنذاك والذي كان ينتمي لأسرة اشتهرت بالعلم والفضل اباً عن جد.

نشأ في بيئة مشبعة بالمعارف وحب النظر ، وكان يشارك في مجالس العلم والفقه منذ بدايات تفتحه . وبعد وفاة والده في سنة ٩٢٥ هـ انتقل الى مَيْس الجبل وهي احدى القرى في المنطقة العاملية . وكانت تلك البلدة مشهورة آنذاك بمدرستها الكبيرة ، وبوفرة من رجال الدين والطلبة . هناك تابع زين الدين دراسته على كبار العلماء ، ثم تركها إلى كَرَك نوح[٢] حيث أقام واستزاد اطلاعاً على المذاهب الفقهية الاسلامية ، وعلى الشعر ، والأدب ، وأُصول الفقه ، والعلوم المعروفة ...

وكان ينشدّ دائماً الى مسقط رأسه . فعاد الى بلدته جُبعَ في سنة ٩٣٤ هـ ليمارس هناك ، وفي المنطقة ، الإرشاد والقضاء . وأصبح بعد فترة وجيزة مقصداً لطلاب الفقه وللباحثين عن التعلم في مجالات الاصول والأدب وعلوم اللغة وغير ذلك...

٢ - رحلاته في طلب العلم :

أ - رحلتاه الى دمشق : سعى زين الدين الى الاستزادة المستمرة . ورأى بأم العين ان المذاهب الاسلامية تتساعد أكثر مما تتباعد . وهكذا فانه راح يفتش عن ينابيع ينهل منها المعارف الفقهية على يد رجال المذاهب الاخرى في دمشق . فرحل الى

---

(١) بلدة تبعد حوالي ٢٥ كلم شرقي صيدا . وتقع على بعد ٢٠ كلم جنوبي جزين . واليها ينسب زين الدين فيقال له : الجبعي .

(٢) قرية من قرى البقاع ، تقع بين زحلة وبعلبك . اشتهرت قديماً بمدرستها التي لم تكن أقل قيمة من مدرسة ميْس الجبل الشهيرة في منطقة «جبل عامل» .

هناك وأقام فيها عاماً كاملاً (٩٣٧ – ٩٣٨ هـ) ، اطلع اثناءه على المعارف السائدة وحتى على كتب طبية ، وبعض الكتب الفلسفية ...

ثم ترك دمشق . ولكنه عاد إليها ثانيةً في أوائل عام ٩٤٢ . وكانت هذه الرحلة أكثر خصوبة اذ تعمق بمختلف المذاهب الفقهية ، والتقى بمعظم رجالات تلك المذاهب ، وتخصص في المذهب الحنفي ونال اجازات ومنها اجازة في رواية «الصحيحَيْن» .

ب – رحلته الى مصر : لم يقتصر بناؤه على المكوّنات والينابيع السابقة . فقد طلب الأكثر والمتنوع . هنا بدأت رحلته الى مصر حيث أقام عاماً ونصف عام ، ما بين ٩٤٣ – ٩٤٤ ، حيث تابع ووَسّع آفاقه ونظراته . وهناك حقق اتصالات على أعلى المستويات من رجالات الثقافة وعلى مختلف انتماءاتها المذهبية والاجتماعية والفكرية . فمن المشايخ المصريين الذين درس عليهم :

– من رجال الشافعية : كثيرون ، ونذكر منهم بشكل خاص الشيخ شهاب الدين أحمد الرملي . قرأ زين الدين على هذا الأمام كثيراً من الكتب المعروفة آنئذٍ وقد أجازه الرملي الشافعي في سنة ٩٤٣ .

– من رجال الحنبلية : تعلم زين الدين على يد الشيخ شهاب الدين بن النجار . وقرأ بعض الشروح ، ودرس على ابن النجار الحنبلي الكثير من الاحاديث النبوية (وخاصة : الصحيحين) . واجاز ابن النجار تلميذه في كل ما يجوز روايته سنة ٩٤٤ .

– ومن فقهاء المالكية الذين درس عليهم نذكر الشيخ زين الدين الجرمي ؛ فعلى هذا قرأ العاملي ألفية ابن مالك. واطلع على تفسير البيضاوي بواسطة فقيه مالكي آخر هو ناصر الدين الملقاني الذي اشتهر آنذاك بفضله وتبحّره في علوم عصره العقلية واللغوية ...

٣- مكوّنات اخرى في ثقافته :

لم تقتصر دراساته واتصالاته في مصر على من ذكرنا. فيذكر تلميذه الوفي ابن العودي ان زين الدين لم يَدَعْ شيخاً مشهوراً أو إماماً ضليعاً في مذهب أو علم او ادب الا وقصده، وارتاد حلقاته. وكل ذلك دون تمييز او تفضيل لأن غايته كانت العلم كهدفٍ في ذاته كما سنرى في تقديمه لكتابه «منية المريد في آداب المفيد والمستفيد».

والخلاصة، إن كاتبنا لم يكتف بالتعمق في مذهبه الاسلامي الإمامي. فقد تضلع في كل المذاهب الفقهية الاسلامية.

ولم يكتَفِ بالوقوف عند المعرفة الفقهية. فقد مَدَّ اهتماماته إلى اصول الفقه، والى الأدب، والعلوم اللغوية، والطبّ، والفلسفة... كل شيء كان يهمّه. ففكره الثاقب لم يكن يشبع. نَهَمُهُ للمعارف لم يوازه سوى انغراسه في حقله حيث أعطى للناس من نفسه، ووقته، ومعارفه. فقد دَلَّ، ووعظ، كما انه كتب، ونسَّقَ...

سَعَةُ معارفه، وكثرة رحلاته، واتصالاته العديدة في دمشق ومصر وبلاد اسلامية اخرى، القسطنطينية، مثلاً، كانت عوامل ايجابية في تكوين توجهاته وانفتاحاته. ومن هنا، من ذلك الانفتاح والتّماس المتنوع، تكوّن مذهبه التربوي حيث تظهر الموسوعية والتنظيم والتعمق...

٤ - عصره، القرن السادس عشر للميلاد :

حفل القرن السادس عشر بحوادث ضخمة خَضَّت المجتمع الاسلامي. فقد انتقل الحكم الى يد الاتراك العثمانيين بعد ١٥١٦ (مرج دابق). وأحكم هؤلاء سيطرتهم على البلاد العربية. وهنا نتوقف. فالموضوع يصبح تاريخياً، وتكفينا الاشارة...

٥ - نشاطاته الاجتهادية والتدريسية :

مارس الاجتهاد، الافتاء الشخصي والنظر العقلي. وهو لم يتجاوز ...

والثلاثين من عمره[1]. وكما اشتهر كفقيه مجتهد، فانه عُرِفَ كمدرِّسٍ بارع، ومستعملٍ للمناهج المعروفة في عصره في شتى المجالات والمذاهب والمدارس الكبرى.

دَرَّس في بعلبك حيث كثر المتحلقون حوله من الاتباع والطلاب. وهناك كان يدرّس المذاهب الفقهية كلها، فيفسرِّ، ويقارن، ويُفتي بها جميعا بحسب الأحوال والظروف[2]. وتلك صفة أساسية في عمله التدريسي. وسوف نجدها في عمله الكتابي وخاصة في مذهبه التربوي الذي سننتقل اليه فيما بعد.

٦- مؤلفاته:

وضع كاتبنا عدداً كبيراً من المؤلفات في ميادين شتى. ونحن نورد أدناه لائحةً بأشهر مؤلفاته أخذناها، دون تعديل كبير، عن محمد الآصفي الذي حقق كتاب «اللمعة الدمشقية» لمؤلِّفها محمد بن جمال الدين مكي (٧٣٤- ٧٨٦) الملقب بالشهيد الأول. فمن كتب زين الدين (الشهيد الثاني) نذكر ما يلي:

١- الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية:

هو شرح مزجي استدلالي مختصر خطا فيه زين الدين خطى محمد بن مكي (الشهيد الأول) في الاختصار والاستيعاب والشمول.

والتزم زين الدين في كتابه هذا اختصار العبارة، وقوتها وسلاستها وحسن التعبير. والإشارة في أكثر الأحيان الى الدليل، وبعض الآراء الفقهية التي لها أهميتها، والرد على بعض آراء الشهيد الأول اذا كان لا يراها صواباً، وإبداء آرائه الشخصية في الموضوع اذا كان له رأي خاص فيه.

احتل هذا الكتاب مكانة مرموقة بين الكتب الفقهية، فأقبل على درسه

(١) استعمل في فتاويه شتى المذاهب الفقهية الاسلامية، ودون أن يتوقف عند مذهبه الاسلامي الامامي. وهو أيضاً دَرَسَ ودَرَّس وفسَّر مذاهب الحنفية والمالكية والشافعية...

(٢) مارس التعليم في المدرسة النورية في بعلبك. بعد أن حصل على موافقة السلطان سليم.

والاعتناء بشأنه العلماء منذ تأليفه ؛ ولم يزل حتى الآن من الكتب الدراسية ذات الشأن في مجالها الخاص.

ويكفي في أهمية هذا الكتاب أنه أكب على شرحه والتعليق عليه جماعة كبيرة من العلماء.وقد ذكر الشيخ آغا بزرك في كتابه (الذريعة) ما يقرب من تسعين حاشية وشرح[1]. ولهذا الكتاب طبعات عدة، احداها مصرية...

٢- رَوض الجنان في شرح إرشاد الأذهان:

وهو شرح مزجي، خرج منه مجلد في الطهارة والصلاة، طُبع سنة ١١٠٧ هـ[2]

٣- مسالك الأفهام في شرح شرائع الاسلام:

وهو شرح مزجي. كان طريقته الاختصار في الشرح في أوائل هذا الكتاب، ثم أخذ في التوسع حتى أصبح كتاباً ضخماً في سبع مجلدات كبار[3].

٤- تمهيد القواعد الأصولية والعربية:

هذا الكتاب ينقسم الى قسمين: القسم الأول فيه مائة قاعدة اصولية وما يتفرع عليها من الأحكام؛ والقسم الثاني مائة قاعدة من القواعد العربية. ويليهما فهرس مبسوط لتسهيل استخراج المطالب من الكتاب. مطبوع[4].

٥- حاشية الإرشاد:

وهذه الحاشية على قطعة من عقود الإرشاد فقط. وهي مشتملة على تحقيقات مهمة[5]

---

(١) انظر الذريعة: ج ٦، ص ٩٠ —٩٨، وج ١٣، ص ٢٩٢ —٢٩٦.

(٢) آغا بزرك، الذريعة، ج ١١، ص ٢٧٥.

(٣) رسالة ابن العودي المخطوطة.

(٤) آغا بزرك، الذريعة: ٤ / ٤٣٤.

(٥) رسالة ابن العودي المخطوطة.

٦- حاشية على الشرائع :

وهي حاشية مختصرة في مجلدين. قال ابن العودي : خرج منها قطعة صالحة.

٧- التنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية :

وهي رسالة صغيرة في أسرار الصلاة. ذكَرَ فيها وظائف كل باب باعتبار ملاحظة القلب للأسرار الباطنية حسب ترتيب الواجبات الظاهرة. لها طبعات عديدة.

٨- منية المريد في آداب المفيد والمستفيد :

يتناول ما يلزم على العالم والمتعلم المواظبة عليه من الأخلاق الفاضلة والخصال الحميدة ، وما يجب على القاضي والمفتي حين القضاء والإفتاء. وقد اختصره فيما بعد في رسالة لطيفة.

٩- مسكن الفؤاد عند فقد الأحبة والأولاد :

رسالة مختصرة يذكر فيها ما يجب على الانسان من الصبر والسلوان عندما يواجه المصائب والشدائد من فقد الأحبة والأقارب والأولاد ، ثم اختصره وسماه بـ «مبرد الأكباد في مختصر مسكن الفؤاد». طبعاته كثيرة.

١٠ - جوابات المسائل :

هو اجابات على كثير من المسائل التي كانت ترد على المؤلف من الأشخاص والبلدان. ونلاحظ في قائمة مؤلفاته ذكر كثير من هذه الجوابات كـ«جواب المسائل الخراسانية» ، و «جواب المباحث النجفية» ، و«جواب المسائل الهندية» ، و«جواب المسائل الشامية» ،و«اجوبة الشيخ زين الدين» ، و«اجوبة الشيخ أحمد» ، و «أجوبة على ثلاث مسائل لبعض الأفاضل»...(١).

---

(١) راجع : الخوانساري. روضات الجنات ص ٢٩٥ ــ٢٩٦.

١١ – شروح الألفية :

«الألفية» كتاب صغير فيه ألف واجب في الصلاة ؛ من مؤلفات محمد بن مكي وقد شرح (الشهيد الثاني) هذا الكتاب ثلاث مرات : فالشرح الكبير اسمه (المقاصد العلية في شرح الألفية) وهو شرح كبير استدلالي كتب الشهيد أيضاً عليه بعض الحواشي فيما بعد ، و(الشرح الوسيط) واقتصر فيه على أهم المسائل ولم يتوسع فيه كثيراً ، و(الشرح الصغير) وهو تعليقات وشروح وحواشي فتوائية كتبه لعمل المقلدين الذين يرجعون اليه في المسائل الشرعية[١] .

١٢ – الفوائد الملية في شرح النفلية :

«النفلية» من مؤلفات (الشهيد الأول) يذكر فيه مستحبات الصلاة . وشرحه (الشهيد الثاني) شرحاً مزجياً مختصراً ، وربما تطرق الى ذكر بعض الأدلة[٢] .

١٣ – كتاب الإجازات :

جمع الشهيد في هذا الكتاب الإجازات الصادرة عن المشائخ . ولا نعلم أن هذا الكتاب يجمع بين دفتيه الإجازات التي صدرت عن مشائخ الشهيد له ، أم مطلق ما صدر من اجازات المشائخ للأشخاص ولو لم تكن له .

١٤ – اجازاته لتلاميذه :

أجاز شيخنا الشهيد لجماعة من تلاميذه إجازات كبيرة ومختصرة عدّ منها آغا بزرك : اجازته للشيخ ظهير الدين الميسي بتاريخ ٩٥٧ ، وللشيخ محيي الدين الميسي العاملي بتاريخ ٩٥٤ ، وللشيخ تاج الدين الجزائري بتاريخ ٩٦٤ ، وللشيخ عز الدين ابن زمعة المدني بتاريخ ٩٤٨ ، وللشيخ حسين بن عبد الصمد والد البهائي بتاريخ ٩٤١ ، وللشيخ سلمان الجبعي العاملي بتاريخ ٩٥٤ ، وللسيد عطاء الله الحسيني

---

(١) آغا بزرك ، الذريعة ، ج ٦ ، ص ٢٣ .

(٢) الخواساري روضات الجنات ، ص ٢٩٥ .

الموسوي بتاريخ ٩٥٠، ولابن الصائغ الحسيني الموسوي بتاريخ ٩٥٨، وللشيخ محمود بن محمد اللاهجي بتاريخ ٩٥٣[١].

١٥ - حقائق الإيمان:

ويسمى في بعض المصادر «تحقيق الإيمان والإسلام» أو «حقيقة الإيمان والاسلام». هو بحوث في معنى الإيمان، والإسلام، وردّ بعض الشبه...

١٦ - حاشية قواعد الأحكام:

حقق فيها المهم من المباحث، ومشى فيها مشي الحاشية المشهورة بالنجارية. برز منها مجلد لطيف الى كتاب التجارة[٢].

١٧ - منظومة في النحو:

شرح هذه المنظومة الشهيد بنفسه بعد إكمال نظمه.

١٨ - الدراية وشرحها:

ألف الشهيد رسالة صغيرة في علم الدراية وسماها «بداية الدراية» ثم شرحها شرحاً مزجياً اشتهر باسم «الدراية» مطبوع مرات كثيرة.

١٩ - البداية في سبيل الهداية:

الظاهر أن هذا الكتاب يبحث عن العقائد، إلا أن بعض المؤلفين ظن أنه بداية الدراية. يقول آغا بزرك: ذكرها الشيخ الحر في أمل الآمل بعد ذكره بداية الدراية؛ فيظهر منه تعددهما، ويعطى اسمه أنه في العقائد[٣].

---

(١) الذريعة، ج ١، ص ١٩٣ — ١٩٤.

(٢) الخوانساري، روضات الجنات، ص ٢٩٤.

(٣) آغا بزرك، الذريعة، ج ٣، ص ٥٨.

٢٠ – جواهر الكلمات في صيغ العقود والإيقاعات :

قال آغا بزرك بعد ذكر هذا الكتاب : قد رأيت في مكتبة السيد محمد علي هبة الدين نسخة صيغ العقود للشهيد أوله : الحمد لله حمداً كثيراً كما هو أهله ، وهي بخط مقصود علي بن شاه محمد الدامغاني في سنة ٩٩٦ ولكن ليس فيه التسمية بـ « جواهر الكلمات » [1] .

٢١ – رسالة في عشرة علوم :

وهي الرسالة التي كتبها في القسطنطينية ، وقدمها الى بعض الأفاضل واستحصل على تصريح في المدرسة النورية ببعلبك .

٢٢ - منسك الحج والعمرة :

للشهيد رسالتان في احكام الحج كبيرة وصغيرة ، بالإضافة الى رسالته في نياتهما .

٢٣ – كتاب الرجال والنسب :

الظاهر أن هذا الكتاب خاص في الرجال . وهو غير كتاب « فوائد خلاصة الرجال » ، أو الذي يُعبَّر عنه في بعض المؤلفات بـ « التعليقات على كتب الرجال » .

٢٤ – كشف الريبة عن احكام الغيبة :

كتاب يتحدث فيه عن الغيبة ، ودلالة الكتاب والسنة على حرمتها ، والأعذار المرخصة فيها ، وكيفية تجنبها ، وغير ذلك ... طبعاته كثيرة .

٢٥ – وجوب صلاة الجمعة :

وجوب وفضائل صلاة الجمعة . وفي هذه المسألة كتب المؤلف رسالة نقل عنها كثير من العلماء في كتبهم الاستدلالية . وهذا بالإضافة الى رسالة له في « أعمال يوم الجمعة » ، ورسالة اخرى في « آداب الجمعة » .

---

(١) المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٢٧٨ .

٢٦ – منار القاصدين في أسرار معالم الدين :

ويبدو من اسم هذا الكتاب أنه يبحث عن أسرار الأحكام الشرعية الموضوعة على المكلفين، والعلل المسببة لوضع الواجبات والمحرمات وغيرهما...

٢٧ – الاقتصاد والإرشاد :

اسمه المشهور هو: «الاقتصاد في معرفة المبدأ والمعاد وأحكام أفعال العباد والإرشاد الى طريق الاجتهاد». مرتب على قسمين: الأول في الأصول العقائدية؛ والثاني في الفروع والواجبات الفقهية. وقد سلك المؤلف فيه سبيل الاختصار[١].

تلك كانت لائحة، عريضة وغير مُفَصَّلَة، بأسماء أشهر مؤلفات زين الدين التي قيل إنها تتجاوز الثمانين...[٢].

---

(١) آغا بزرك، المصدر عينه، ج ٢، ص ٢٦٧.

(٢) را.: محمد الآصفي، في مقدمته لكتاب محمد بن جمال الدين مكي، اللُّمْعَة الدمشقية، ج ١ (جامعة النجف الدينية، ط ١، ١٣٨٦)، ص ١٧٦ — ١٨٣.

القسم الثاني

النسق التربوي عند زين الدين بن أحمد العاملي الشامي

أولاً : في فضل العلم وماهيته .
ثانياً : آداب المعلم والمتعلم .
ثالثاً : الموقف التعليمي وطرائق التعليم (المنهج التربوي) .
رابعاً : أقسام العلوم المطلوب تعلمها باستمرار .
خامساً : التعلم المستمر أو التربية المستديمة .
سادساً : خلاصة ومحاكمة .

بعد أن قدمنا لمحةً عن حياة ومؤلفات زين الدين بْن أحمد[1] ننتقل الآن الى تقديم مذهبه التربوي. وهو مذهبٌ مُمَنْهَجٌ، ومُنَظَّمٌ بتسلسلٍ منطقيٍّ متماسك؛ وقد قسمناه وفق الترتيبات الكبرى التي نلقاها في سائر الكتب التربوية في الفكر العربي الاسلامي.

(١) من ألقابه: **الجُبَعي**: نسبة الى البلدة التي ولد فيها. **العاملي**: نسبة الى المنطقة. **الشامي**: نسبة الى بلاد الشام حيث تقع المنطقة العاملية. **الشهيد الثاني**: تذكيرا بمقتله الذي جرى غدراً وبفعل الدسائس. وسوف نسميه، في هذه الدراسة، بألقابه وباسمه.

أولاً : في فضل العلم وماهيته .

لم يختلف الشهيد الثاني كثيرا أو نوعيا عن غيره من الفقهاء التربويين الذين تناولوا التأديب والتعليم وتركوا لنا أثرا في هذا المجال. يبدأ كتابه — كما جرت العادة — بمقدمة مسهبة يبين فيها فضائل العلم، وشرف تحصيله، ونشره اي التعليم.

لم يختلف عن المفكرين، الذين درسناهم [1] ، في المنهج والهدف من وضع الرسالة. كما انه يتفق معهم على معيقات عملية التعليم : لاحظ الجميع ما هناك من جهود تبذل، ووقت يهدر، دون ان يصل طلاب العلم الى مرادهم، ويقطفوا ثمرة جهودهم. وهكذا فان زين الدين قد وضع كتابه بعد ان رأى الصعوبات وقلة الريع في المهنة. اي ان العاملي الشامي سعى لتسهيل الأمر وتبسيط العوائق على المدرس من ناحية، ولمعالجة المشكلات التي تعترض الطلاب في مهمتهم من ناحية اخرى.

قلنا إن الشهيد الثاني لم يحد عن الهدف الذي عالجه السابقون. وانما سنراه يختلف عنهم في الاسلوب الذي عالج به تلك الناحية. ثم انه انتفع من كل اولئك فأتى عمله متخصصا، جامعا، مؤلفا ومنسقا للكتابات العربية في مجال التعليم

يبدأ كاتبنا، كما هو معهود عند الكاتبين العرب من مضمار التأديب أو «التربية» بالبحث في أهمية العلم وتبيان فضله. وهو يقصد بالعلم — كما رأينا عند اسلافه — العلم الديني أولا واساسا. الا انه لا يتوقف عند العلوم الدينية، اذ سننتقل الى مجالات المعرفة الشائعة في عصره.

---

(١) سوف ننشر تباعاً العمل التربوي لكلٍّ من : القابسي، ابن سحنون، ابن جماعة، الزرنوجي، الطوسي، الغزالي، ابن طفيل...

يرى في العلم هدفا ساميا ، بل والعلم ارفع وانبل غاية يجب على الانسان بلوغها باستمرار اي «من المهد الى اللحد» . هنا يقول الشامي : «كمال الانسان بالعلم الذي يضاهي الانسان به ملائكة السماء ، ويستحق به رفيع الدرجات في العقبى ، وجميع الثناء في الدنيا» [1] . العلم ، اذن ، ضروري في هذه الدنيا ، وضروري ايضا للخلاص أو لاكتساب الآخرة ؛ وبه وبسبب اهميته التي لا تعادل ، فان الشامي يرى في العلم مقياسا به نتعرف على الانسان ، ومعيارا للفضائل وللقيمة في المجتمع . وحيث ان العلم يقوم بتلك الوظائف ، وحيث انه المحك والمعيار ، فان على الانسان واجب تحمل الصعاب بغية التعلم . فلا يحصل اكتسابه دون صبر طويل ، ولا نستطيع بلوغ تلك القمة المعرفية ، والوجودية ، والاخلاقية الا بهمة عالية وقوة جلد .

لا نستطيع القفز فوق الادلة والاستشهادات التي يقدمها زين الدين تزينا وتوضيحا لموقفه الذي يقدس العلم فقد خصص ، فعلا ، مقدمة طويلة (وهو المحدث الفقيه) لتناول فضائل العلم ، مستفيدا من كل ما قيل في هذا المجال الرحب . انه يذكر باسلوب تجميعي ومبوب الكثير مما ورد عن العلم في الحديث والسيرة والروايات حينا ، وبالقياس والاجتهاد حينا آخر . لقد استعمل الشرع والنقل من جهة ، والاجتهاد والعقل من جهة اخرى . فها هي بعض ادلته :

أولا : الاستشهادات النقلية :

١ – من القرآن : يلجأ العاملي الى القرآن والسنة والاحاديث ، وما قاله الائمة الصالحون والسلف من احاديث وتفسيرات ، دون ان ينسى الحكمة القديمة وما تركه المشاهير من آثار وروايات ، لقد استعان بهذه القنوات جميعها بغية اظهار ان للعلم فضلا ليس بعده فضل ، وبه منّة ونعمة لا تفوقها سوى منة الخالق : «فلو كان منّة أو يوجد نعمة بعد نعمة الايجاد هي أعلى من العلم لما خصه الله تعالى بذلك وصدر به نور الهداية» [2]

(١) زين الدين بن احمد العاملي الشامي ، منية المريد ، ص ١١ .

(٢) الرسالة ، ص ٤ .

أ – **في العلم كمال الانسان** : يرى في الانسان كائنا يسعى لتحقيق كماله. وكماله هذا يكون بالعلم المكتسب، الذي يحصل بالبحث عنه أينما وجد ودون توقف. فالعلم يحقق للانسان غايته من الوجود، ويحصل الثناء والتقدير من الدنيا، والثواب والرحمة في الآخرة.

بيد انه لا يلبث ان ينبه الى انه ليس كل علم موجب الزلفى. ثم ان تحصيله لا يكون بمجرد الرغبة في ذلك، أو بدون تعب وكيفما اتفق. لأن من طلب علوما غير مرغوب فيها ولا ثمرة لها أو لا غاية منها معتبرة، فلن تزيده الا بعدا عن الله وعن تحقيق الكمال المنشود. ان من طلب العلم ولم يكن أهلا او لم يعتمد طرقه، فقد اضاع وقته، ولن يقطف ثمرة جهده.

ب – **العلم هو السبب الكلي لخلق هذا العالم** : يكفي العلم شرفا وفخرا عند الشهيد الثاني «انه هو السبب الكلي لخلق هذا العالم العلوي والسفلي طرا» واهميته واردة في القرآن : فهو معلم البشر، وهاديهم الى خالقهم، والى الطريق الذي به خلاصهم، كذلك فان العلم يفسر لنا اسباب خلق الكون. ويتبين شرف العلم عندما نعرف ان الانسان الذي خلق من علقة، وهي اخس الاشياء، اصبح بفضل العلم في اجل المراتب.. «كأنه تعالى يقول : كنت في أول حالك في تلك الدرجة التي هي غاية الخساسة فصرت في آخر حالك في هذه الدرجة التي هي الغاية في الشرف والنفاسة[1]».

ج – **العلم هو الحكمة** : «سمى الله تعالى العلم بالحكمة، وعظّم امر الحكمة». وهذا موجود في الآية : «ومن يؤت الحكمة...»[2]، وفي : «وآتيناه الحكم صبيا...»[3]، فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة...»[4]. وكلها آيات تدمج

(١) الشامي. منية المريد... ص ٥.

(٢) القرآن. البقرة. ٢٦٩

(٣) القرآن. مريم : ١٢

(٤) القرآن. النساء ٥٤

الحكمة بالعلم. وفضّل الله العلماء على سواهم ، لأن بالعلم وحده يقدر للانسان ان يميز الخبيث من الطيب ، والغث من السمين (منية ... ، ص ٥).

د- طلبه واجب على كل انسان : ليس هذا واجبا على كل مسلم ومسلمة فقط . وهنا نجد العاملي ذا افق واسع اذ يجعل العلم واجبا لا على المسلم فقط بل وعلى غير المسلم . كما انه يلجأ لا الى القرآن فقط ، بل والى جميع الكتب السماوية ليؤكد لنا انها تحثّ على العلم وطلبه ونشره (وهذا ما سنذكره بتفصيل أكثر فيما بعد).

وهكذا يستشهد فقيهنا بالنقل والتفسيرات للآيات المحكمة ، جاعلا العلم هدفا بذاته على الانسان ان يسعى اليه ليحقق به شرفه وكماله من ناحية اولى ، ويتبوأ المراتب العليا التي يستحقها داخل المجامع ، وليرفع من شأن الآخرين ايضا من جهة ثانية .

أما عن العلماء (اصحاب العلم ، المتعلمين) فيعدد الشهيد الثاني من النقل كثرة من المناقب التي خصصها الله بهم وهي : الايمان ، والتوحيد ، والخشوع ، والخشية . ويستلهم تلك المناقب من الآيات فيراها مناقب لا ينالها ويتشرف بها الا الذين فضلهم الله على جميع الاصناف ، وبالتالي على جميع الناس.

٢ - من الاحاديث والسيرة : ثم ينتقل الى الفرع الآخر من النقل فلا يدع حديثا أو شيئا من سيرة النبي ذا علاقة بالعلم والعلماء وطلابه ، الا اورده في «منية المريد ...» . حتى انه يكاد ان يكون مرجعا للأحاديث والسير التي تعدد ما للعلم وحامله وطالبه من فضائل . ذلك ابتداء من كون العلم واجبا على كل مسلم ومسلمة ، وانتهاء برواية ذلك الخليع الساخر بالعلم وأهله الذي عوقب بالشلل في قدميه .

٣ - عن الائمة والاولياء : يجمع العاملي ما ذكره أو حدث به الاولياء والائمة من اقوال تمدح العلم والعلماء وطالبيه . فقد استشهد بالكثير منها حثاً على العلم وطلبه ، مبينا فضله في الدنيا والآخرة . فهو مثلا يذكر الحديث النبوي الذي اورده عن علي ابن موسى الرضا عن آبائه عن النبي انه قال : «طلب العلم فريضة على كل مسلم ،

فاطلبوا العلم في مظانه واقتبسوه من اهله. فان تعلمه لله حسنة، وطلبه عبادة، والمذاكرة به تسبيح، والعمل به جهاد. وتعليمه من لا يعلمه صدقة. وبذله لاهله قربة الى الله تعالى. لأنه يعلم الحلال والحرام. ومنار سبيل الجنة، والمؤنس من الوحشة، والصاحب في الغربة والوحدة. والمحدث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء. والسلاح على الاعداء والزين عند الاخلاء. يرفع الله به اقواما فيجعلهم في الخير قادة تقتبس آثارهم ويقتدى بفعالهم وينتهى الى آرائهم، ترغب الملائكة في خلتهم...، وفي صلواتها تبارك عليهم الخ»[1]. فكأن هذا الحديث بنظر العاملي، يلخص ما قيل وما قد يقال في تنظيم العلم ونشره وحمله وطلبه. ولا يكتفي بذلك بل انه يسهب في ذكر الروايات والاحاديث عن الائمة والرواة حتى يكاد يقول لنا: لو تخلى الانسان عن كل شيء في دنياه الا العلم لكان هو الرابح في الدنيا والآخرة.

٤ – شواهد من الحكمة القديمة: لم تقتصر مراجع كاتبنا في تبيان فضائل العلم على النقل مما ورد في الشرع الاسلامي وعن المسلمين فحسب. فهناك ايضا، بنظره شواهد من الحكمة القديمة عن لقمان، وفي الزبور، وفي التوراة، وفي الانجيل؛ وكلها ادلة تشير الى شرف العلم وتجعل منه فضيلة لا ينالها الا الذين اصطفاهم الله من العباد.

ففي التوراة: طلب الله من موسى تنظيم الحكمة. وفي الزبور: قال الله لأحبار بني اسرائيل ان يحادثوا الاتقياء واذا لم يجدوهم فليحادثوا العلماء. وفي الانجيل: «ويل لمن سمع بالعلم ولم يطلبه»[2]...

وبشكل ملحوظ وخاص، فقد جمع كتاب الشهيد الثاني من الاقوال والاحاديث والسير حول فضائل العلم والعلماء وطالبيه ما يجعل «منية المريد»

---

(١) منية المريد... ص ١٠.

(٢) منية... ص ١٩.

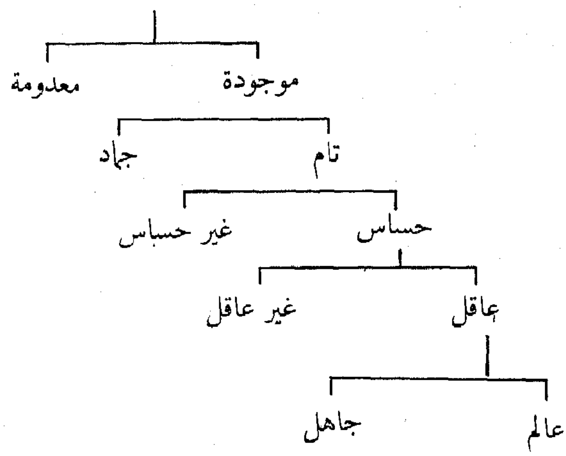
موسوعة ومرجعا لكل ما قيل في هذا المجال. وهذه ميزة للكتاب لا نجدها عند من سبق من المؤلفين في التأديب او الرياضة او التعليم[1].

هذا ما استخلصه الشهيد الثاني من الادلة النقلية بفكر الفقيه المحدث. اما بفكر الفيلسوف فنجد عنده دليلا آخر.

ثانيا: دليل العقل:

نجد زين الدين في هذا الدليل مجددا. فهو وان كان في الادلة السابقة سلفيا مقلدا، وجامعا ناقلا، فانه هنا يضيف الى الادلة التقليدية ادلة من العقل وما يسميه بالدليل العقلي على فضل العلم. مأخوذ هنا من زاويتين:

ــ النقطة الأولى، من حيث المعقولات وشرفها: ويمكن تلخيص هذا الدليل بالرسم التالي:



(١) يكتفي ابن المقفع، أو كتّاب المرايا عموماً، والكندي والفارابي وابن سينا، وآخرون من الكتاب في التربية الصوفية، بايراد بعض الاقوال التي تؤيد فضل التعلم وضرورته. اما زين الدين فانه يكثر، ويقمش ويبوب. وبذلك يبدو كتابه اشبه بالكتاب المتخصص والموسوعي...

والعالِم اشرف المعقولات والموجودات ، واذن ، فواجب على الانسان ان يكون عالما حتى يكون «اشرف المعقولات والموجودات» . وطبيعة الانسان كموجود تجعله عالما. فالعلم والوجود (الكينونة) واحد بالنسبة للانسان.

— الثاني : تقسيم الامور بالنسبة للعقل والشهوة ، اي بالنسبة للروح والبدن ، الى اربعة اصناف :

١ – قسم يرضاه العقل ولا ترضاه الشهوة ، مثل : الامراض والمكاره.

٢ – قسم ترضاه الشهوة ولا يرضاه العقل ، مثل : المعاصي.

٣ – قسم يرضيانه معا ، مثل : العلم ومن ثمة الجنة.

٤ – قسم لا يرضيانه معا ، مثل : الجهل ومن ثمة النار.

أراد الشهيد الثاني ان ينتهي الى تطابق العقل مع النقل في جعل العلم في اعلى المراتب واسمى الغايات التي يسعى اليها الانسان في حياته. وهكذا قال في نهاية الباب : «فاذن قد تطابق العقل والنقل على شرف العلم وارتفاع محله ، وعظم جوهره ، ونفاسة ذاته»[1] . ثم يسأل نفسه ، كما رأينا،اي علم هذا الذي يحقق لصاحبه هذا الشرف الرفيع والمرتبة السامية. فيرد على نفسه بالقول : «لكن ليس جميع العلم يوجب الزلفى ، ولا تحصيله كيفما اتفق يشعر الرضا»[2] . وهو ما سنراه هنا ، في فصل لاحق.

لكن ما هو ، بكلمة ملخصة ، حكمنا على ما كتبه العاملي حول فضائل العلم؟

١ – يكون العلم ، عنده ، حافزا قائما بذاته.

٢ – لم يكتف بالأدلة النقلية ، بل بحث ايضا عن ادلة مستمدة من العقل فوجد ما يؤيد النقلي والشرعي.

---

(١) منية المريد ، ص ٢٤١.

(٢) عينه ، ص ٢.

٣- جمع في هذا الفصل ، ما قيل في فضائل العلم وماهيته . واعتبر العلم محققاً لكمال الانسان، فبه يستحق المرء ان يكون اشرف المخلوقات . فكأن كاتبنا يريد ان يوجد تعريفا للانسان يقول : الانسان هو المخلوق المتعلم.

٤- ليس للعلم ، عنده ، وظيفة دينية فقط كبقية الفقهاء المسلمين (الزرنوجي ، القابسي ،الغزالي ،الخ) . فله ايضا وظيفة دنيوية لان العقل والشهوة (الروح والبدن) ترضيان به . وهو يحقق لصاحبه في الدنيا من الفضائل والتقدير والسعادة ما يحققه في الآخرة من كسب لرضوان الله.

٥- اعطى للعلم فضلا لم يعطه اياه اي فقيه اخر. لقد لاحظنا انه لم يدع دليلا معروفا أو مصدرا يفيد هذا الفصل : إلا اورده . وبذلك جاء عمله موسوعة في الاحاديث والاخبار والتفسيرات الباحثة في فضائل العلم وشرح وظائفه والحث على اكتسابه .

٦- قد لا نتعدى الحقيقة اذا كررنا ان عمل الشامي هو الأغنى من بين جميع من كتب في هذا المجال او بكلمة ادق ، في مجال الكتابة المخصصة للبحث في عملية التأديب .

ثانيًا : آداب المعلم والمتعلّم

هنا ، ايضا ، نجد الشهيد الثاني ، ذلك الفقيه المحدث ، يختلف في منهجيته عن السلف في عرض الآداب والشروط التي يجب ان تتوفر في المعلم والمتعلم على السواء. انه يقسّم ، ويبوّب حتى الاكثار ، او نراه يفضل التنسيق على السرد. وهكذا فانه يلجأ الى تقسيم الآداب (الشروط) الى قسمين :

القسم الأول : آداب وشروط يشترك المعلم والمتعلم بها.

القسم الثاني : آداب وشروط تختص بكل منهما.

ثم ان تلك الآداب والشروط المشتركة بينهما ، وتلك التي ينفرد بها كل منهما ، تقسم الى فقرتين :

الفقرة الأولى : آدابهما في نفسيهما.

الفقرة الثانية : آدابهما في درسهما واشتغالهما.

الفقرة الأولى : الآداب المشتركة بين المعلم والمتعلم

١ – آدابهما في نفسيهما :

تقديرا منه للدوافع الذاتية ، او للمحرك الداخلي في اكتساب السلوك الصالح وتحصيل العلم ، نرى الشهيد الثاني يركّز على المحرك الذاتي للهمم من اجل تحقيق الغايات ، وقطف ثمرة الجهود الرامية الى اصلاح النفس وتطهيرها من الادران. وهذا يستلزم شروطا وآداباً يجب ان تتوفر لقطبي عملية التعلم :

أ— اخلاص النية لله: كعادته ، يستعين الكاتب بالاحاديث والسيرة والتفسيرات ليثبت ان مدار الاعمال يقوم على النيات : بسببها يكون العمل تارة خزفة لا قيمة لها ، وتارة جوهرة لا يعلم قيمتها لعظم قدرها ، وتارة وبالاً على صاحبه[١] .

ويتجلى صفاء النية في ابتغاء وجه الله التزاما بتعاليمه تعالى وبنواهيه واوامره في السر والعلن ، في الظاهر والباطن . فالواجب هو : «تصفية السر عن ملاحظة ما سوى الله». فلا يجيز كاتبنا ان يكون حمل العلم وطلبه طمعا في تحصيل مال ، او اشباع شهوة— وهذا يتصف به عادة المبتدئون— او لأي سبب دنيوي. فتلك الاغراض في طلب العلم تجعل الطالب يصير من الاخسرين ، وتفوته الدار الآخرة ، والثواب الدائم. ويكون من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا[٢] .

ولا شك ان الغاية الدينية التي يتحدث عنها الشهيد الثاني هي الغاية القصوى لطلب العلم وحمله. فاذا كانت النية الصافية ، والاخلاص فيها مطلوبا في الاعمال العادية ، فحري بها ان تكون ايضا في طلب شريف وسام كالعلم. ولا شك في نظره

(١) م. ع. . ص ٢٥.

(٢) م. ع. . ص ٢٥.

ان صفاء النية مطلوب هنا أكثر من أي موقع آخر. لذا نجد الشامي لا يترك حديثا او رواية عن السلف الصالح الا ويوردها مدللا على ما لإخلاص النية لله وحده في طلب العلم وحمله من اهمية وما يترتب عليها من ثواب.

ب ـــ العمل بالعلم: العمل هو المقياس لاختبار حسن النوايا، هكذا يرى العمل بالنسبة للعلم، كالثمرة بالنسبة للشجرة. فكما ان الغرض من الشجرة هو ثمرتها، فلا بد ان يكون الهدف من العلم والغرض منه هو الانتفاع منه بالعمل بموجبه. ان «الغرض الذاتي من العلم مطلقا هو العمل»(١). ان العمل هو المقياس للنية، ولدرجة اخلاصها، بحسب ما يرى الشهيد الثاني.

والعمل الذي يقصده هذا هو العمل بمقتضى ما تعلمه الطالب. ومن يعمل بغير هذا المقتضى يصفه الشهيد الثاني بالمغرور: «اذ قال الله تعالى: افلح من زكّاها(٢)، ولم يقل افلح من تعلم كيفية تزكيتها، ولا يريد ان يعمل، اي يعلم شيئا ولا يعمل به اذ يصبح «كمثل الحمار يحمل اسفارا»(٣).

وامثلة كثيرة غيرها يوردها الشهيد الثاني عن الذين يحملون العلم او يطلبونه لا ليعملوا به وانما ليتفاخروا وغير ذلك من الصفات المرذولة التي ليست من العلم وشرفه بشيء(٤). ويكون العلم متفقا مع العمل عندما يحققان مرضاة الله في الدنيا والاخرة. ومن أجل بلوغ ذلك يجب التجرد عن الشهوات والمغريات، والتخلي عن ميول النفس والجسد. وكما جاء عن السيد المسيح: «تعملون للدنيا وانتم ترزقون فيها بغير عمل، ولا تعملون للآخرة وانتم لا ترزقون فيها الا بالعمل...»(٥).

ومن خلال علاقة العلم بالعمل، او بالعكس، ينتقل بنا الجبعي الى شرط اخر يترتب عليهما ويبين الميل الصوفي عند كاتبنا.

(١) م. ع. ص ٣٧.
(٢) القرآن، ٩١: ٩.
(٣) القرآن. ٦٢: ٥.
(٤) منية المريد... . ص ٣٧ ـــ ٣٩.

(٥) م. ع.، ص ٣١.

ج— درجة الاخلاص: العمل معيار النيات، ويرى الشهيد الثاني ان هناك دوافع ورغبات، منها النفسية ومنها الجسدية، تكون محركة للاعمال سواء عند حامل العلم أو طالبه. والتخلي عن هذه الرغبات ليس بالامر الميسور عند الجميع، وتختلف من فرد الى آخر. وبقدر ما يستطيع هؤلاء تحقيق الترفع والتنزه عن الرغبات النفسية والبدنية يتبوأون الدرجة المناسبة لهم من رضوان الله. فوجد ان منهم من يعلم شيئا ولا يعمل به ابدا، ومنهم من يعمل ببعض ما يعلم، ومنهم من يعمل بما يعلم. ويفصل المؤلف فيورد الكثير من الاسئلة التي ذكرها عن ضروب تفستير العلم والعلماء[1]. ولكن قد يبلغ البعض منهم درجة الاخلاص لله وحده، ولا شيء سواه: «ودرجة الاخلاص هذه عظيمة المقدار، كثيرة الاخطار، دقيقة المعنى، صعبة المرتقى، يحتاج صاحبها الى نظر دقيق، وفكر صحيح، ومجاهدة تامة»[2].

كان مؤلفنا يدرك ما قد يعتري طلاب العلم وحامليه من اهواء، ونزوات على اختلافها مثل: الاخذ بظواهر الشريعة، او عدم تطهير النفس من الرذائل الخلقية «كالكبرياء والرياء وعدم تطهير اللسان وحمايته»، او عدم صون الجوارح او العمل بعلم لا يحتاجه، وغيرها من المزالق التي تبعد العالم وطالب العلم عن الغاية الشريفة للعلم التي يطلب لأجلها اي ما يؤدي الى معرفة سلوك طريق الله، مترقيا من الواجبات الى النوافل ومن ثمة الى التكاليف، حتى يصبح خالصا لك.

ويشبه العاملي طالب علم لا حاجة له، بالبيت الذي يوضع السراج على سطحه، او بالذي يدخل الى قصر ليقوم بمهمة معينة وعندما يدخل يبهره جماله وفخامته ويصرف وقته بتأمله والانشغال عن مهمته الاساسية. وبما ليس له غاية ومصلحة به، او بالمريض الذي يتعلم تركيب الدواء ليعالج به مرضه، ويحمله ليعلم الناس ولا يعالج به مرضه... اولئك الاشخاص يشبهون الشخص الذي يتعلم علما ولا يعمل به ولا ينتفع منه.

---

(١) انظر: منية المريد، ص ٤٠ = ٤٣.

(٢) م. ع.، ص ٣٢.

واذن فالمحاذير كثيرة ، والطريق محفوفة بالمخاطر. وليتحلى المرء بصفة العالم وطالب العلم فان عليه تجاوز تلك المشاق الكثيرة. وهذا ما يتطلب الحذر والتنبه والمكابدة ، والمعاناة للنفس ، وطول الانشغال بامتحانها ومراقبتها. «فليكن العبد شديد التفقد والمراقبة لهذه الدقائق». وهكذا يكون مؤلفنا قد اعطى لسلامة السريرة الاهمية القصوى.

الوظيفة الاجتماعية للمعلم والمتعلم

من خلال استعراضنا للوظائف التي يعطيها الشهيد الثاني لكليهما ، يتبين لنا انه قد اعطى للجانب العملي السلوكي في الحياة حقه ، وحمّل المتعلم والمعلم من التبعية ما يتناسب مع مكانتهما الاجتماعية على اختلاف العصور والمجتمعات. فقد اعطاهما المراتب الأولى في المجتمع ، والمواقع القيادية ، اذ يطلب منهما ان يكونا قدوة للعامة ، ومثالا يحتذى به ويجذب اليه الآخرين. ذلك ان العلم يهدف الى بناء الاخلاق ، وحميد الافعال والتنزه عن مساوئها. «فاذا استعمله على وجهه اوصله الى كل خير يمكن طلبه»[1]. ويتجلى هذا في :

أ ــ التوكل على الله : لا يجوز للمعلم والمتعلم ان يشتغلا بما سوى العلم ، كالبحث عن الرزق وتأمين المعاش ، أو بما يحقق للنفس وللبدن رغباتهما ونزواتهما. فذلك يبعد عن الهدف ويكون المرء قد تخلى عن الخاصية الاساسية للعلم التي هي الاخلاص له والعمل به.

يشدد العاملي على ما يتطلبه العلم من الجهد الطويل ، والسهر والتفرغ ليحقق حامله الهدف منه. بالاضافة لهذا يريد الشامي من حامل العلم وطالبه ان يخلصا ويتفرغا له فكرا ونفسا وبدنا «لما له من شرف وفضل عند الله والعباد» قد يعجز مطلق انسان حيازتها. ولا بد له من التوكل على الله لأنه قادر على ان يكفيه مؤونة عيشه وتذليل الصعوبات والعوائق التي قد تعترض طريقه. «ان الله تعالى قد تكفل

(١) م. ع. ، ص ٤٣.

لطالب العلم برزقه... بمعنى انه غير محتاج الى السعي إلى الرزق ان احسن النية واخلص العزيمة »[1] . ويثبت ذلك بالاحاديث والادلة ، ليبعد المعلم والمتعلم عن كل هم وانشغال بسوى العلم.

ب— التحلي بحسن الخلق : يدعو الى : التواضع ، والرفق ،- وبذل الوسع في تكملة النفس ، والوقار والورع وغيرها من الاخلاق لأنه كان يرى ان عامة الناس هم دون المتلبسين بالمعلم... « فاذا كان نقيا وصالحا ورعا تلبست العامة بالمباحات ، واذا اشتغل بالمباح تلبست العامة بالشبهات... »[2] . العاملي يدعو لأن يكون طلاب العلم وحاملوه في اعلى الدرجات من الاخلاق كي يأتي العامة في المرتبة التي تليها . وبهذا يكون دور المتعلمين والمعلمين ووظيفتهم الاجتماعية قد اديت بما يتناسب مع شرف العلم الذي عرفوه وتلبسوه.

ج— عفة النفس وعلو الهمة : استطرادا في الشروط التي يجب توفرها في المعلم والمتعلم ، ومن باب المحافظة على قيمة العلم التي لا تضاهى ، تبرز بجلاء أكثر الوظيفة الاجتماعية للمتلبسين به من خلال شرط « عفة النفس وعلو الهمة ».فانهم مثال وقدوة في مجتمعهم او في اوساطهم الخاصة منه والعامة . وبالنسبة للخاصة يريدهم كاتبنا منقبضين « عن الملوك واهل الدنيا لا يدخل اليهم طمعا ما وجد الى الفرار سبيلا »[3] . ومن منهم فعل ذلك يعتبره قد خان الامانة وحاد عن التأبه للعلم.

أما عن فعاليتهم واثرهم البعيد الذي يجب ان يضطلعوا به فانه لا يكون بالابتعاد او اعتزال المجتمع والترفع عنه . ويريدهم المؤلف فعالين ، قادة لمجتمعاتهم لما فيه خيرها وصلاحها . وذلك عندما يجعلون علمهم وعملهم في خدمة النوع ، واعلاء كلمة الدين ، وترويج الحق ، وقمع اهل البدع ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر »[4] .

---

(١) منية المريد ، ص ٤٤.

(٢) م. ع. ، ص ٤٦.

(٣) م. ع. ، ص ٤٧.

(٤) منية المريد ، ص ٤٩.

وفي ذلك كله نجد العاملي يدلل ويدعم آراءه بما يروى من احاديث واخبار عن السلف.

د ـ المحافظة على القيام بشعائر الدين: تبرز ضرورة ذلك لأن العلماء هم القدوة، واليهم المرجع وهم حجة الله تعالى على العوام[1]. المعلمون والمتعلمون مدعوون الى الالتزام بشعائر الدين، والقيام بتعاليمه في الباطن والظاهر، في السر والعلن، ابتداء من الواجبات والفرائض وانتهاء بالمستحب والمباح. وعليهم ايضا مجانبة الاكثار من الضحك، والتزام الخوف والحزن، والانكسار والاطراق، وكظم الغيظ، وكف الاذى محافظة على المظهر اللائق بهم ولان ذلك يترك اثرا عند العامة والآخرين. هنا يطلب الكاتب من المتعلم «عدم الاقتصار على الجائز فحسب بل عليه ان يأخذ نفسه باحسنها وأكملها». كان يدرك ما يترتب على زلة العالم من آثار سلبية على العامة، وانعكاسات لا تتناسب مع شرف ما هم فيه، او ما هم في طلبه.

لا شك في ان هذه الصفات والخصال ضرورية للجميع. الا انها اولى بالمتعلم والمعلم لان وظيفتهما الاجتماعية والدينية تفرض عليهما السلوك المثالي ليقوما بدورهما الذي افترضه لهما «الشهيد الثاني» في المجتمع؛ ذلك الدور المثالي والنموذجي. هكذا نرى المؤلف يعطي للمعلم (والمتعلم) دورا فاعلا وايجابيا في مجتمعه ولا يقبل عذرا اذا قصر بهذا الدور. ان المؤلف يشدد على مسؤولية المعلم والمتعلم تجاه نفسهما من ناحية، وتجاه مجتمعهما من ناحية اخرى. هما القدوة او المثال الذي يحتذى، والاداة الفاعلة والمحركة. كان مؤلفنا يدرك ان النفس اذا صلحت صلح ما عداها. وهذا هو دور المعلم والطالب كما كان ولا يزال. فكأن العاملي يذكر هنا بقول احد المربين: «اعطني المعلم الصالح وخذ الانسان الذي تريد».

٢ ـ آدابهما في درسهما واشتغالهما:

تكملة لتلك الشروط والآداب هناك شروط وآداب اخرى تتحكم في عملهما

---

(١) منية المريد. ص ٤٩.

واشتغالها. ان العمل الاساسي هنا هو الدرس والتحصيل. وهكذا ينتقل الشهيد الثاني الى نوع آخر من الشروط (والآداب) نذكر منها المبادىء الآتية:

أ ـ مبدأ استمرار التحصيل والتعلم المستمر: لا بد على كل منهما من أن يبقى مجتهدا في الاشتغال، قراءة ومطالعة ومباحثة ومذاكرة وفكرا وحفظا... حتى تكون ملازمة الاشتغال بالعلم هي مطلوبه ورأس ماله [1]. هذا الشرط الذي يضعه الشامي على رأس الشروط الخاصة بعمل المعلم والمتعلم، نجد فيه دعوة خالصة ومنسجمة تماما مع الوظيفة الاجتماعية لها. اي التفرغ الخالص للتحصيل والاستزادة وعدم صرف الوقت والجهد بامور اخرى. لقد كان يدرك ان العمر قصير والعلم «بحر لا ينضب»، وتحصيله يستلزم الاستزادة المستمرة. والانسان مهما اعطى العلم من الوقت والجهد فلا يمكن ان يصل الى قراره. ومن هنا قيل: «اعط العلم كلك يعطك بعضه»، و«اطلب العلم من المهد الى اللحد».

ب ـ مبدأ تحاشي المماراة والجدل بغير الحق: لا شك ان في عدم تحاشيهما الغرور، وعدم الاخلاص للعلم ووظيفته. والظهور بمظهر المتعلم ابرز الرذائل التي يتعرض للوقوع فيها كل من المعلم والمتعلم. فعكس تلك الصفات المذكورة يجب ان يتحلى بها حامل العلم وطالبه [2]. ولم يخف على الشهيد الثاني ما يكمن وراء الجدل من اجل الظهور، او اظهار الغلبة على الخصم، من سجيات خبيثة وممقوتة، عند الله والناس [3]. واظهر الكاتب ما في المهارة والمجاملة بين المتجادلين من عيوب ونقائص لأن المراء والجدل مقويان للصفات المهلكة. ولا تنفك المماراة عن الايذاء وتهييج الغضب [4].

---

(١) م. ع.. ص ٥١.

(٢) منية المريد... ص ٥١.

(٣) انظر: فصل المناظرة.

(٤) م. ع ص ٥٣.

ج — لا حياء في طلب العلم: وذلك لأن «الحكمة ضالة المؤمن يطلبها انى وجدها». والتعلم يتطلب الاستزادة دوما. فلا شك في ان الاستحياء والتكبر في طلبه يُبعدان عن فضله. لذا وجب على المعلم وطالب العلم «ان لا يستنكفا من التعلم والاستفادة ممن هو دونهما، في منصب او سن او شهرة او دين او في علم آخر»[1]. هنا يذكرنا ببعض الاقوال والامثلة: «من رقّ وجهه رق عمله»، و«لا يتعلم العلم مستح ولا مستكبر» و «ان العلم عليه قفل ومفتاحه المسألة.»

د — الانقياد للحق ولا شيء غير الحق: يقول الشهيد الثاني ان الانقياد للحق هو من اهم الآداب والشروط في عمل المعلم (والمتعلم) «ولو ظهر على يد من هو اصغر منه»[2]. لأن الاصرار على الخطأ (والتعنت) هو عين الخطأ والغرور والتكبر. وهذا ما يمقته الله والعباد. «لا يدخل الجنة مس في قلبه ذرة من كبر». وطالما ان الغاية القصوى للمعلم والمتعلم هي البحث والجد في طلب الحق والحقيقة، فعليهما الانقياد لها والاعتراف بها انى كان مصدرها.

هـ — التفكر والتأمل قبل السؤال او الجواب: وذاك مبدأ نافع «ليأمن صدور هفوة او وهم، او انعكاس فهم»[3]. ويطرح العاملي هذا الشرط من باب التعود على التفكر والتأمل قبل التحدث كي يصبحا «ملكة فيقل خطأه وتنعدم هفواته».

و — التطهر والتزين قبل حضور الدرس: وهذا مبدأ لازم، حتى وان كان هذا الشرط بدون علاقة مباشرة مع العلم وتحصيله. انه مبدأ من باب مراعاة فضل العلم وانسجاما مع سمو شرفه. فعلى العامل به ان يتهيأ له نفسيا وفكريا كما ذكرنا وهذا من باب التهيؤ الجسدي او المظهري ليكون المعلم او الطالب على اهبة واستعداد كاملين: نفسيا، وفكريا، وجسديا.

---

(١) م. ع.، ص ٥٤.

(٢) م. ع.، ص ٥٥.

(٣) م. ع.، ص ٥٥.

الفقرة الثانية: آداب وشروط يختص بها المعلم.

تقديرا منه لدور العلم، وللعمل الجليل الموكل اليه، نجد المؤلف يقول: «اعلم ان التعليم هو الاصل الذي به قوام الدين، وبه يؤمن من انمحاق العلم، فهو من اهم العبادات، وأكبر فروض الكفايات»(١). ما هي الشروط التي يجب ان تتوفر في صاحب هذا الدور الجليل عند زين الدين؟ انها «آدابه في نفسه، وآدابه في طلبته، وآدابه في مجلس درسه».

١ – آداب المعلم في نفسه، خصائص المعلم المثالي:

بالاضافة الى تلك الشروط التي اعتبرها المؤلف مشتركة بين المعلم والمتعلم او الطالب، هناك، شروط اخرى تختص بالمعلم وحده. نذكر منها:

أ ـــ ضرورة ان يكون المعلم مؤهلا ومهيأ مهنيا: لا شك ان «التأهيل المهني» هو من أهم الشروط التي يجب ان تتوفر فيمن ينصب نفسه للتعليم. لكن كاتبنا لا يشير هنا الى درجة التأهيل ونوعيته علميا ودينيا واخلاقيا، وذلك لأنه عالج تلك النقطة في فصل سابق. المهم ان هناك شرطا خاصا بالمعلم هو «الكفاية المهنية». فعلى هذا، ان «لا ينتصب للتدريس حتى يكمل اهليته(٢)، ويظهر استحقاقه لذلك على صفحات وجهه، ونفحات لسانه، ويشهد به صلحاء مشايخه»(٣). وفي الواقع فان التأهيل العلمي والديني للمتنصب لتلك الوظيفة يقعان ضمن التأهيل المهني.

ب ـــ أن لا يبذل العلم في بذله لغير اهله: وذلك من أجل صون العلم والمحافظة على قدره وفضله. فمن الواجب ان يسعى طالبه اليه، وليس العكس. لذا نجد العاملي يقول: «ويذهب الى مكان ينسب الى من يتعلمه منه، وان كان المتعلم كبير

(١) م. ع.، ص ٥٦.

(٢) انظر طريقة تخرج الفقهاء، والاهليات التي كانت تمنح لهم (الفصل الخاص بذلك في: «منية المريد»).

(٣) منية المريد، ص ٥٧.

القدر»[1] الا اذا اقتضت المصلحة عكس ذلك. وبهذا يكون الشهيد الثاني غير موافق على انتقال المعلمين الى القصور ودور الولاة والحكام، كما كان سائدا، لتعليمهم او لتعليم أولادهم.

ج— العمل بالعلم:

وذلك مبدأ يأتي زيادة على ما تقدم من الآداب المشتركة بين المعلم وبين الطالب. ويستند المؤلف في ذلك الى ما جاء في القرآن، والى الاحاديث والمأثورات مثل: «العلم مقرون الى العمل»، «فمن علم عمل»، «ومن عمل علم»، «والعلم يهتف بالعمل، فان اجابه والا ارتحل». والخلاصة ان المعلم اذا لم يعمل بعلمه يفقد دوره وتضعف ثقة الناس به.

د— الزيادة في حسن الخلق: هنا ايضا يعود الكاتب ويؤكد من جديد على التحلي بحسن الخلق ومثاليته عند المعلم. فواجب هذا: الرفق، وبذل الجهد في تكملة النفس والتواضع. وكون العالم في امته منزلته كمنزلة الانبياء. فواجبه ان يعلم انه بذلك قد «علق في عنقه امانة كبيرة وعظيمة، وحمل اعباء من الدين ثقيلة؛ فليجتهد في الدين جهده وليبذل في التعليم جده عسى ان يكون من الفائزين»[2].

وعن التواضع يذكر لنا حديث السيد المسيح الى معشر الحواريين حيث قام بغسل اقدامهم وهو الاحق بهذا، قائلا: «ان احق الناس بالخدمة العالم. انما تواضعت هكذا لكي تتواضعوا بعدي في الناس كتواضعي لكم». وبقوله ايضا: «بالتواضع تعمر الحكمة لا بالتكبر، وكذلك ينبت الزرع في السهل لا في الجبل». فالتحلي بالمثل والقيم الحميدة هو على رأس آداب المعلم وشروطه.

هـ— ان لا يمتنع عن تعليم احد:

حتى وان ساءت نية المتعلم. وهذا امر بديهي الوجود كما يرى الشهيد الثاني عند المبتدئين. فالمعلم هو الذي سيساعد على صقلها. وهكذا فانه يجب ان لا يحرم سيء

(١) م. ع.، ص ٥٧.
(٢) م. ع.، ص ٥٩.

النية من نور العلم وبكرته ومناره. فالامتناع عن تعليمهم يؤدي الى تفويت كثير من العلم، مع انه يرجى ببركة العلم تصحيحها اذا انس بالعلم»[1]. وعلى ما يبدو يظهر ان هناك خلافا حول هذه النقطة بين الفقهاء. فقد كان البعض يرى عدم جواز تعليم سيء النية، مخافة ان يستعمل علمه لخدمة اغراضه الدنيوية وشهواته. اما كاتبنا فاننا نجده يدعم رأيه ويدافع عنه كعادته بالاحاديث والتفسيرات.

و ــ عدم البخل بالعلم على المستحق: وذاك لأن الله اخذ على العلماء العهود والمواثيق كما اخذ على الانبياء في اظهار العلم وان لا يكتموه. ان تعليم الآخرين هو من باب تزكية العلم.

ز ــ مطابقة الاقوال للأفعال: يركز الشهيد الثاني على الافعال ومطابقتها للعلم والاقوال ويحدثنا عن المعلمين والفقهاء الذين يبيحون او يمنعون شيئا على المتعلم او على الآخرين، ولا يتلزمون بما يقولون. وبما ان المعلم قد يتعرض لمثل هذه المواقف لأسباب وعلل قد تكون قاهرة، يطلب فقيهنا منه توضيحها وبيانا للأسباب الموجبة عند القول بشيء وعدم العمل به، او العمل بشيء وعدم اباحته على الآخرين. وهكذا يشبه طالب العلم والمعلم بفص الخاتم والشمع: «فانه لا ينقش في الشمع الا ما هو منقوش في الفص»[2].

ح ــ التجرد والتنزه في اظهار الحق والعمل على اظهاره: كأن المؤلف يرى في العالم او المعلم «زيادة تكليف» عن الآخرين. فعليه تقع مهمة البحث عن الحق واظهاره، والدعوة لاتباعه والتزامه بالطرق التي يراها مناسبة، بالموعظة الحسنة حينا، والهجر حينا آخر؛ وأن شاركه في هذه المهمة غيره من المكلفين. ولكن المعلم او العالم اولى بها لأنه «بمنزلة الرئيس الذي اليه الأمر والنهي، ولقوله اثر في القلوب»[3]. ويتوجب على العلماء والمعلمين ان ينتشروا في البقاع اذ هناك الكثير

---

(١) م. ع. ص ٦٠.

(٢) م. ع. ص ٦١.

(٣) م. ع. ص ٦٢.

من الجاهلين لواجباتهم، ولأمور دينهم. فعليهم تعليمهم وارشادهم. وواجب المعلمين ان يكونوا مثال النزاهة والتجرد عن الطمع بالجهال وبارزاقهم. هنا نلاحظ، باختصار، ان الشهيد الثاني يذكر دائما بما لتصرفات المعلمين والعلماء من انعكاسات سلبية وايجابية على المعلّمين. لذا كان لا بد للمعلم والعالم من التجرد والنزاهة وصفاء النية وصفات وشروط اخرى ذكرناها، في حينه، لينفع بعلمه، وليقوم على الوجه الأكمل بالدور الذي نصب نفسه له، وليقطف ثمرة تعبه وجهده وتعلمه في الدنيا والآخرة. وهكذا يجعل العاملي المعلمين والعلماء في مصاف الانبياء.

* * *

الفقرة الثالثة : آداب وشروط يختص بها المتعلم

عندما تحدث فقيهنا عن طالب العلم وآدابه ، لم يخرج عن الخط الذي درج عليه الفقهاء الذين عزّ عليهم ان يروا كثيرا من طلاب العلم يجهدون ويبذلون التعب ولا يقطفون ثمرة جهدهم . لذا راحوا يصفون الآداب والشروط التي تمهد الطريق وتسهل الاهداف . وهكذا جاءت نظريات كثيرة في التربية لكنها كانت عبارة عن نصائح وارشادات ووصايا لطلاب العلم ،بعد ان يكون هؤلاء قد تجاوزوا سن الطفولة وبلغوا الحلم والادراك .

لم يختلف كاتبنا في نظرته لطالب العلم عن اقرانه . فالمتعلم هو انسان مدرك ، راشدقادر . وباسلوب يخرج فيه عن اسلوب الوعظ والارشاد قدر الامكان يخاطب قلب المتعلم وعقله ، مستشهدا بالادلة النقلية والعقلية . وهكذا اتت قواعد المؤلف وارشاداته كأنها قواعد وقوانين باتباعها تتحقق الغايات وتقطف الثمرات . ومنذ البداية نلاحظ ان المتعلم هنا مدروس من حيث علاقته والتزامه بالمعلم . من هنا كان من الشروط والآداب ما هو مشترك بين القطبين . كما هناك شروط اخرى لكل منهما ؛ لاختلاف في مواقعهما من ناحية ، وفي غاياتهما من ناحية اخرى .

وبعد ان استعرضنا الآداب والشروط التي يفترضها للمعلم ، ننتقل الآن الى الآداب والشروط التي يفترضها في المتعلم . وكما عهدناه منظما ، فانه يقسم تلك الآداب والشروط الى :

١ — آداب وشروط مع نفسه .

٢ – آداب وشروط مع استاذه او شيخه .

٣ – آداب وشروط في درسه .

ونكتفي هنا بالوقوف على آدابه في نفسه ، كما هو الحال في المعلم ناقلين النوعين الآخرين الى منهجيته واسلوبه التربوي والتعليمي لارتباطهما به .

١ – آداب وشروط المتعلم في نفسه :

هنا ، وكما هو الحال عند المعلم ، لا بد من آداب وشروط تكون الاساس لكل طالب علم. وهي عبارة عن منهج على الطالب ان يتبعه «اذا اراد ان يقطف ثمرة جهده ، وينال فضل علمه». فما هي تلك المبادىء او الشروط :

أ— حسن النية وتطهير القلب من الادناس : وذلك «ليصبح صالحا لقبوله واستقراره»[١] . والقلب عنده كالارض القابلة للزرع ، لا بد من تطييبها وتهيئتها قبل الاقدام على زراعتها. ثم ان انشغال طالب العلم بسوى العلم ، يسبب له الذنوب والكدر ، وهذا ما يُبعده عن تحقيق ما هو فيه.

ب— الاوقات المناسبة للتحصيل :

انها ماثلة في «الفراغ والنشاط ، وحالة الشباب ، وقوة البدن»[٢]. فعلى طالب العلم ان يستغل هذه المرحلة من العمر ، والأوقات المناسبة للتحصيل وخاصة قبل «ارتفاع المنزلة» لأنه يرى فيها أكبر صاد عن درك الكمال ، لما تسببه من انشغال وتراكم عوارض تصده عن طلب العلم وتشغله عنه.

ج— التفرغ لطلب العلم وتحصيله قدر الامكان : وذلك بالانقطاع عن العوائق الشاغلة عنه ، وقطع العلائق التي تمنع اكمال طلبه. ويذكر من العوائق والموانع : الانشغال بطلب الرزق ، وعدم القبول باليسير منه ، والاهتمام باللباس. وبالعكس فانه «بضيق العيش ينال المتعلم سعة العلم ، ويجمع شمل القلب عن مفترقات الامال ، لينفجر عنه ينابيع الحكمة والكمال»[٣] . كما يرى في التكبر والغرور مانعا يمنع الطالب من اكمال طلبه.

د— تأخير الزواج : وذلك «حتى يقضي وطره من العلم ، فانه أكثر شاغل واعظم مانع. بل هو المانع جملة ، حتى قال بعضهم : «ذبح العلم في فروج

(١) منية المريد.... ص ٨٧.
(٢) م. ع.. ص ٨٨.
(٣) م. ع.. ص ٨٩.

النساء»[1]. ولسنا بحاجة هنا لنذكر بما يترتب على الزواج من مسؤوليات اسرية، اجتماعية واقتصادية، بما لا يتناسب مع ما يتطلبه العلم، في نظر كاتبنا، من تفرغ وانشغال بما سواه.

هـ— حسن اختيار الصحبة: ويقتصر هذا الاختيار على من يساعد المتعلم في التحصيل، ويعجل في التخرج. والابتعاد عن كل ما يشغله عن مطلبه «وخاصة الجنس وخصوصا لمن قلت فكرته، وكثر تعبه، وبطالته فان الطبع سراق»[2]. ويتوسع كاتبنا في هذه القضية المعروفة جدا من قبله. وهكذا ينصح باختيار من يفيد، والصالح، والديِّن، والذكي، والا «فالوحدة ولا قرين السوء».

و— الحرص على المواظبة في جميع الاوقات: لم يخصص العاملي وقتا معينا انسب من غيره للدرس والمذاكرة. انه لا ينبه الى وقت خاص معين كما فعل بعض الفقهاء في هذا المجال[3]. انما يطلب من المتعلم ان يستغل ما أمكن جميع اوقاته في الدراسة والتحصيل «ليلا ونهارا، سفرا وحضرا، ولا يذهب شيئا من اوقاته بغير العلم الا بقدر الضرورة»[4]. لأن طالبه لا يبلغه الا بالجهد المتواصل والسهر.

ز— علو الهمة: لا يرضى الشهيد الثاني للمتعلم باليسير من التحصيل «مع امكان الكثير». وهذا ممكن اذا استغل جميع اوقاته اثناء فترة التحصيل. ويجب ان لا يدع وقتا يمر دون زيادة فائدة «وان قلّت». والتأخير والتأجيل من آفات العلم. ولذا فقد «يحصل لكل وقت موانع وعوائق وقواطع، فاقطع ما امكنك منها قبل ان تقطعك»[5].

ح— تحصيل الاهم فالاهم من العلوم: هناك اولويات في العلوم لا بد ان يكون تحصيل الطالب منصبا عليها، مثل: الانشغال في النتائج قبل المقدمات،

---

(١) م. ع.، ص ٨٩.
(٢) م. ع.، ص ٩٠.
(٣) الزرنوجي، الطوسي، القابسي، الخ..
(٤) منية المريد. ص ٩٠.
(٥) م. ع.. ص ٩١.

وبالعقليات والسمعيات قبل الاعتقاد. ان في «ذلك ما يحير الذهن ويدهش العقل»[1]. وينصح الطالب بعدم الانتقال من فن الى فن قبل اتقانه، وعدم تغيير الكتاب الا بعد انجازه، اذا لم يكن لذلك موجب. «فهذا علامة الضجر وعدم الفلاح». ولما كان العمر لا يتسع لجميع العلوم، فلا بد من الاخذ بالأولى والاهم، وان ينظر في كل علم من العلوم المحمودة نظرة مجملة فيطلع على مقاصدها وغاياتها بادىء ذي بدء. حتى اذا ساعده الوقت والعمر «فَلْيتبحَّر به»[2].

تبقى شروط اخرى كآدابه مع شيخه، وآدابه في درسه. هنا، في آدابه مع شيخه، نجد ما لا يقل عن اربعين شرطا ونصيحة منها الاخلاقي والتربوي، والمسلكي والعملي، والدراسي، والتحصيلي. وتندرج جميعها تحت حكم الطالب المحتاج لأستاذه، والمريض المحتاج لطبيبه، والولد المحتاج لوالده.

وعن آداب الدرس وشروطه، يضع العاملي قائمة طويلة[3] من الشروط والنصائح. منها ما يتعلق بآداب المذاكرة وشروطها، ومنها ما يتعلق بآداب التعامل مع الاستاذ، واخرى مع الزملاء في مجلس الدرس. ومعظم تلك الآداب والشروط استنبطها الشهيد الثاني من قصة موسى والخضر الواردة في القرآن[4]. لقد طلب موسى من الخضر ان يتبعه، على ان يعلمه رشداً. تقول الآية: «... هَلْ أَتَّبِعُكَ على أن تُعَلِّمَنِ مِمّا عُلِّمْتَ رُشْداً... ستَجِدُني إن شاءَ اللهُ صابِراً ولا أَعْصي لَكَ أَمْراً[5]». يجد مؤلفنا في موقف موسى من الخضر افضل ما يعبر عن العلاقات والمواقف التي يجب ان تكون بين المعلم والتلميذ، وحتى وان كان التلميذ بمستوى رفيع.

---

(١) م. ع.، ص ٩١.
(٢) قال: ابن خلدون. الزرنوجي، الطوسي.
(٣) م. ع.، ص ٩٣ —١٢٦.
(٤) القرآن. سورة الكهف. الايات ٦٠-٨٢.
(٥) القرآن، سورة الكهف،٦٦،٦٩.

ثالثاً : الموقف التعليمي وطرائق التعليم (المنهج التربوي) .

رأيناه يحضّر نفسيا وفكريا قطبي العملية التعليمية المعلم والتلميذ ، ويوضح كيف يجعلهما صالحين ومهيأين لمباشرة العملية اذ انه حدد لكل منهما شروطه وآدابه ووظيفته . ولا شك في ان تلك الآداب والشروط والوظائف كانت محصلة المعطيات الدينية والاجتماعية لعصره ، بالاضافة الى خبراته الخاصة من خلال تعلمه وتعليمه [1] . والآن ، وقبل الشروع بالتحدث عن منهجه ، لا بد من وقفة على عامل متمم وشديد الاهمية في الموقف التعليمي ، لم يهمله كاتبنا بل اعطاه حقه من الاهمية والغاية : هو :

(١) رأينا سابقاً رحلاته الكثيرة الى دمشق ومصر طلبا للعلم من مظانه. ورأيناه يُدَرِّس المذاهب الفقهية الخمسة ، ويمنح الاجازات ، ويدير حلقات عديدة للطلبة. ولم يكن متعصباً ضد مذهب اسلامي.

الفقرة الأولى: الحال التعليمي او الجو المدرسي المدرسي.

الجو المدرسي هو العامل الذي اعتبره الباحثون المحدثون في امور التربية والتعليم متمما ومكملا للعملية التربوية، اي أنه عامل اساسي يضاف الى المعلم والمتعلم. وكان فقيهنا مدركا ما للمؤثرات الخارجية من اثر سلبي او ايجابي، على العملية. لذا نجده يخص الجو العام في التدريس، بقدر ما يخص المعلم والتلميذ بالنصائح والارشادات. فمن الامور التي تتعلق بالموقف التعليمي التي اشار اليها:

١ - النواحي المادية الجسدية:

أـــ المظهر الخارجي للمعلم والطالب: الى جانب التهيئة النفسية والمهنية عند المعلم، عليه أن يهتم ايضا بمظهر يضفي عليه هيبة ووقارا. وهكذا فان المؤلف يوصيه بأن: «لا يخرج الى الدرس الا كامل الاهبة، وما يوجب له الوقار والهيبة، في اللباس والهيئة والنظافة في الثوب والبدن»[1]. وذلك ليقيم المعلم تناسبا بين الداخل والخارج، وانسجاما ما بين المظهر والباطن؛ ولكي يكون موضع ثقة واحترام من طلابه فيقبلون عليه.

ب ـــ حركات المعلم، اشاراته، صوته:

كما يعطي مؤلفنا قيمة للحركات والاشارات التي تصدر عن المعلم اثناء الدرس وفي سيره، وفي جلوسه، في تجوال نظره، في موقعه بالنسبة للطالب. لا شك ان هذه وغيرها تترك انعكاسا لدى الطالب واثرا.وليكون هذا الانعكاس أو الاثر ايجابيا فان كاتبنا يوصي المعلم بان يجلس بسكينة ووقار وخشوع واطراق، ويتخلى عن كل ما يقلل الهيبة ويزيل الوقار ويزيل الحشمة، ويذهب العزة من النفوس مثل: «العبث، وتشبيك اليدين، وتفريق النظر بلا حاجة، والمزاح...»[2] ويجب

(١) م. ع.، ص ٧٥.

(٢) م. ع.، ص ٧٦.

التنبه ايضا الى الصوت الصادر عن المعلم الذي عليه «ان لا يرفع صوته زيادة عن الحاجة ، ولا يخفضه خفضا يمنع بعضهم من كمال فهمه»[1] .

ج ـ النظام والهدوء داخل الفصل واثناء الدرس : وذلك حرصا على هيبة الموقف التعليمي . ومن باب الحفاظ على فائدة المتعلم فعلى المعلم ان «يصون مجلسه من اللغط وسوء الادب»[2] .

د ـ المناخ داخل الفصل : والنواحي الفيزيقية هي ايضا مهمة . فقد انتبه لها كاتبنا ، وادرك ما للحر او للبرد وغيرهما من تأثيرات سلبية تعوق تحصيل الطالب واستيعابه . لذا نجده يوصي المعلم ايضا «بان لا يكون في مجلسه ما يؤذي الحاضرين من دخان وغبار او شمس موجب للحر مما يمنع من تأدية الطلب»[3] .

هـ ـ الاشارة الى ابتداء وانتهاء الدرس : من اجل جذب انتباه الطلاب بعد التشتت ، اشار الشهيد الثاني على المعلم بان يبدأ درسه بما يشير الى ابتدائه (كالدعاء) او بذكر شيء من الرقائق والحكم والمواعظ ، وان يفعل الامر نفسه ايضا عند انتهائه من الدرس ليفترقوا على شيء من الخشوع والخضوع والاخلاص»[4] . كما على المعلم ان يكون آخر الخارجين من الفصل» لما لذلك من فوائد وآداب له ولهم . اذا اعتبرنا هذه الامور تتعلق بالنواحي الفيزيقية للموقف التعليمي او للجو «الصفي» فان هناك ايضا نواحي نفسية ووجدانية للطالب والمعلم تجب مراعاتها واخذها بالاعتبار .

٢ ـ النواحي النفسية والوجدانية للمعلم :

التفت العاملي ايضا الى النواحي النفسية والوجدانية للطالب والمعلم ، فاهتم بأثر ذلك في الموقف التعليمي . ومن هذه النواحي :

---

(١) م . ع . ص ٨٠ .
(٢) م . ع . ص ٨١ .
(٣) م . ع . ص ٨١ .
(٤) م . ع . ص ٨٥ .

أ ـ توفر النية : على المعلم ان يهيء نفسه للبذل والعطاء عند خروجه في الصباح الى الدرس وقبل الشروع به . «حين خروجه من منزله ، بل قبل شروعه في الدرس ان ينوي تعليم العلم ونشره وبث الفوائد»[1] . وهذه من باب وضع المعلم والطالب على السواء في الموضع الملائم لتلقي العلم او بذله .

ب ـ تكريم الطلاب والبشاشة لهم : مما لا شك فيه ان استقبال المعلم لطلابه في الصباح بالبشاشة والغبطة يساعد على انجذابهم وتجاوبهم معه . ففي ذلك تهيئة ضرورية للتقبل والاستيعاب . لذا نرى المؤلف يشير على المعلم «بتكريم الطلاب بحسن السلام وطلاقة الوجه والبشاشة والابتسام»[2] . وهناك آداب خاصة بالطالب كالجلوس المتأدب ، والاحترام المبالغ به للمدرس ، وعدم اصدار ما يسيء ويشوش على الاستاذ والطلاب . هذه وغيرها من القواعد والنصائح ، امور اعطاها فقيهنا العناية في رسالته ، واعتبرها من اساليب العملية التعليمية .

ج ـ الراحة الجسدية والنفسية للمدرس : تلك الراحة ضرورية للتدريس فاشتغال المعلم بالدرس ، وفي نفسه ما يشغله ، عائق من المعيقات التي انتبه فقيهنا اليها . وهكذا من واجب المعلم «ان لا يشتغل بالدرس وبه ما يزعجه ويشوش فكره ، من مرض او جوع او عطش او غم او غضب او قلق»[3] وغيرها من الحالات النفسية او الجسدية التي قد يتعرض لها المعلم . فهو يريد المعلم كامل الاهبة والاستعداد فكرا وجسدا ونفسا للدرس ، وخالصا كله للطلاب .

د ـ مراعاة مصلحة الطلاب وظروفهم الخاصة والعامة : على المعلم ايضا ان يراعي ظروف الطلاب واحوالهم ومقدراتهم . فعليه ان لا يطيل الشرح مثلا لدرجة يصعب على الطالب فهمه من ناحية ، ويسبب الملل من ناحية اخرى . يجب «مراعاة مصلحة الطلاب في الفائدة والتطويل او الايجاز» . كما ان الاختصار في الشرح يعوق الفهم احيانا كثيرة عند المتعلم . ويجب الانتباه الى اختيار اوقات الدرس المناسبة

(١) م . ع . ، ص

(٢) م . ع . ، ص ٧٨ .

(٣) م . ع . ، ص ٨٠ .

للطالب. فظروف البيئة او المجتمع المناخية والفيزيقية قد تسمح لهم بأوقات للتعلم ولا تسمح بأخرى.

فعلى المعلم ضرورة «مراعاة مصلحة الجماعة في تقديم وقت الحضور وتأخيره»[1].

هـ ـ تفقد الطالب عند غيابه، ومناداة الطالب باسمه:

احترام الطالب مبدأ ملحوظ في هذه النظرية التربوية التي تطلب من المعلم الرفق بالطلاب، والسماع الى كل ما يسألونه، ومساعدة السائل في التعبير السليم عن مواده، ومناداة الطلاب باسمائهم وكناهم، وتفقدهم اذا غاب احدهم...

٣ ـ العلاقة بين المعلم والتلميذ:

من خلال الادوار التي يعطيها الشهيد الثاني للطالب والمعلم يمكن ان تتضح طبيعة العلاقة بينهما:

أ ـ للمعلم دور تأديبي تربوي، ودور تعليمي له دور تحصيلي، وآخر توجيهي ارشادي. بالاضافة لكونه طبيبا وقدوة.

ب ـ يقابله موقع يفترضه للطالب، وهو:

١ ـ التعامل مع المعلم على انه الاب الحقيقي والوالد الروحاني.

٢ ـ انه مريض النفس يطلب العلاج من طبيب هو المعلم.

٣ ـ انه ناقص يبحث عن الكمال.

هنا يذكرنا زين الدين بقول الاسكندر عندما سئل عن سبب توقير معلمه أكثر من والده فيجيب: «والدي سبب لحياتي الفانية، ومعلمي سبب لحياتي الباقية. وهكذا فان الوالد الروحاني هو اعظم من الوالد الجسماني»[2] لأن الوالد قصد لذة

(١) م. ع.، ص ٨٠.

(٢) م. ع.، ص ٩٠.

نفسه ومن ثمة جاءه الولد. والقصد المقرون بالفعل اولى من القصد الخالي عنه.هذا بالنسبة للأب. واما بالنسبة للمعلم فقد قصد «تكميل وجوده وسببه، وبذل فيه جهوده. ولا شرف لأصل الوجود الا بالاضافة الى العلوم فانه حاصل — اي الوجود — ايضا للديدان والخنافس، وانما الشرف في كماله وسببه المعلم» [1]. لذلك يجب اختيار من يصلح للتعلم اي من «كملت اهليته وظهرت ديانته، وتحققت مروءته... وان لا يغتر بمن زاد علمه مع نقص في ورعه، او دينه أو خلقه» [2]. وتأكيدا لوظيفة المعلم ازاء الطالب، نرى كاتبنا يذكر ويعدد من الشروط والأوصاف للمعلم ما يزيد عن اربعين شرطا [3].

ولا شك ان هناك ما يقابل هذه الشروط عند الطالب لكونه ناقصا يبحث عن كماله، ومريضا يطلب الشفاء عند المعلم، فلا بد ان تقوم علاقته به بما يتناسب مع اهمية مطلبه وشرف حاجته. ونراه يشترط ايضا في طالب العلم شروطا وآدابا كثيرة سواء في نفسه او في درسه او مع استاذه تتناسب مع هدفه في التعلم. وباختصار يجب ان يتذكر الطالب دائما انه كالمريض عند الطبيب، وان يتذكر المعلم انه أمام مريض وان واجبه البذل بسخاء وعطف. وليتذكر دائما «انه مربيه، وله في تعليمه وتخريجه في الآخرة الثواب الجزيل، وفي الدنيا الدعاء المستمر والثناء الجزيل» [4] وإنها علاقة مثمرة بين قطبي العملية التربوية.

---

(١) م. ع.، ص ٩٨.
(٢) انظر في آداب وشروط تخص المعلم (الفقرة السابقة).
(٣) منية المريد، ص ١١٤.
(٤) م. ع.، ص ٧١.

الفقرة الثانية : طرائق التعليم

كان الهدف عند زين الدين من وضع كتابه التربوي «منية المريد...» ، كما هو عند غيره من الفقهاء الآخرين ، ازالة ما شاهده عند بعض طلاب العلم من تقصير ومن جهود تبذل دون تحقيق للغايات. فالعلم او التعلم صعب. ذلك «ان لتحصيله شرائط ، ولترتيبه ضوابط ، وللمتلبس به آداباً ووظائف ، ولطلبه أوضاعاً ومعارف». وهكذا فان «الكثير من بغاة هذا العلم ذابوا في تحصيله واجتهدوا في طلبه ونيله ، ثم بعضهم لم يجد لذلك الطلب ثمرة ، ولا حصل منه على غاية معتبرة. وبعضهم حصل منه شيئا في مدة مديدة طويلة ، كان يمكنه تحصيل أضعافه في برهة يسيرة قليلة. كما ان بعضهم لم يزده العلم الا بعدا عن الله ، وقسوة ، وقلبا مظلما... وما كان السبب في ذلك وغيره من القواطع الصادة لهم عن بلوغ الكمال الا اخلالهم بمراعاة الامور المعتبرة فيه. من الآداب والشرائط وغيرها من الاحوال»[1] .

يقسم المعلم الطلاب الى فئتين : من ابتدأ بتحصيل العلم في اول عمره. وهنا تكون متوفرة قابلية الترقي في العلوم والتفقه بالدين بطريقة الاستدلال والبراهين. اما الفئة الثانية فهي خاصة بالقاصرين عن ادراك ذلك المقام الرفيع ، والممنوعين عن الوصول الى ذلك المرام[2] . وهناك الى جانب هذا التقسيم للطلاب تقسيم اخر خاص بالعلوم : ليس كل العلوم ضرورية ، وتختلف اهمية العلوم باختلاف غاياتها. واذن فلكل متعلم ما يناسبه من العلم كما ونوعا. ولكل علم غرضه. وبالتالي فان الطرائق تختلف باختلاف فئة الطلاب. وفئة العلوم ، وفئة التعليم : مستمر ام غير مستمر ، مقتصر على الضروري ام غير متوقف ولا ينتهي. فللنظر باختصار في الطرائق التعليمية التي يشير اليها ابن احمد العاملي :

(١) م. ع. ، ص ٣.

(٢) م. ع. ، ص ١٩٢ — ١٩٥.

١ – اختيار العلم الأولى ، والتعليم الانفع :

يقدم الشهيد الثاني العيني من العلوم على فرض الكفاية [1] . فالعلوم العينية اولى بالتحصيل والبذل من علوم الكفاية ، خاصة وان العمر لا يتسع لجميع العلوم كما ذكرنا ، وان ليس عند الجميع المقدرة والقابلية او الظروف الملائمة للاستيعاب واستمرارية التحصيل. هنا يرى فقيهنا ان على الطالب أن يأخذ في ترتيب التعلم بما هو الأولى ، ويبدأ فيه بالاهم » [2] . فلا يشتغل مثلا في النتائج قبل المقدمات او في اختلاف العلماء في العقليات والسمعيات قبل اتقان المعتقدات لأن في ذلك ما يحير الذهن ، ويدهش العقل.

٢ – عدم الانتقال من علم الى آخر قبل الوقت المناسب :

ان انتقال المتعلم من علم ومن فن دون موجب ، وقبل اتقان ذلك العلم او الفن هو «من علامات الضجر وعدم الفلاح». ثم ان الأولى بالطالب هو «ان يبدأ بالعلوم التي لا بد منها لتزكية النفس كالاخلاق الفاضلة والاعمال الصالحة. واشرف العلوم وهو العلم النافع في الآخرة... [3] . اما اذا اعطي الطالب من العمر فسحة ، وتوفرت عنده العزيمة ، وتحققت اهليته وتأكدت معرفته لما ذكر «فالأولى له ان لا يدع فنا من العلوم المحمودة ، ونوعا من انواعها ، الا وينظر فيه نظرا يطلع به على مقاصده وغاياته. والا اشتغل بالاهم فالاهم ، فان العلوم متقاربة وبعضها مرتبط ببعض» [4] .

٣ – الانتقال من السهل الى الصعب (ومن البسيط الى المعقد) :

من الامور المسلم بها عند فقيهنا ، التدرج مع الطالب والترقي معه بما يتناسب وقابلية ذهنه ، وما يستوعبه فكره. نراه يشير مثلا بتعليم العلوم العربية بعد تعليم

(١) جميع مفكرينا قدموا ما هو فرض عين من العلوم على ما هو كفاية ، ولكن الخلاف كان على تحديد العلوم التي هي فرض عين أو كفاية.
(٢) م. ع. ، ص ٩١.
(٣) م. ع. ، ص ٩٢.
(٤) م. ع. ، ص ٩٢.

القرآن. «لأنها أول آلات الفهم، واعظم اسباب العلم الشرعي». والعلوم العربية ذاتها تتفرع الى اصول وفروع. وتعلم الاسهل يليه تعلم الاصعب. فعلى المتعلم مثلا ان «يقرأ أولا علم التصريف، ويتدرج في كتبه من الاسهل الى الصعب، ومن الاصغر الى الأكبر، حتى يتقنه ويحيط به»[1]. وكما ان العلوم تختلف في درجة تعقيدها وصعوبتها فهي ايضا تختلف في درجة تفرعاتها. ولذا ينبه الطالب الى ان «يقتصر من المطالعة على ما يحتمله فهمه، وينساق اليه ذهنه، وليحذر من الاشتغال بما يبدد الفكر، ويحير الذهن من الكتب الكثيرة وأن يتفادى ما يضيع زمانه ويفرق ذهنه[2]». فمثلاً لا يصح للطالب العمل بالعقليات ونحوها قبل ان يصح فهمه، ويستقر رأيه على الحق، ويحسن ذهنه في فهم الجواب. كما لا يسمح للطالب ايضاً بالدخول في دروس ومواضيع لم يستطع ضبطها ولم يتهيأ ذهنه لاستيعابها. فيجب ان يكون ابتداء بصغار العلم قبل كباره...

٤ ـــ اعطاء الطالب ما يناسب ذهنه من التحصيل (الفروق):

وهكذا يدرك كاتبنا تمام الادراك ان طلاب العلم ليسوا متساوين في القدرة على الفهم والاستيعاب. فمنهم من يستطيع ان يفهم للمرة الاولى، ومنهم من يحتاج الى الشرح، ومنهم من يحتاج الى تكرار واعادة. وعلى المعلم ان يراعي هذه الفروق ويتعامل مع كل فئة بما يناسبها، سيما وهو الحريص على تعليمهم وتفهيمهم. فعلى المعلم ان «يفهم كل واحد منهم بحسب فهمه وحفظه، ولا يعطيه ما لا يحتمله ذهنه ولا يبسط الكلام بسطاً لا يضبطه حفظه، ولا يقصر عما يحتمله بدون مشقة، ويخاطب كل واحد منهم على قدر درجته وبحسب فهمه[3]».

ومن باب تجنب وقوع الاذى للطالب بسبب خطأ قد يرتكبه المعلم لعدم تقدير منه لقابلية ومقدرة التحصيل عند الطالب، فلا يسمح للمعلم ان يشير الى قراءة كتاب

(١) م. ع.، ص ١٩٢.
(٢) م. ع.، ص ١١٥.
(٣) م. ع.، ص ٦٨.

الا بعد ان «يختبره ويجرب ذهنه ويعلم حاله». ويكون ذلك بأن يبدأ معه بقراءة كتاب سهل من الفن المرغوب، فان رأى فهمه جيداً وذهنه قابلاً عليه نقله الى كتاب يليق بذهنه، والا تركه: «لأن في نقل الطالب ما يدل على جودة ذهنه وكماله مما يزيد انبساطه وتوفر نشاطه، وعلى قصوره بخلاف ذلك [1]».

٥ ــ اعطاء الطالب ما يناسب طباعه وميوله من العلوم:

يحسن بنا ان نذكر بان المؤلف قسم طلاب العلم الى فئتين: المبتدئين بالعلم في مطلع العمر او في شبابهم. والقسم الثاني هم الذين فاتهم العلم في المرحلة المناسبة ولكن عندهم الرغبة في تحصيله. وقد اختار الكاتب لكل فئة من هاتين الفئتين ما يناسبها من العلوم. وهكذا نراه يتدرج مع الفئة الاولى التي افترض عندها الاستعداد والقابلية لكافة العلوم مبتدئاً بها بتعلم القرآن الكريم ومنتهياً معها بالعلوم العقلية والتفقه بالدين عن طريق الاستدلال والبراهين. كما اختار للفئة الثانية اليسير من العلم، وهو فرض العين أو هو الضروري للقيام بالواجب الديني: «فليقتصروا منها على ما يمكنهم الوصول اليه متدرجين فيه حسب ما دللنا عليه، فان لم يكن لهم بد من الاقتصار، فلا اقل من الاكتفاء بالعلوم الشرعية والاحكام الدينية. فان ضاق الوقت وضعفت النفس، فالفقه أولى من الجميع»... وكما ان لكل فئة ما يناسب طباعها وقابليتها، فهنالك ايضاً التفاوت بين افراد الفئة الواحدة. اذ ليس جميع طلاب الفئة الواحدة لهم نفس الطباع، ونفس الاستعدادات والميول للاخذ من العلم الواحد او الفن الواحد. لذا نجده يشير على المعلم ان يختبر قابلية الطالب وميله لتحصيل علم معين اكثر من غيره.

٦ ــ الاهتمام الاول والاكبر بالتربية الخلقية:

لن نكرر هنا ان زين الدين يجعل الاخلاق في منزلة ما بعدها ولا فوقها منزلة.

---

(١) م. ع.، ص ٧٢.

باختصار على المعلم ان يؤدبهم على التدرج بالآداب السنية والشيم المرضية ، ورياضة النفس بالآداب الدينية ، ويعودهم الصيانة في جميع امورهم ، الكامنة والجلية سيما اذا انس منهم رشداً[1]. وعلى المعلم ان يغرس في نفس المتعلم الايمان بالله الواحد والاخلاص له «وان يراقبه في جميع اللحظات ، وان يكون دائماً على ذلك حتى المات».ويكون الحافز له الشعور بان الله سيكافئه ويفتح له ابواب المعارف «ويشرح له صدره ، وتنفجر في قلبه ينابيع الحكمة والمعارف ، ويبارك له في حاله وعلمه ، ويوفق بالاصابة ، قوله وفعله وحكمه[2]».

اما الدوافع ، واحياناً يقال لها المحركات او الحوافز ، فهي هنا لا تختلف بطبيعتها عن الروادع او العقاب : هي ايضاً معنوية ، وايجابية ، ووظيفتها تقويم وتنمية الدوافع الذاتية ، خلقياً وتحصيلياً ، سواء للتحلي بالخلق السليم واكتساب ما هو محمود ، او للزيادة في التحصيل والاقدام عليه . ومن باب المثال لا الحصر ، نذكر بعض ما يشير به العاملي على المعلم في هذا المجال حيث الهدف اثارة الحوافز وتحريك الهمم . ففي المثال السابق نجد انه على المعلم متابعة الطالب بعد تخرجه : وهكذا يردع ويزجر المتخرج عن غير كفاءة وتأهيل ويحذر الناس منه ؛ في حين ان عليه ان يمدح ويشكر ويدعو الناس للاخذ عن المؤهل والجدير.

(١) منية المريد... ، ص ٦٤.

(٢) منية المريد... ، ص ٦.

رابعاً: أقسام العلوم المطلوب تعلمها باستمرار.

ينطلق العاملي في تقسيمه للعلوم من منطلقين تربويين: احدهما يتعلق بالعلوم ذاتها ووظائفها واهميتها، والثاني بالطالب ومقدراته واستعداده.

وسنحاول ان نقف على رأيه بالتفصيل من خلال هذين المنطلقين:

أولا: العلوم الشرعية:

ثانيا: تدرج الطالب في تحصيلها استناداً للوظائف التي يؤديها كل منهما.

أولاً: العلوم الشرعية:

ونقول الشرعية، كما يسميها الشهيد الثاني والفقهاء كافة، لأن الشرع يقوم عليها ويحث على تعليمها وتعلمها. ينطلق كاتبنا في تقسيمه للعلوم الشرعية من منطلق علاقة كل علم بالدين الاسلامي وتعاليمه، فكراً ومعتقداً وممارسة. فيقسمها الى قسمين:

القسم الأول: العلوم الشرعية الاصلية.

القسم الثاني: العلوم الشرعية الفرعية.

فما هي باختصار، تلك العلوم؟ يشتمل القسم الأول الذي هو العلوم الشرعية الاصلية، على اربعة علوم هي:

١ — علم الكلام.

٢ — علم الكتاب.

٣ — علم الحديث.

٤ — علم الاحكام.

١ــ علم الكلام :

«ويعبر عنه باصول الدين : فهو اساس العلوم الشرعية وقاعدتها[1] ».ووظيفته اساسية اذ به يعرف الله حق معرفته ، ورسوله وخليفته ، كما يعرف بعلم الكلام صحيح الاخبار من فاسدها ، وحقها من باطلها. وفي الحث على تعلمه يذكرنا العاملي ببعض الآيات والتفسيرات والاحاديث المختلفة كما يشير الى مرجعين لهذا العلم : كتاب التوحيد للكليني ، وكتاب الصدوق لابن بابويه [2].

٢ــ علم الكتاب :

يشتمل على ثلاثة فروع استقلت عن بعضها ، واطلق على كل منها اسم «العلم» وهي :

أــ علم التجويد : ووظيفته معرفة أوضاع حروف القرآن وكلماته : مفردة ومركبة ، مخارج الحروف وصفاتها ومدها واظهارها واختفائها وادغامها ... أما هدفه فهو تجويد القرآن حق تجويده ، واللفظ السليم لحروفه وكلماته ومقاطعه.

ب ــ علم القراءات [3] : ووظيفته معرفة الوجوه البنائية والاعرابية التي نزل القرآن بها. وتدرج معه بعض العلوم كعلم التجويد ، وهذان العلمان يصنفان احياناً في علم واحد.

ج ــ علم التفسير : وظيفته معرفة المعاني واستخراج الاحكام ليستفاد منها عملاً وتطبيقاً وفي مجالات المواعظ ، والامر والنهي. ويشتمل هذا العلم على معرفة الناسخ والمنسوخ من الآيات ، والمتشابهات ... ويشير كاتبنا الى ان بعضهم قد جعل من الناسخ والمنسوخ علماً مستقلاً بذاته.

---

(١) م. ع. ، ص ٨١.

(٢) هما من المراجع الاساسية في المذهب الامامي الذي لا يقبلها بتمامها أو دون نقاش. فقد أهمل كثرة من أحكامها (نقلاً عن د. زيعور : محاضرات ...) :

(٣) يذكر الفقهاء سبع قراءات للقرآن وهي : نافع المدني ، ابن كثير المكي ، ابو عمر بن علاء البصري ، ابن عامر الشامي ، وعاصم ، وابن حمزة ، والكسائي.

٣ ـ علم الحديث :

هو «اجل العلوم قدراً واعلاها رتبة، واعظمها مثوبة بعد القرآن. وهو ما اضيف الى النبي والائمة المعصومين قولاً وفعلاً وتقريراً وحركات وصفة ...». ويقسم الى قسمين :

أ ـ رواية : وهو العلم بما ذكر.

ب ـ دراية : «هو المراد بعلم الحديث» حيث تدبر الاحاديث الموضوعة والصحيحة [١].

ولعلم الحديث وظيفة كبرى : به تعرف معاني رواية الحديث، «ومتنه، وطريقه، وصحيحه، وشروط الرواة، الخ.. وغرضه هو العمل. والدراية هي السبب القريب منه».

يذكر لنا الشهيد الثاني عن النبي الحديث التالي مبيناً فضل هذا العلم واهميته في الممارسات والاحكام : «فليبلغ الشاهد الغائب. فان الشاهد عسى ان يبلغ من هو اوعى له منه [٢]». وهناك الكثير من الاحاديث والروايات والتفسيرات التي تبين فضل وقيمة هذا العلم، والحث على طلبه والتمعن به.

٤ ـ علم الاحكام او علم الفقه :

الفقه معناه في اللغة الفهم للاشياء الدقيقة. وهو اصطلاحاً : «العلم بحكم شرعي فرعي مكتسب من دليل تفصيلي سواء من نصه او باستنباطه [٣]». اما وظيفته فهي الامتثال لأوامر الله ومعرفة اوامره ونواهيه، سواء فيما يختص بالحياة الدنيوية او الآخروية. اما عن فضله فقد ورد فيه الكثير واهمها الخبر عن النبي :«من يرد الله به

(١) عن فروع علم الحديث، را : طاش كبرى زاده، مفتاح السعادة، ج ٢، ص ٨٥ وما بعد.

(٢) م. ع.، ص ١٨٤.

(٣) م. ع.، ص ١٨٥.

خيراً يفقهه في الدين». ويورد كاتبنا الكثير من الاحاديث والروايات التي تبين اهمية علم الفقه [1].

القسم الثاني : العلوم الشرعية الفرعية :

وهي العلوم التي تتوقف عليها معرفة العلوم الشرعية ، كما يذكر فقيهنا . والعلوم الفرعية هي : علوم العربية وهي ثمانية علوم : النحو ، التصريف ، الاشتقاق . المعاني ، البيان ، البديع ، لغة العرب ، اصول الفقه [2].

نجد ان العلوم الاصلية تقوم على هذه العلوم المجتمعة مثل علم الكتاب والفقه والحديث . هنا يختلف عدد العلوم الفرعية عند الفقهاء . فمنهم من يجعلها عشرة ، ومنهم من يجعلها اقل او اكثر من هذا العدد . وهنا نجد فقيهنا يذكرنا بان بعض العلوم الفرعية قد ادمج في بعضها الآخر . مثل : علم الاشتقاق الذي ادمج في اصول الفقه . كما يرى انه قد تم دمج علم البيان والبديع والمعاني في علم واحد . وكذلك فان التصريف والنحو هما ايضاً علم واحد .

اما من حيث شرف هذه العلوم والحث على طلبها فذلك يتوقف عند فقيهنا على ما تؤديه من وظيفة للعلوم الشرعية الاصلية . «فما كان يخدم منها واجب عين اصبح تعلمه واجب عين ، وما كان يخدم منها واجب كفاية يكون تعلمه واجب كفاية [3]» .

والآن ، اين موقع علم المنطق عند زين الدين . يرى هذا ان علم المنطق «آلة شريفة لتحقيق الادلة ، ومعرفة الموصل الى المطلوب من غيره» فهو من العلوم المطلوبة والمرغوبة ، ولكن ضمن حدود وشروط يؤديها في دوره للعلوم الشرعية ، وسنرى في فصل قادم الشروط والحدود التي يضعها فقيهنا لتحصيل المنطق . وزبدة

(١) م . ع . ، ص ١٨٦ .
(٢) يعتبر زين الدين ان اصول الفقه علم من علوم العربية ، را : منية المريد ، . ص ١٨٦ .
(٣) م . ع . ، ص ١٨٧ .

القول ، لقد رتب الكاتب العلوم بقسميها الاصلي والفرعي ، ناظراً اليها من حيث اهميتها ووظائفها الدينية ، وبحسب ما تخدم معرفة اوامر ونواهي الدين للعمل بها.

ثانيا : منهجه التعليمي :

قبل الشروع بالحديث حول المنهج التعليمي الذي يضعه الشهيد الثاني للطالب ، لا بد من وقفة قصيرة عند المنطلق الذي انطلق منه ، اي ان الدين جاء لمصلحة الانسان في الدنيا والاخرة وان الالتزام باحكام الشرع وتقريراته يحقق تلك المصلحة تحقيقا كاملا. ويكون ذلك بمعرفة ما هو.

في الأولى :

« مالا يتأدى الواجب عينا الا به »[1] . والمثل على ذلك هو ان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة. وهذا يطال : الاعتقادات ، والفعل والترك.

أ ـــ الاعتقاد : هو اعتقاد بالشهادتين ، والتصديق بما جاء به الانبياء بما يتعلق بشؤون الدنيا والاخرة. وما زاد عن ذلك يكون فرض كفاية.

ب ـــ الفعل : هو تعلم اصول الدين اي الصلاة والحج والزكاة والصوم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. لا بد من معرفتها وشروطها وشرائطها من اجل القيام بها ليتسنى للمكلف ممارستها بشكلها الصحيح عندما يحين اوانها اما ما قد يضاف اليها من احكام مثل : العقود ، وما يحل او يحرم من المأكول والملبوس ومعاشرة النساء ، فهذه الاحكام ممكن ان تكون فرض عين ويمكن ان تكون فرض كفاية حسب ما يتوفر للجماعة من يقوم بها.

ج ـــ الترك : ويدخل فيه بعض ما ذكر من الاعتقاد والفعل. وهو على درجة كبرى من الاهمية ، كما يرى الشهيد الثاني ، ليكون الانسان على علم بما يجب تجنبه ،

---

(١) م. ع. ، ص ١٨٩.

والترك بالاضافة للفعل اي لما يجب عمله والقيام به يكونان معا الجانب العملي في الحياة. لذا نجد كاتبنا هنا يوصي المعلمين واولياء الاطفال بتعليم اطفالهم وحضهم على ممارسة ما هو محمود وواجب، وتجنب ما هو مذموم ومحرم منذ الصغر، كسبا للوقت وصونا لأخلاقهم ولدينهم في الكبر. لقد «وجب على الولي تعليم الولد ذلك من باب الحسبة وايضا جميع الأهل»[1].

واذن، وباختصار، ان العلم الذي هو فرض عين هو العلم الذي لا يقوم الدين الا به. ولا يصلح امر الفرد الا بتعلمه وتحصيله.

اما فرض الكفاية فهو يخص العلوم الشرعية التي لا بد للناس منها من اجل اقامة دينهم. مثل: حفظ القرآن والاحاديث والفقه واصول التربية... وغيرها، وما يحتاج اليه المرء في امر المعاش كالطب والحساب وتعلم الصنائع الضرورية كالخياطة والفلاحة حتى الحجامة ونحوها فكل هذه العلوم تسقط عن البعض متى قام بها البعض الاخر[2].

وهناك علوم اخرى يجب ان ننظر اليها من زاوية دينية:

أ ـ محرم اطلاقا: السحر والشعوذة، وبعض الفلسفة «لما يترتب عليها من اثارة الشكوك والشبهات».

ب ـ محرم في وجه دون آخر: احكام النجوم، الرمل. فعلم النجوم مباح بقدر ما يخدم الفروض الدينية كمعرفة اوقات الصلاة ومواعيدها وجهة القبلة وامثالها. واذا نظر الى علمي النجوم والرمل على انهما يفعلان فعلهما بالاستقلال عن ارادة الله فهما محرمان اطلاقا. اما اذا اعتقد ان فعلهما بارادة الله فيصبحان مباحين.

ج ـ مكروه: مثل أشعار المولدين في الغزل، وتضييع العمر بلا فائدة.

د ـ مباح: ولا يقع في فرض العين ولا في فرض الكفاية. ولا يقع تحت باب المحرمات علوم اخرى مثل علم التاريخ والوقائع، والعلم الطبيعي، والرياضي

(١) م. ع.، ص ١٨٩.
(٢) م. ع.، ص ١٩١.

والصناعي ، والشعر. فهذه العلوم يرى فقيهنا اباحتها اذا اشتغل بها في حدود المعقول المؤدي لخدمة الشريعة. لكنها تصبح محرمة عندما يكون العمل بها وتعلمها لذاتها وليس لغرض ديني او شرعي. ويقع علم المنطق في هذه المجموعة من العلوم: «فاذا جعل مندوبا لتكملة النفس واعدادها لغيره من العلوم الشرعية لتقويتها في القوة النظرية يوصف بالاباحة»[1]. انه علم مباح اذا خدم الشرع.

بعد ان رأينا ذلك المنطلق الديني والشرعي لتقسيم العلوم، وبالتالي متى يكون اكتساب وتحصيل العلم واجب عين، ومتى يكون واجب كفاية صار لزاما علينا الآن ان نرى كيف نتعامل مع المتعلم لنضمن له الهدف الذي ذكرناه، اي صيانة نفسه في الدنيا والآخرة. وكيف نتدرج معه في تحصيل العلوم لتحقق الرسالة غرضها. يبدأ بالقول «اعلم ان لكل من هذه العلوم مرتبة من التعلم لا بد لطالبه مراعاتها لئلا يضيع سعيه او يعسر عليه طلبه وليصل الى بغيته بسرعة»[2].

والمرتبة التي يحتلها كل عالم ليست ناتجة عن مجرد قيمة العلم ذاته، بل عن غرض اخر «هو موافقة مراد الله اما بالعلم، او بالعمل، او باقامة نظام الوجود او ارشاد عباده... وغيرها من المطالب»[3].

يضع زين الدين منهجا للتحصيل المستمر، وطريقة تدريسية متدرجة هي:

١ – حفظ القرآن:

وتجويده ليكون مفتاحا صالحا. اذ به ينفتح القلب لتقبل سائر العلوم.

٢ – تعلم العلوم العربية:

انها «اول آلات الفهم، واعظم اسباب العلم الشرعي». وتكون بتعلم الصرف والنحو اولا، والتدرج من السهل الى الصعب.

---

(١) منية المريد...، ص ١٩١.
(٢) منية المريد...، ص ١٩٢.
(٣) م. ع.، ص ١٩٢.

٣- المنطق :

وهو الآلة الشريفة لباقي العلوم ، شرط ان لا يبالغ به .

٤- علم الكلام :

بهذا العلم تحصل للطالب ملكة البحث ، وتتسع آفاقه ويصبح مهيأ الى ما سيأتي بعده . هنا تبدأ مرحلة التربية العقلية .

٥- اصول الفقه :

علينا التدرج في تعلم مباحثه واقسامه ، «وهو أولى العلوم بالتحرير» . وبهذا الرأي يناقض الشهيد الثاني آراء بعض الفقهاء الذين لم يستحسنوا تحرير علم الفقه[1] . ويشير على الطالب ان لا يقتنع هنا بالقليل منه ، وان لا يقتصر على مذهب واحد ، لأن اتساع افق الطالب في التحقق من الادلة الشرعية ناتج عن توسعه في قراءة وتحصيل اصول الفقه من مصادره المختلفة .

٦- علم دراية الحديث :

على الطالب ان يطالعه ، ويحيط بقواعده ومصطلحاته . وهذا العلم عبارة عن «اصطلاحات مدونة وقواعد مجموعة» .

٧- قراءة الحديث بالرواية :

ويجري ذلك بحسب ما يقتضيه الحال ، ويسمح به الوقت . واقله الاطلاع على اصل واحد منه ، وهو يشتمل على ابواب الفقه واحاديثه .

٨- الانتقال الى الآيات القرآنية المتعلقة بالاحكام الشرعية :

ويكون ذلك للبحث عن اسرارها . وعلى المعلم ان يحقق النظر في كشف اغوارها

---

(١) اشار الزرنوجي ، مثلاً ، الى عدم تحرير أو كتابة علم الفقه .

التي ليس لها حدود يقف عليها الافهام «لأنها ليست كغيرها من كلام الانام ، وفهم الناس لها بحسب ما تصل اليه عقولهم وتدركه افهامهم»[1]. وأفرد لها العلماء التصانيف الكثيرة ، لا بد من قراءة واحد منها.

٩- قراءة الكتب الفقهية :

يشير الشهيد الثاني على الطالب بأن يقرأ كتابا واحدا أولا ليطلع منه على رؤوس مسائله ، ومصطلحات الفقهاء وقواعدهم. لأن هذا العلم ، كما يرى كاتبنا ، جدير بان يؤخذ من افواه المشايخ بخلاف غيره من العلوم. ثم على الطالب ان يقرأ كتابا آخر في البحث والاستدلال. والهدف من هذه المطالعات هو التدريب تدريجيا لبناء ذهن المتعلم. واشار الشهيد الثاني الى احتياج هذا العلم الى جميع العلوم الأخرى اذ هو اشد ارتباطا بها من اي علم آخر. وبهذا العلم «تكون وراثة الانبياء» التي أشار اليها مؤلفنا مرارا. ولا يصل الى تلك الدرجة الا القلة والصفوة من العلماء الذين منحهم الله هدايته واختارهم لهذه المنزلة من الوصول وهو المطلب الاقصى للمتعلم. ويذكر فقيهنا ان دور الطالب لا ينتهي في تحصيل هذا العلم : فلا بد ان يبذل الجهد والسهر ، وان ينقطع للتعلم ، وينصرف عن الكثير من امور الدنيا ، لانه بعد ذلك سينتقل الى اجل المراتب واشرفها ، وهي الشروع في تفسير القرآن.

١٠- تفسير الكتاب العزيز :

المراتب التي حُصِّلت ، والعلوم التي درسها الطالب ، كلها مقدمة لهذه المرتبة لأن عمل المتعلم هنا لا يقتصر على ما جاء به المفسرون ، بل عليه ان يمعن الفكر والتأمل في معاني القرآن كي تصفو نفسه وتطلع على الخوافي «لأن الكتاب العزيز بحر يجيء في قعره درر وفي ظاهره خير. والناس في التقاط درره والاطلاع على بعض حقائقه على مراتب حسب ما تبلغه قوتهم ويفتح الله به عليهم»[2]. ويشير هنا

---

(١) منية المريد... ، ص ١٩٣.
(٢) م. ع. ، ص ١٩٤.

الشهيد الثاني الى اختلاف التفاسير حسب اختلاف اهلها من حيث درجة وصولهم من ناحية ، ونوع ثقافتهم وتحصيلهم من ناحية اخرى. ويذكر لنا بعض الأمثلة منها[1].

١١ – كتب الحكمة النظرية والعملية :

رأينا زين الدين يدل المتعلم على التخرج في طلب العلم والتحصيل. واذا فرغ المتعلم من العلوم الواردة اعلاه ، واراد الترقي وتكميل النفس فليطالع كتب الحكمة من الطبيعي والرياضي والحكمة العملية المشتملة على تهذيب الاخلاق في النفس وما خرج عنها من ضرورات دار الفناء»[2] . يكون الطالب في هذه المرحلة من التحصيل قد اشرف على باب الوصول ، واصبح على مشارف البلوغ لألباب العلوم الحقة ، وهي «درجة المقربين ، ويحصل على مقاعد الواصلين»[3]. ذاك ، اذن ، هو المنهج او السلم التعليمي الذي وضعه فقيهنا لفئة دون الاخرى. وهي الفئة التي توفرت لها شروط الهمة والعمر والمقدرة والارادة لبلوغ هذه المرتبة من التحصيل.

بقي ان نرى منهجه مع الفئة الاخرى وهو ما يمكن ان نطلق عليه التعليم الالزامي او المرحلة الالزامية للتعليم. وتلك الفئة هي التي لم تتوفر لها الشروط كاملة لسبب او لآخر لبلوغ هذه المرتبة من التحصيل. على هذه الفئة فروض عين ، لا يمكنها القيام بها على اصولها الا بمعرفتها وتعلمها . اذ هنا الحاجة ضرورية لتعلم ما يقوم عليه الدين «فان لم يكن لهم بد من الاقتصار ، فلا اقل من الاكتفاء بالعلوم الشرعية والأحكام الدينية. فان ضاق الوقت وضعفت النفس عن ذلك فالفقه اولى من الجميع »[4] .

هذا هو المنهج التعليمي لطلاب العلم في عصر زين الدين «القرن العاشر للهجرة (السادس عشر ميلادي) قمنا بعرضه بعد ان اشرنا الى منطلقه ومنهجيته واهدافه.

(١) منها ما يغلب عليه العربية مثل كشاف الزمخشري. ومنها ما يغلب عليه الحكمة والبرهان الكلامي : مثل مفتاح الغيب للرازي. ومنها ما يغلب عليه طابع القصص : مثل تفسير الثعالبي. ومنها ما يهتم بتأويل الحقائق دون تفسير الظاهر : مثل تأويل عبد الرزاق القاشي... وهناك غير ذلك من التفسيرات التي تغلب عليها اتجاهات اصحابها وتأثراتهم.

(٢) منية المريد ، ص ١٩٥.

(٣) م . ع . ، ص ١٩٠.

(٤) م . ع . ، ص ١٩٥.

خامساً : التعلم المستمر أو التربية المستديمة .

لا يتوقف ابن احمد ، في عمله التربوي ، عند حد الاكتفاء بالتعليم في الكتّاب او في الحلقة او في المسجد. بل يستمر مع المتعلم الى ما بعد التخرج. ومن خلال الوظائف والمهام التي على المتعلم ان يمارسها فان المؤلف يضع عليه مسؤولية نشر العلم وحفظه من ناحية ، وتقرير الاحكام الشرعية واستنباطها من ناحية اخرى. وهكذا يتابع فقيهنا المتخرجين حاثا لهم على **استمرار التحصيل** عن طريق الترغيب حينا والترهيب حينا آخر ، محركا هممهم ودوافعهم للمحافظة على ما حصلوه من علم ، والاستزادة ، والعمل به. واذن **فلا حدَّ ولا نهاية للتحصيل** باعتبار ان العمر ينتهي والعلم لا ينتهي ، وان طلب العلم يكون من المهد الى اللحد. ويكون **استمرار التحصيل** في المجالات الآتية :

١ – التعليم.

٢ – الافتاء والاستفتاء.

٣ – المناظرة.

٤ – الكتابة والتأليف والكتب.

من خلال هذه المهام او الحالات الاربع تتضح لنا رغبة المؤلف في حث المتعلم على استمرار التحصيل ، والالتزام بقواعد العلم وشروطه. وهنا يرسم العاملي لكل مجال المنهج الملائم :

١ – في التعليم :

يرى كاتبنا ان ليس كل متخرج يكون مؤهلا ليكون معلما صالحا لأخذ الناس عنه ، ومهيأ ليصون العلم ويحفظه. ويتجلى هذا في المسؤولية المستمرة التي تقع على

عاتق المعلم بتتبع احوال طلابه ومدى صلاحيتهم لنشر العلم ونقله. «ينبغي ان يقوم بنظام امره بذلك، ويمدحه بالمحافل، ويأمر الناس بالاشتغال عليه والاخذ عنه»[1]. هذا عندما يكون تخرج الطالب مؤهلا لممارسة هذا الدور لأن الناس يكونون على جهل به وبدرجة تعليمه وتأهيله، فلا «يأنسون به ولا يطمئنون له». فمعلمه الذي تخرج وتأهل على يديه ادرى به وبدرجة تحصيله لممارسة عمله هذا. واذا كان المتخرج غير اهل للتعليم فينبغي على المعلم ان يقبح ذلك عنه اي عن المتخرج، ويشدد النكير عليه في الخلاء. فان لم ينجح ذلك على وجه صحيح المقاصد، حتى يرجع الى الاشتغال بالعلم ويتأهل للكمال[2].

٢ – في الافتاء والاستفتاء:

واجب المعلم ان يخرج الى اهله ومجتمعه ليعلم الناس ويرشدهم، وينشر العلم فيهم لا ليكتنزه في صدره. ان حبس العلم مرفوض قولا وعملا. فقد بذل المتعلم ما بذل من الجهد والعمر «ليزيل الجهل عنه وعن سائر الجهال». وخوفا على المتعلمين المتخرجين من ان يَضلوا ويُضلوا فان المؤلف يحثهم على استقاء العلوم والاحكام من مصادرها بعد تخرجهم، ويضع لهم الطرق المناسبة لهذه المرحلة المهمة. هنا نراه يقسم المتخرجين الى فئتين: في الأولى يكون المجتهدون او الفقهاء وهي الفئة القليلة المصطفاة من العباد الذين حصلوا العلوم الشرعية حسب الاصول، خاصة التفقه في الدين. ويرى ان هذه الفئة تكون دائما قلة، سواء في زمانه او قبله او بعده. لذا نجده يتساءل «اين القائم بهذا الزمان وفي اكثر الازمان بالواجب من تحصيل هذه العلوم الشرعية، والحاصل على درجتها المرضية سيما الفقه في الدين، والمتابع بما يلزمه من العلوم والكتب التي يتوقف عليها من الحديث وغيره، تصحيحها وضبطها...»[3]. وهذه المرتبة العليا يطلق عليها فقيهنا مرتبة المجتهد او المفتي. إذا استعرضنا الآداب والشروط التي يشترطها على المفتي نجد على رأسها العمل بالعلم.

---

(١) منية المريد...، ص ٧٤.

(٢) م. ع.، ص ٧٤.

(٣) منية المريد...، ص ١٩٧.

والتحصيل الدائم والمستمر للعلوم خاصة الشرعية منها. وتلك الفئة متميزة لكونها قائمة بفرض الكفاية عن الآخرين، ومعرضة لأن تسأل. واذا سئلت وجب عليها الاجابة والهداية الى ما هوحق وعدل. ثم انها فئة المجتهد او المفتي الذي عليه عدم التقليد في الاحكام. فعليه تقع مسؤولية استنباط الاحكام والفتاوى من الادلة الشرعية المختلفة[1]. من هنا وجب على هذه الفئة ان تبقى على اتصال دائم بالعلم والعلماء، وبالفقه والفقهاء ؛ حتى لا يفوقها حديث او تفسير او فتوى او قول في مسألة الا وقد ألمت بها، واحاطت بما صدر بها من احكام.

والفئة الثانية تضم المستفتين او العامة : وهي تتشكل من باقي الناس الذين لم يبلغوا الدرجة الأولى من التحصيل، ولو بَلَغَ بعضهم منه درجة مرتفعة خاصة في بعض العلوم. وبالرغم من هذا يعتبرهم الشهيد الثاني من العامة او المستفتين الذين يحتاجون الى غيرهم للتعلم منهم امور دينهم، وان كان من افاضل عصره، بل ربما كان اعلم من المفتي في علوم أُخَرَ لا يتوقف عليها الافتاء، ويعبر عنه بالعامي ايضاً[2]. هذه الفئة تحتاج للرجوع الى الأولى احيانا في بعض امورها الدينية. وهي «الفئة المقلدة» وعلى العامي البحث عن الاحكام للوقوف على الحق بها : «فاذا لم يجد في بلده من يستعين ويستفيد منه، وجب عليه الرحيل الى من يفتيه وان بعدت داره»[3]. هنا يذكرنا العاملي بالسلف الذين كانوا يرحلون من قطر الى قطر للوقوف على حكم في مسألة او للتأكد من صحة فتوى او حديث. وهكذا يكون جميع البشر، في نظر العاملي، مطالبين بالبحث والتحصيل المستمر للوقوف على صحة الاحكام الشرعية من مصادرها واهلها. عليهم التحصيل المستمر لأن احوالهم متغيرة باستمرار.

ولكل من الفئتين، المفتي والمستفتي، آداب خاصة لا تهمنا في هذا التحليل للفكر التربوي[4].

---

(١) م. ع.، ص ١٣١.

(٢) م. ع. ، ص ١٤٢.

(٣) م. ع.، ص ١٤٢.

(٤) للتفصيل الاكثر، انظر باب الفتوى والاستفتاء والمفتي، ص ١٣٠ — ١٤٦.

٣- في المناظرة :

لم يكن الشهيد الثاني الوحيد من الفقهاء التربويين الذين تناولوا المناظرة من حيث آدابها وشروطها واهدافها واساليبها. وقد تناول بالتفصيل ما قد يترتب عليها من فوائد علمية، وآفات اخلاقية. وهو ما يهمنا في دراستنا هذه. قد تكون المناظرة احدى المهام التي على المتعلم او الفقيه ممارستها، لأنها وسيلة للبحث عن الحقيقة التي هي ضالة المؤمن يأخذها اينما وجدها. والمناظرة ظاهرة شائعة قبل وبعد الشهيد الثاني. لذا نجده يقمش لها الاسس والقواعد التي يجب ان تقوم عليها لتخدم هدفها فيتحقق منها غرضان: الأول علمي وهو يهدف الى الحصول على الحكمة التي هي ضالة المؤمن وعليه ان يحصلها انى وجدها، وان يطلب جلاءها. والمناظرة هي احدى الطرق والوسائل المؤدية الى ذلك ولكن بشرط ان تتوفر فيها آداب اهمها النية اي الهدف الكامن وراء المناظرة. فلتكن غايتها لله، وليس للاستعلاء والتكبر: «واذا اشتغل بوجهها وقام بشروطها فقد قام بحدودها «والا خرجت» عنه وانحرفت، وتحولت الى منبع للأخلاق الفاسدة والذميمة»(١).

ويجب ان لا تحيد المناظرة عن هدفها الذي هو البحث عن الحق والحكمة(٢). وليتحقق هذا الغرض لا بد من طرق ترتكز عليها المناظرة. وبالاضافة لما تحققه المناظرة من معرفة للحق والحقيقة، فهي رياضة للفكر، وشحذ للهمم، وتقوية لملكة الاستدلال، والاستنباط كما يذكر فقيهنا. وعن طريقها وبممارستها على اصولها يكتسب المتناظرون هذه الملكات، فيزداد تحصيلهم ويستمرون في تعلمهم واستنباطهم لأحكام وحقائق جديدة.

وهدف المناظرة الثاني هو الاخلاقي. ان المناظرة سيف ذو حدين، ويشبهها فقيهنا بالخمرة والميسر حيث لها حسنات قليلة وسيئات كثيرة، ويقبل عليها البعض للحسنة الواحدة فيرتكبون اخطاء ومفاسد كبيرة وكثيرة مثل القتل والزنا والقذف.

---

(١) م. ع.، ص ١٤٦ —١٥٦ (باب المناظرة).

(٢) لم نبحث مطولاً في علاقة المناظرة بالتربية. وسوف نعود الى ذلك في وقت لاحق.

وللمناظرة سيئات ، وحسنات تتلخص في كونها «وسيلة للوقوف على الحق ، وترغيباً للناس في العلم ، وتشحيذا للهمم ، وتقوية للنفس لدرك مأخذ العلم»[1] . لكن كثرة مزالقها جعلت كاتبنا ينصح بالتخلي عنها. ومن آفاتها الكثيرة : الاستكبار على الحق ، والرياء ، والغضب ، والحقد والقطيعة ، والكلام في الغيبة ، والترفع والتجسس. والخلاصة ان «الشيء اذا كانت له منفعة واحدة وآفات كثيرة لا يجوز التعرض لآفاته لأجل تلك المنفعة الواحدة»[2] .

٤ــ الكتابة والتأليف والكتب :

الكتب هي «آلة العلم» بما تجمع بين صفحاتها من علوم ومعارف. وهي اداة صالحة لأخذ العلم عنها ونشره او حفظه. وبأسلوبه المعتاد يتعرض كاتبنا للعمل في هذا المجال حاثا المؤهلين والمتخرجين على الكتابة لما يترتب عليها من كبير اهمية للعلم نفسه ، وثواب في الآخرة ، وتقدير في الدنيا. ويروى عن النبي : «قيدوا العلم ، أي اكتبوه». ويذكرنا بالكثير من الآيات والاحاديث التي تحث على العمل بالكتابة والتأليف. والعاملي يتناول الكتابة من زاويتين :

أ ــ كونها فرض كفاية : واحيانا فرض عين. ومن الفقهاء كما ذكرنا من رأى ان فرض الكفاية هو أكثر اهمية وقيمة من فرض العين، لما يتحمله صاحبه من مسؤوليات عن الباقين في الدنيا والآخرة. والعمل بالكتابة والتأليف قد يكون احيانا من فروض العين كما يرى فقيهنا.

---

(١) منية المريد...، ص ٢١٢.

(٢) م. ع. ، ص ١٦٢.

سادسًا : خلاصة ومحاكمة .

بعد ان قدمنا تحليلا لكتاب «منية المريد...» للمفكر زين الدين العاملي ، صار لزاما علينا الآن ان نرى ما فيه من قيمة تربوية . لا شك في ان اختيار الميزان الذي بموجبه سنحاكم به فقيهنا ليس الصعب ، ونكون منصفين اذا وضعناه في اطاره التاريخي الصحيح وضمن اطار التراث التربوي العربي الاسلامي .

— من حيث الكتابة واسلوبه : الشهيد الثاني من المتأخرين الذين انتفعوا ، بعناية وفهم ، من الكتابات السابقة لهم . وهكذا نجد كتابه يجمع ما تناوله فقهاء عديدون في مجالات متعددة . انه لم يقتصر ، كبعض الفقهاء والمفكرين ، على ناحية واحدة مثل : المتعلم وآدابه ، او المعلم وشروطه . نجده قد تناول العملية التربوية والتعليمية بشكل شمل كل ما قد يتعلق بها ، ابتداء بفضل العلم وماهيته كحافز وواجب ، وانتهاء باستمرارية التعلم ،والتعلم الديني خاصة ، وما يساعد على زيادة التحصيل .

يظهر كتابه عبارة عن موسوعة او مرجع ضخم في التراث التربوي العربي . جمع جلّ ما قيل في فضائل العلم ، وآداب المتعلم ، وآداب المعلم ، وفي المناهج ، وفي المجالات التي يمكن ان يستمر التحصيل فيها بعد التخرج :المناظرة ، الافتاء ، والاجتهاد ، التأليف والكتابة ، وغيرها من الامور التي تتعلق بالتربية والتعليم...

والحقيقة ان المادة التي قرأناها في كتابه ليست جديدة . فقد رأيناها — كما ذكرنا في تحليلنا اعلاه— مستقاة من تعاليم دينية ، ومن فقهاء ، ومتكلمين ، وفلاسفة ، وادباء ، وكتاب مرايا...

الا انه وان لم يختلف عن اقرانه في الموضوع ، فاننا نجده يعرض المادة نفسها باسلوب يختلف احيانا عن سابقيه .فكأننا امام موضوع جديد ومادة جديدة في حالات كثيرة .

لقد ابتعد عن الاسلوب الحكمي، والمواعظ المباشرة، ولجأ الى ما يريد تقريره بشيء من التحليل والتفصيل باسلوب تربوي واضح. لقد قدم معظم ابحاثه مؤيدة بالادلة على نوعَيْها النقلي والعقلي. فمن لا يكون النقل كافياً له ومقنعا قد يكون له من الدليل العقلي ما يترك اثرا فيه. والامثلة على ذلك كثيرة. فكأنه كان على علم بنفسية الولد، او بالظروف التي قد تحيط بالمعلم والمتعلم على السواء وما يعترضهما من صعوبات. لذا كان اسلوبه اقرب ما يكون الى المبادىءِ التي تقوم عليها آراؤه التربوية مثل: التربية وخاصة الخلقية اولا، والتعليم بعدها، استناد التربية على معرفة نفس الطفل والمتعلم، المتعلم هو محور العملية التربوية والتعليمية، توفير البيئة والمناخ الملائمين، التربية الهادفة وغير ذلك من المبادىء.

ولا شك ان بعض النواقص بل واحيانا الشوائب (هو ابن بيئته ومجتمعه) قد لحقت بطرائقه في التعليم. مثلا:

— اعطاء التربية الخلقية جل اهتمامه: لقد اعتبرها المنطلق والاساس لما عداها. وليس هذا بالجديد على الفقهاء والمفكرين المسلمين، لأن الاسلام ذاته اعطى للأخلاق والنوايا، ولذاتية العمل والسلوك القيمة الأولى والاساسية. ان التغاضي عن ما عداها نقص. فقد وضعت في الدرجة الثانية قطاعات تربوية اخرى مثل: التربية الجسدية، والتربية الشاملة، والفردية، والجماعية، وغيرها من المعطيات الحديثة في التربية. الا اننا نستطيع القول ان التربية الدينية يمكنها ان تشمل كل ذلك ولكن كل بمنهجيته الخاصة المستقلة عن غيرها.

كان من الطبيعي ان يصل كاتبنا الى ذلك اللاتوازن في التربية الفردية. فقد وجدناه يشدد على اهمال الجسد، واغفال الحاجيات المادية كي لا ينشغل الطالب بمتطلبات الجسد التي يعتبرها عائقا في تحصيل العلم. فالانشغال بها والاهتمام بتأمينها يصرف الطالب الى الامور الدنيوية. هنا نجد كاتبنا في هذا المجال، اقرب الى الصوفية والزهد في الدنيا وامورها بسبب نظرته للدنيا على انها دار فناء لا دار البقاء، ولا حاجة في نظره، الى ان يشغل المرء بها، ولا دافع الى أكثر من الضروري لحفظ الحياة. وبهذا لم يحد عن الخط العام للفقهاء الذين تركوا لنا اثرا في التربية.

ـــ ويظهر لنا المؤلف مقيما التعليم على معرفة نفس الطفل (او المتعلم)، فقد كان على دراية بتلك النفسية نتيجة الخبرة والممارسة. فهو يطلب من المعلم، مثلا، ان ينبه الطالب او يؤنبه على انفراد، وان يراعي طباعه، وقابليته الفكرية، وخصائصه النفسية، وان لا يدعه يرهق نفسه وفكره.وعلى المعلم ان يوصي الطالب بالراحة، وان لا يأتي على ذكر العقاب. فكأن الثواب، هنا، هو الاصل. ويشدد المؤلف على غير ذلك من الوصايا التي تبعد عن السلبيات في تحصيل الطالب، وتهتم براحته النفسية، وصفائه الفكري.

وبكلمة اخرى، كان اسلوبه اقرب الى الاسلوب العلمي منه الى الاسلوب الخطابي والتقريري. ولقد نبه الى ما عند المتعلم من احوال خاصة، وامكانيات فردية وطباع وميول تتميز بين الولد والآخر.

ـــ يتبع التسلسل المنطقي في عرضه لما يود ان يقرره لمصلحة الطالب او المعلم، او المنهج التعليمي: انه يسلسل الادلة حسب اهميتها الدينية، ثم يدعمها بادلة عقلية: القياس على انواعه، الاجماع والعرف الذي اعطاه قوة الدليل والبرهان.

ـــ نظرته للمعلم والمتعلم: يبدو مؤلفنا صاحب فكر منظم. فمواضيعه شاملة، واسلوبه تقسيمي او تبويبي وكأنه يعطي للتراث التربوي العربي صياغة جديدة. وان كان ذلك التراث التربوي مليئا بالشروط والآداب التي تنظم عمل الطالب والمعلم، فان الطريقة التي عالج بها مؤلفنا هذا الموضوع قد تكون الاشمل، والاعم، والأكثر تفصيلا وتقسيما.

لقد تأثر «منية المريد» باسلافه من كتب الفقهاء. وشدد على عدم الاهتمام بامور الدنيا للطالب، وعلى ضرورة قضاء معظم الوقت ان لم يكن جميعه في المطالعة والتحصيل. ولم يترك كتابنا للطالب وقتا لعمل آخر. وحتى التفكر والتأمل هما وسيلة من وسائل التحصيل. واشار المؤلف على الطالب بأوقات معينة اصلح من غيرها للدرس، لكنه لم يتناول بعض الامور التي ليست لها علاقة مباشرة بالتربية والتعلم مثلا: ما يورث الحفظ وما يورث النسيان، وما يطيل العمر وما يقصره كما

تناولها بعض اسلافه بشيء من التفصيل والتركيز. ونكرر ان زين الدين ينطلق من مبدأهو أن واجب المتعلم الاكتفاء بالضروري من امور الدنيا اذ انه رأى في الانشغال بالشهوات والملذات وبأمر المعاش الكثير مما يعيق التحصيل، ويشتت الفكر، ويثبط الهمم. فالأولى بطالب العلم، اذن، هو التوكل على الله والتفرغ كليا او فكرا وجسدا الى العلم وتحصيله.

آمن المؤلف بأن للانسان المتميز بعقله عن سائر ابناء جنسه هدفا من وجوده. وهذه الغاية محددة: انها معرفة الخالق، والعمل بما يرضيه ويحقق حسن المآل. من هنا فان العمل بمقتضى الشرائع واجب، ويجب تعلم الفرائض وادراكها. ليكون العمل محققا للثواب في الآخرة والثناء في الدنيا. ومن هنا يكون طلب العلم فرض عين من ناحيتين:

أولا: الاستعمالُ للعقل الممنوح للانسان حيث فيه كماله الذي اذا استعمله في الطريق الصحيح سيضاهي به الملائكة ويكون من ورثة الانبياء والا «ليس ما يميزه عن الديدان».

ثانيا: لا يستقيم الدين الا بمعرفة الاوامر والنواهي اي الفعل والترك، والغوص في عمق تعاليم الشرع والدين.

—ويرى الشهيد الثاني ان عند الانسان الاستعداد الطبيعي والفطري للتعلم والاكتساب. وهذا التعلم وان لم يكن له بداية فليس له نهاية وحدود. فقد يبلغ الانسان في التعلم الدرجة التي قال عنها الشرع والنقل واقرها العقل، وهي مضاهاة الملائكة، ووراثة الانبياء، والتي هي درجة التفقه في الدين. لكن المؤلف يعود ليذكرنا بأنه لا يصل الى هذه الدرجة المصطفاة الا القلة التي هي «الصفوة المختارة من الله». وهذا بسبب العوائق الخارجة عن الانسان او نتيجة لعدم سلوك الطريق الصحيح، او لعدم توفر الشروط التي ذكرها سواء في المتعلم او المعلم او طرق التعلم واساليبه.

باختصار، لقد جعل كاتبنا من العلم غاية، ومن طلبه هدفا اساسيا وساميا

يضاهي الانسان به الملائكة والانبياء. ولكي تحصل تلك المراتب الشريفة لا بد من مسلك حياتي يتصف بشيء من الزهد، لأن في حياة الانشغال بالجسد ومتطلباته، في نظر كاتبنا، ما يعيق ويُبْعد عن تحقيق ذلك الغرض.

* * *

يلاحظ ان هناك تناسبا في المنهج او في الاساليب مع الاهداف المرسومة. ان المناهج التربوية والتعليمية محصلة لمعطيات اجتماعية وحضارية وثقافية وتعبر عادة عن التطلعات والمتطلبات الاجتماعية او عن الطريق الذي اختاره الكبار للصغار ومقياس نجاح المنهج وكفاءته وصلاحيته ناتجة عن درجة ومقدار ما يحقق من هذه الرغبات والميول. وهكذا فان صاحب «منية المريد» يبدو ابن بيئته ومجتمعه. لقد حاول ايجاد الحلول للهموم التربوية والتعليمية التي يفتقر اليها مجتمعه واهل زمانه. فمن المشكلات التربوية التي لاحظها، هناك:

— طلاب ضلوا الطريق فلا يعرف كل دوره، ولا واجبه. فضاعت جهودهم ولم يتحقق لهم الثناء في الدنيا، ولا الثواب في الآخرة.

— معلمون وفقهاء لم يبلغوا درجة الاجتهاد، فلبسوا ما هم ليسوا اهلا له. لا يعملون بما يعلمون، ويقولون ما لا يفعلون، فضلوا واضلوا[1].

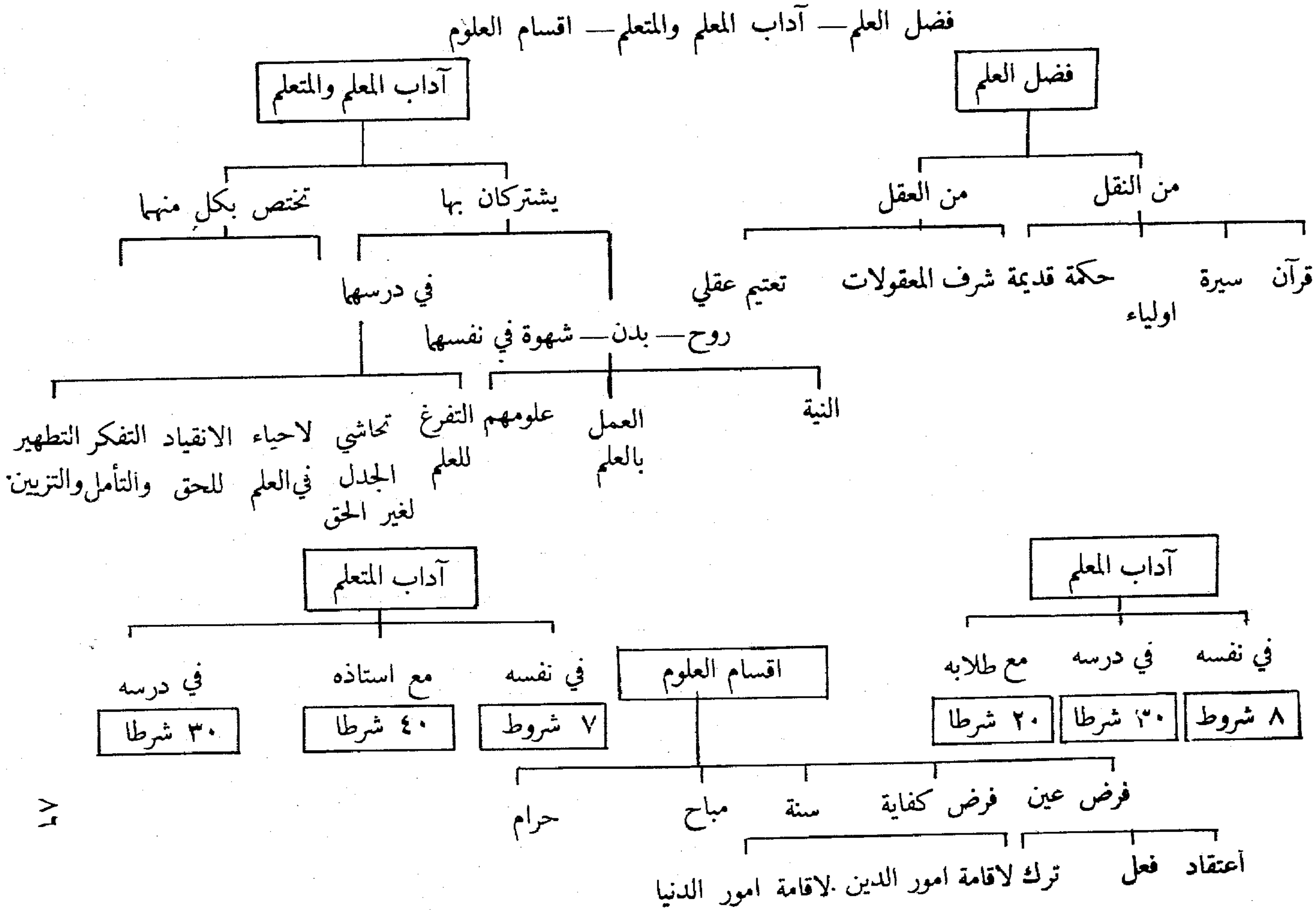
— علوم تعددت وتنوعت، وكثر الحديث عنها واختلفت الاقوال بها، لدرجة التبس على المرء ما هو واجب منها ومفيد، وما هو ليس بواجب ومضر[2].

كانت تلك المشكلات، وغيرها من المسائل التعليمية وراء وضع الحلول في «منية المريد» الذي ما يزال يحوي الكثير من الافكار التربوية الصالحة حتى اليوم[3].

(١) را.: منية المريد، فصل: أخطاء العلماء، ص ٤٠ —٤٣.

(٢) سوف نعود الى المنهج المقارن في الحلقة الأخيرة من موسوعتنا التربوية هذه. وسوف يؤخذ حينئذٍ العاملي ضمن دائرة المفكرين التربويين.

(٣) انظر: الرُّسَيْمَة المرفقة. قا.: د. علي زيعور، التربويات والإدابة عند السمعاني.


فضل العلم — آداب المعلم والمتعلم — اقسام العلوم
فضل العلم
من النقل
من العقل
قرآن
سيرة
اوليا ء
حكمة قديمة
شرف المعقولات
تعتيم عقلي
آداب المعلم والمتعلم
يشتركان بها
تختص بكلٍ منهما
في درسهما
روح — بدن — شهوة في نفسهما
النية
العمل بالعلم
علومهم
التفرغ للعلم
تحاشي الجدل لغير الحق
لاحياء في العلم
الانقياد للحق
التفكر والتأمل
التطهير والتزيين
آداب المعلم
في نفسه
في درسه
مع طلابه
٨ شروط
٣٠ شرطا
٢٠ شرطا
آداب المتعلم
في نفسه
مع استاذه
في درسه
٧ شروط
٤٠ شرطا
٣٠ شرطا
اقسام العلوم
فرض عين
فرض كفاية
سنة
مباح
حرام
أعتقاد
فعل
ترك
لاقامة امور الدين
لاقامة امور الدنيا

الكتاب الثاني

زين الدين بن أحمد العاملي

كتاب

منية المريد في آداب المفيد والمستفيد

رموز ومختصرات

م = طبعة مصطفوى

خ = مخطوط النجف.

<> = اضافة لتوضيح النص.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الانسان ما لم يعلم، وصلى الله على حبيبه وعبده ونبيه محمد افضل من عَلِمَ وعلّم، وعلى آله واصحابه المتأدبين بآدابه وسلم.

اما بعد:

فان كمال الانسان انما هو بالعلم الذي يضاهي به ملائكة السماء، ويستحق به رفيع الدرجات في العقبى مع جميل الثناء في الدنيا، ويتفضل مداده على دماء الشهداء وتضع الملائكة اجنحتها تحت رجليه اذا مشى، ويستغفر له الطير في الهواء والحيتان في الماء، ويفضل نومة ليلة من لياليه على عبادة العابدين سبعين سنة. وناهيك بذلك جلالة وعظماً.

لكن ليس جميع العلم يوجب الزلفى ولا تحصيله كيف اتفق يثمر الرضا، بل لتحصيله شرائط، ولترتيبه ضوابط، وللمتلبس به آداب ووظائف، ولطلبه أوضاع ومعارف، لا بد لمن أراد شيئاً منه الوقوف عليها والرجوع في مطلوبه اليها لئلا يضيع سعيه ولا يخمد جده، وكم رأينا بغاة هذا العلم الشريف دأبوا[1] في تحصيله، اجهدوا [2] نفوسهم في طلبه ونيله. ثم بعضهم لم يجد لذلك الطلب ثمرة ولا حصل منه على غاية معتبرة، وبعضهم حصل منه شيئاً في مدة مديدة طويلة، كان يمكنه تحصيل اضعافه في برهة يسيرة قليلة، وبعضهم لم يزده العلم الا بعداً عن الله تعالى وقسوة وقلباً مظلماً، مع قول الله سبحانه وهو أصدق القائلين: «انما يخشى الله من عباده العلماء(أ)».

---

(١) م: ذابوا.

(٢) م، خ: واجتهدوا.

(أ) القرآن، فاطر: ٢٨.

وما كان سبب ذلك وغيره من القواطع السادة لهم من[1] بلوغ الكمال ، الا اخلالا لهم بمراعاة الامور المعتبرة فيه من الآداب والشرائط وغيرهما من الاحوال ، وقد و فق الله سبحانه بمنه وكرمه فيما خرج من كتابنا الموسوم بـ«منار القاصدين في اسرار معالم الدين[2]» بتفصيل جملة شريفة من هذه الاحكام ، مغنية لمن وقف عليها من الأنام.

وقد رأينا في هذه الرسالة افراد نبذة من شرائط العلم وآدابه وما يتبع ذلك من وظائف[3] نافعة إن شاء الله تعالى لمن تدبرها ، موصلة الى بغيته اذا رعاها ونقشها على صحائف خاطره ، وكررها مستنبطاً من كلام الله تعالى وكلام رسوله وائمته عليهم السلام ، وكلام اساطين الحكمة والدين ، والعلماء الراسخين ، وسميتها : منية المريد في آداب المفيد والمستفيد. وأنا أسأل الله تعالى ، من فضله العميم وجوده القديم ، ان ينفع بها نفسي وخاصتي واحبائي ومن[4] يوفق لها من المسلمين ، وان يجزل عليها اجري وثوابي ، ويثبت لي بها قدم صدق يوم الدين ، انه جواد كريم. وهي مرتبة على مقدمة وابواب وخاتمة.

---

(١) خ : عن.

(٢) احد مؤلفاته ، وهو يبحث في اسرار الاحكام الشرعية الموضوعة على المكلفين. وفي العلل المسببة لوضع الواجبات والمحرمات وغيرها.

(٣) خ : وظائف.

(٤) م : و، ساقطة.

المقدمة

في فضائل العلم وشرفه

الفصل الأوّل : شواهد نقليّة

شواهد من القرآن
شواهد من السّنّة
شواهد من الأئمّة
شواهد من الأحاديث والتفسيرات
شواهد من الحكمة القديمة
شواهد من العلماء والحكماء

الفصل الثاني : شواهد عقليّة

الفصل الأوّل : شواهد نقليّة

اولاً : من القرآن :

اما المقدمة فتشتمل على جملة من التنبيه على فضله من الكتاب والسنة والاثر، ودليل العقل وفضل حامليه ومتعلميه، واهتمام الله تعالى[1] بشأنهم وتميزهم عمن سواهم.

اعلم ان الله سبحانه وتعالى جعل العلم هو السبب الكلي لخلق هذا العالم العلوي والسفلي طراً، وكفى بذلك جلالة وفخراً. قال الله تعالى في محكم الكتاب تذكرة وتبصرة لأولي الالباب، «لله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن، يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير، وان الله قد أحاط بكل شيء علما» [أ] وكفى بهذه الآية دليلا على شرف العلم، لا سيما علم التوحيد الذي هو أساس كل علم ومدار كل معرفة. وجعل سبحانه العلم اعلى شرفٍ، واول منّة امتن بها على ابن آدم بعد خلقه وابرازه من العدم الى ضياء الوجود، فقال سبحانه في أول سورة انزلها على نبيه محمد (ص): «اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الانسان من علق، اقرأ وربك الاكرم، الذي علّم بالقلم[ب]». فتأمل كيف افتتح كتابه الكريم

---

(١) م: تعالى، ساقطة.

(أ) القرآن: الطلاق: ١٢.

(ب) القرآن: العلق: ١ — ٤

(ج)

المجيد ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد بنعمة الايجاد ، ثم اردفها بنعمة العلم . فلو كان ثمة[1] منّة او يوجد نعمة بعد نعمة الايجاد هي اعلى من العلم ، لما خصه الله تعالى بذلك وصدر به نور الهداية ، وطريق الدلالة على الصراط المستقيم ، الآخذ بحجزة[2] البراعة ودقائق المعاني وحقائق البلاغة .

وقد قيل في وجه التناسبِ بين الآي المذكورة في صدر هذه السورة ، التي قد اشتمل بعضها على خلق الانسان من علق ، [3] وبعضها تعليمه ما لم يعلم ليحصل النظم البديع في ترتيب آياته .

انه تعالى ذكر اول حال الانسان وهو كونه علقة ، مع انها أخس الاشياء ، وآخر حاله وهو صيرورته عالماً وهو اجل المراتب . كأنه تعالى قال : كنت في أول[4] حالك في تلك الدرجة التي هي غاية الخساسة ، فصرت في آخر حالك في هذه الدرجة التي هي الغاية في الشرف والنفاسة . وهذا انما يتم لو كان العلم اشرف المراتب ، اذ لو كان غيره اشرف لكان ذكر ذلك الشيء في هذا المقام اولى .

ووجه آخر انه تعالى قال : «وربك الاكرم ، الذي علّم بالقلم ، علّم الإنسان ما لم يعلم[أ] » . وقد تقرر في اصول الفقه ان ترتب الحكم على الوصف مشعر بكَوْن الوصف يكون[5] علة ، وهذا يدل على ان الله سبحانه اختص بوصف الاكرمية لانه علّم الانسان العلم ، فلو كان شيء افضل من العلم وأنفس ، لكان اقترانه بالاكرمية المؤداة بأفعل التفضيل أولى .

---

(١) م : ثم .
(٢) م : بحجزة .
(٣) م : في ، زائدة
(٤) م : أول ، ساقطة .
(٥) م : علة ، ساقطة .

(أ) العلق : ٣ ــ ٥

وبنى الله سبحانه قبول الحق والاخذ به على التذكر، والتذكر على الخشية، وحصر [1] الخشية في العلماء فقال: «سيذّكر من يخشى [أ]»، و«انما يخشى الله من عباده العلماء[ب]». وسمى الله تعالى [2] العلم بالحكمة. وعظّم امر الحكمة فقال: «ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً [ج]»، وحاصل ما فسروه في الحكمة مواعظ القرآن والعلم والفهم والنبوة [3] في قوله تعالى: «ومن يؤت الحكمة»، «وآتيناه الحكم صبيا [د]». «فقد آتينا آل [4] ابراهيم الكتاب والحكمة[هـ]». والكل يرجع الى العلم. ورجّح العالمين على كل من سواهم، فقال سبحانه: «هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون» (و)، «إنما يتذكر أولوا الالباب» (ز). وقرن في كتابه العزيز بين سبعة [5]:

بين الخبيث والطيب: «قل لا يستوي الخبيث والطيب» (ح)، وبين الاعمى والبصير، والظلمة والنور، والجنة والنار، والظل والحرور. واذا تأملت تفسير ذلك وجدت مرجعه جميعاً الى العلم.

وقرن سبحانه اولي العلم بنفسه وملائكته، فقال: «شهد الله انه لا آله الا هو والملائكة واولوا العلم» (ط)، وزاد في اكرامهم على ذلك مع الاقتران المذكور بقوله: «وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم» (ك)، وبقوله: «قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب» (ل)، وقال تعالى: «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات» (م).

---

(1) خ: فحص.
(2) خ: الله تعالى، ساقطة.
(3) خ: اوتي خيراً، زائدة.
(4) م: آل، ساقطة.
(5) م: سبعة، ساقطة.
(أ) الأعلى: ١٠.
(ب) فاطر: ٢٨.
(ج) البقرة: ٢٦٩.
(د) مريم: ١٢.
(هـ) النساء: ٥٤.
(و) الزمر. ٩.
(ز) الزمر: ٩.
(ح) المائدة: ١٠٠.
(ط) آل عمران: ١٨
(ك) آل عمران: ٧.
(ل) الرعد: ٤٣.
(م) المجادلة: ١١.

وقد ذكر الله تعالى الدرجات لأربعة اصناف للمؤمنين من اهل بدر: «انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم، إلى قوله لهم درجات عند ربهم، وللمجاهدين» (أ). وفضل الله المجاهدين ومن[1] عمل الصالحات: «من يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى» (ب)، وللعلماء في قوله تعالى: «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات» (ج)، ففضل اهل بدر على غيرهم من المؤمنين بدرجات.

وفضل العلماء على جميع الاصناف بدرجات، فوجب كون العلماء افضل الناس.

وقد خص الله سبحانه في كتابه العلماء بخمس مناقب:

الاول: الايمان، والراسخون في العلم يقولون آمنا.

الثاني: التوحيد، شهد الله انه لا آله الا هو والملائكة واولوا العلم.

الثالث: البكاء والحزن، «ان الذين اوتوا العلم من قبله الى قوله ويخرون للأذقان سُجداً[2]» (د).

الرابع: الخشوع، ان الذين اوتوا العلم من قبله (الآية).

الخامس: الخشية، «انما يخشى الله من عباده العلماء» (هـ).

وقال تعالى مخاطباً لنبيه[3] امراً له[4] مع ما آتاه من العلم والحكمة: «وقل ربي

---

(١) خ: ولمن.

(٢) خ: يبكون.

(٣) م: ل: ساقطة.

(٤) خ: له، ساقطة.

(أ) الانفال: ٢.

(ب) طه: ٧٥.

(ج) المجادلة: ١١.

(د) الاسراء: ١٠٧.

(هـ) فاطر: ٢٨.

زدني علما» (أ). وقال تعالى: «بل هو آيات بيّنات في صدور الذين اوتوا العلم»(ب)، وقال تعالى: «وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون»(ج). فهذه نبذة من فضائله التي نبّه الله عليها في كتابه الكريم.

ثانياً: من السنة :

فصل: واما السنة، فهي في ذلك كثيرة تنبو عن الحصر، فمنها قول النبي: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين. وقوله (ص): «طلبُ العلم فريضة على كل مسلم». وقوله (ص): «من طلب علماً فأدركه كتب الله له كفلين من الاجر، ومن طلب علماً لم يدركه كتب الله له كفلاً من الاجر». وقوله (ص): «من احب ان ينظر الى عتقاء الله من النار فلينظر الى المتعلمين، فوالذي نفسي بيده ما مر متعلم يختلف الى باب العالم الا كتب الله بكل قدم عبادة سنَة، وبنى الله له لكل قدم مدينة في الجنة، ويمشي على الارض وهي تستغفر له، ويمسي ويصبح مغفوراً له. وشهدت الملائكة انهم عتقاء الله من النار».

وقوله (ص): «من طلب العلم فهو كالصائم نهاره القائم ليله، وان بابا من العلم يتعلمه الرجل خير له من ان يكون ابو قبيس ذهباً فأنفقه في سبيل الله». وقوله (ص): «من جاءه [1] الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الاسلام كان بينه وبين الانبياء درجة واحدة في الجنة». وقوله (ص): «فضل العالم على العابد سبعين درجة [2]، بين كل درجتين حضر [3] الفرس سبعين عاماً، وذلك لان الشيطان يضع البدعة للناس فيبصرها [4] العالم فيزيلها، والعابد يقبل على عبادته [5]». وقوله (ص): «فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم، ان الله وملائكته واهل

---

(١) م: جائه.
(٢) خ: واحدة زائدة.
(٣) خ: حفر.
(٤) م: فيصيرها.
(٥) م: عادته.

(أ) طه: ١١٤.
(ب) العنكبوت: ٤٩.
(ج) العنكبوت: ٤٣.

السموات والارض حتى النملة في جحرها ، وحتى الحوت في الماء ليصلّون على معلم الناس الخيرِّ».

وقوله (ص) : «من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع». وقوله (ص) : «من خرج يطلب باباً من العلم[1] ليردّ به باطلاً الى حق ، وضالاً الى هدى ، كان عمله كعبادة اربعين عاماً». وقوله (ص) لعلي (ع) : لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير من ان يكون لك حمر النعم. وقوله (ص) لمعاذ : لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها ، وروى ذلك انه قال لعلي (ع) ايضاً.

وقوله (ص) : رحم الله خلفائي ، فقيل يا رسول الله ومن خلفاؤك؟ قال (ص) : «الذين يحيون سنتي ويعلّمونها عباد الله» ، وقوله (ص) : «ان مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب ارضاً وكان منها طائفة طيبة ، فقبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير. وكان منها اجادب ، امسكت الماء فنفع الله بها الناس وشربوا منها ، وسقوا وزرعوا ، واصاب طائفة منها اخرى انما هي قيعان لا تمسك ماء ، ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فُقِّه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلّم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به. (وقوله (ص) : «لا حسد ، يعني ولا غبطة الا في اثنين : رجل اتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل اتاه الله الحكمة ، وهو يقضي بها ويعلمها[2]).

وقوله (ص) : «من دعا الى هدى ، كان له من الاجر مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيئاً ، ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً. وقوله (ص) : «اذا مات ابن آدم انقطع عمله الا من ثلاث[3] : صدقة جارية ، او علم ينتفع به ، او ولد صالح يدعو له». وقوله

---

(١) خ : العلم ، ساقطة.

(٢) م ، بين القوسين ساقط ، خ : ذكر في الهامش.

(٣) م ، خ : ثلث.

(ص) : خير ما تخلف الرجل من بعده ثلاث : ولد صالح يدعو له ، وصدقة تجري يبلغه اجرها ، وعلم يعمل به من بعده.

وقوله (ص) : «ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضى بما يصنع». وقوله (ص) : «اطلبوا العلم ولو بالصين». وقوله (ص) : «من غدا في طلب العلم اظلت عليه الملائكة وبورك له في معيشته ، ولم ينقص من رزقه». وقوله(ص) :«من سلك طريقاً يطلب فيه علماً ، سهل الله له طريقاً الى الجنة» وقوله (ص) : «نوم مع علم[1] خير من صلاة على جهل». وقوله (ص) : «فقيه[2] اشد على الشياطين من الف عابد». وقوله (ص) : «ان مثل العلماء في الارض كمثل النجوم في السماء ، يهتدى بها في ظلمات البر والبحر ، فاذا انطمست اوشك ان تضل الهداة». وقوله (ص) : «أيما ناشىء نشأ في العلم والعبادة حتى يكبر ، اعطاه الله يوم القيامة ثواب اثنين وتسعين صديقاً».

وقوله (ص) : «يقول الله عز وجل للعلماء يوم القيامة : اني لم أجعل علمي وحلمي فيكم الا وانا اريد ان اغفر لكم على ما كان فيكم ولا ابالي». وقوله (ص) : «ما جمع شيء الى شيء افضل من علم الى حلم. وقوله (ص) : «ما تصدق الناس بصدقة مثل علم ينشره». وقوله (ص) : «ما اهدى المرء المسلم الى اخيه هدية افضل من كلمة حكمة يزيده الله بها هدى ، ويرده عن ردى».وقوله (ص) : «افضل الصدقة ان يعلم المرء علما ثم يعلمه اخاه». وقوله (ص) : «العالم والمتعلم شريكان في الاجر ولا خير في سائر الناس». وقوله (ص) : قليل العلم خير من كثير العبادة». وقوله (ص) : «من غدا الى المسجد لا يريد الا ليتعلم خيراً او ليعلمه فله أجر حاج[3] تام الحجة[4].

وقوله (ص) : «أغد عالماً او متعلماً او مستمعاً او محباً ولا تكن الخامسة

---

(١) م : العلم.
(٢) خ : فقه.
(٣) خ : معتمر.
(٤) خ : العمرة.

فتهلك». وقوله (ص) : «اذا مررتم في رياض الجنة فارتعوا. قالوا يا رسول الله وما رياض الجنة؟ قال : حلق الذكر فان لله سيارات من الملائكة يطلبون حلق الذكر، فاذا اتوا عليهم حفوا بهم». قال بعض العلماء : حلق الذكر هي مجالس الحلال والحرام، كيف يشتري ويبيع ويصلي ويصوم وينكح ويطلق ويحج واشباه ذلك. وخرج رسول الله (ص) فاذا في المسجد مجلسان : مجلس يتفقهون، ومجلس يدعون الله[1] تعالى ويسألونه[2]. فقال كلا المجلسين الى خير، اما هؤلاء فيدعون الله، واما هؤلاء فيتعلمون ويفقهون الجاهل، هؤلاء افضل، بالتعليم ارسلت، ثم قعد معهم.

وعن صفوان بن عسال[3] قال : اتيت النبي (ص) وهو في المسجد متكيء على برد له احمر، فقلت له : يا رسول الله اني جئت اطلب العلم فقال : «مرحباً بطالب العلم، ان طالب العلم لتحفه الملائكة باجنحتها ثم يركب بعضها بعضاً حتى يبلغوا السماء الدنيا من محبتهم لما يطلب». وعن كثير بن قيس قال : كنت جالساً مع ابي الدرداء في مسجد دمشق، فاتاه رجل فقال : يا أبا الدرداء : اني اتيتك من المدينة، مدينة الرسول (ص)، بحيث بلغني أنك تحدث عن رسول الله (ص) قال : فما جاء بك تجارة؟ قال : لا، فقال ولا جاء بك غيره؟ قال : لا، قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سلك الله به طريقاً الى الجنة، وان الملائكة لتضع اجنحتها رضى لطالب العلم، وان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب[4]. ان العلماء ورثة الانبياء، ان الانبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، انما ورثوا العلم، فمن أخذ به فقد اخذ بحظ وافر.

أسند بعض العلماء الى أبي يحيى زكريا بن يحيى الساجي انه قال : كنا نمشي في ازقة البصرة الى باب بعض المحدثين، فأسرعنا في المشي وكان معنا رجل ماجن

---

(١) خ : الله ساقطة.

(٢) م : يسئلوه.

(٣) خ : غسان.

(٤) خ : النجوم.

فقال : ارفعوا ارجلكم عن اجنحة الملائكة كالمستهزىء ، فما زال عن مكانه حتى جفّت رجلاه.

وأسند ايضاً الى داود السجستاني انه قال : كان في اصحاب الحديث رجل خليع الى ان سمع بحديث النبي (ص) : ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم ، فجعل في رجليه مسمارين من حديد وقال : اريد ان أطأ اجنحة الملائكة فأصابته الآكلة في رجليه.

وذكر ابو عبد الله محمد بن اسماعيل التيمي هذه الحكاية في شرح مسلم وقال : فشلّت رجلاه وسائر اعضائه.

ثالثاً : عن الائمة :

فصل : ومن طريق الخاصة ما رويناه بالاسناد الصحيح الى ابي الحسن علي بن موسى الرضا (ع) عن آبائه عليهم السلام ، عن النبي (ص) انه قال : «طلب العلم فريضة على كل مسلم ، فاطلبوا العلم في مظانّه واقتبسوه[1] من اهله ، فان تعلمه لله حسنة ، وطلبه عبادة ، والمذاكرة به تسبيح ، والعمل به جهاد ، وتعليمه من لا يعلمه صدقة ،وبذله لاهله قربة الى الله تعالى ، لانه معالم الحلال والحرام ، ومنار سبيل الجنة ، والمؤنس في الوحشة ، والصاحب في الغربة والوحدة ، والمحدث في الخلوة ، والدليل على السراء والضراء ، والسلاح على الاعداء ، والزين عند الاخلاء ، يرفع الله به اقواماً فيجعلهم في الخير قادة تقتبس آثارهم ، ويقتدى بفعالهم ، وينتهى الى آرائهم ، ترغب الملائكة في خلتهم ، وبأجنحتها تمسهم ، وفي صلواتها تبارك عليهم ، يستغفر لهم كل رطب ويابس ، حتى حيتان البحر وهوامه ، وسباع البر وانعامه . ان العلم حيوة القلوب من الجهل ، وضياء الابصار من الظلمة ، وقوة الابدان من الضعف ، يبلغ بالعبد منازل الاخيار ومجالس الابرار ، والدرجات العلى في الآخرة والاولى ، الذكر فيه يعدل بالصيام ، و[2] مدارسته بالقيام ، به يطاع الرب ويعبد ،

---

(١) خ : واقبسوه.

(٢) خ : واو ساقطة.

وبه توصل الارحام، ويعرف الحلال والحرام، العلم امام العمل، والعمل تابعه، يلهمه السعداء ويحرمه الاشقياء، فطوبى لمن لم يحرمه الله من حظه».

وعن امير المؤمنين (ع): ايها الناس: «اعلموا ان كمال الدين طلب العلم والعمل به، الا وان طلب العلم اوجب عليكم من طلب المال، ان المال مقسوم مضمون لكم، قد قسمه عادل بينكم وقد ضمنه وسيفي لكم، والعلم مخزون عند اهله فاطلبوه».

وعنه (ع): العالم افضل من الصائم القائم المجتهد، واذا مات العالم ثلم في الاسلام ثلم لا يسده الا خلف منه. وعنه (ع): كفى بالعلم شرفاً ان يدّعيه من لا يحسنه، ويفرح اذا نسب اليه، وكفى بالجهل ذماً ان يبرأ منه من هو فيه.

وعنه (ع) انه قال لكميل بن زياد: يا كميل، العلم خير من المال، العلم يحرسك وانت تحرس المال، والعلم حاكم والمال محكوم عليه، والمال ينقصه النفقة، والعلم يزكو على الانفاق[1].

وعنه (ع): العلم افضل من المال بسبعة:

الاول: انه ميراث الانبياء، والمال ميراث الفراعنة.

الثاني: العلم لا ينقص بالنفقة والمال ينقص.

الثالث: يحتاج المال الى الحافظ والعلم يحفظ صاحبه.

الرابع: العلم يدخل في الكفن ويبقى المال.

الخامس: المال يحصل للمؤمن والكافر والعلم لا يحصل الا للمؤمن.

السادس: جميع الناس يحتاجون الى العلم في امر دينهم ولا يحتاجون الى صاحب المال.

السابع: العلم يقوّي الرجل على المرور على الصراط والمال يمنعه.

---

(١) خ: انفاق.

وعنه (ع) : قيمة كل امرىء ما يعلمه ، وفي لفظ آخر ما يحسنه . وعن زين العابدين (ع) : لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج ، ان الله تعالى اوحى الى دانيال ان أمقت عبادي اليّ الجاهل المستخف بحق اهل العلم ، التارك للاقتداء بهم ، وان احب الناس عبيدي اليّ ، التقيّ الطالب للثواب الجزيل اللازم للعلماء ، القابل عن الحكماء.

وعن الباقر (ع) قال : من علّم باب هدى فله مثل اجر من عمل به ولا ينقص اولئك من [1] اجورهم شيئاً ، ومن علّم باب ضلالة كان عليه مثل اوزار من عمل به ، ولا ينقص لاولئك من اوزارهم شيئاً . وعنه (ع) : عالم ينتفع بعلمه افضل من سبعين الف عابد . وعنه (ع) : ان الذي يعلّم العلم منكم له مثل [2] اجر المتعلم ، وله الفضل عليه ، فتعلموا العلم من حملة العلم وعلموه اخوانكم كما علمكموه العلماء.

وعنه (ع) : لمجلس اجلسه الى من اثق به اوثق في نفسي من عمل سنة . وعن الصادق (ع) : من علّم خيراً فله مثل اجر من عمل به ، قلت فان علمه غيره يجري ذلك له قال : ان علمه الناس كلهم جرى له ، قلت : فان مات ، قال وان مات [3].

وعنه (ع) : تفقهوا في الدين فان من لم يتفقه منكم في الدين فهو اعرابي ، وان الله عز وجل يقول في كتابه : «ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون» (أ).

وعنه (ع) : «عليكم بالتفقه في دين الله ولا تكونوا اعراباً ، فان من لم يتفقه في الدين لم ينظر الله اليه يوم القيامة ، ولم يزكّ [4] له [5] عملاً» . وعنه (ع) : «لوددت ان اصحابي ضربت رؤوسهم [6] بالسياط حتي يتفقهوا» . وعنه (ع) : «ان العلماء

(١) خ : من ساقطة.
(٢) خ : مثلاً.
(٣) خ : قال : وان مات ، ساقطة.
(٤) خ : يزل.
(٥) خ : له ساقطة.
(٦) خ : الى رؤوسهم.

(أ) التوبة : ١٢٢

ورثة الانبياء، ان الانبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً، وانما ورثوا احاديث من احاديثهم، فمن اخذ بشيء منها فقد اخذ حظاً وافراً. فانظروا علمكم هذا عمن تأخذونه فان فينا اهل البيت في كل خلف عدولاً، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال وتأويل الجاهلين».

وعنه (ع): «اذا اراد الله بعبده خيراً فقّهه». وقال معاوية بن عمار للصادق (ع): «رجل راوية لحديثكم يبث ذلك في الناس ويسدده في قلوبهم وقلوب[1] شيعتكم. ولعل عابداً من شيعتكم ليست له هذه الرواية، ايهما افضل؟ قال الراوية[2] لحديثنا، يشد به قلوب شيعتنا افضل من الف عابد. وعنه (ع) قال[3]: ما من احد يموت من المؤمنين احب الى ابليس من موت فقيه. وعنه (ع): اذا مات المؤمن الفقيه ثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها شيء. وعن الكاظم (ع) قال: اذا مات المؤمن بكت عليه الملائكة وبقاع الارض التي كان يعبد الله عليها، وابواب السماء التي كانت تصعد منها اعماله، وثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها شيء، لان المؤمنين الفقهاء حصون الاسلام كحصن سور المدينة لها.

وعنه (ع) قال: دخل رسول الله (ص) المسجد[4] فاذا جماعة قد اطافوا برجل فقال: ما هذا؟ فقيل علّامة، فقال: وما العلّامة؟ فقالوا: اعلم الناس بأنساب العرب ووقائعها[5] والايام الجاهلية والاشعار العربية، قال: فقال النبي (ص): ذاك علم لا يضر من جهله ولا ينفع من علمه، ثم قال النبي (ص): انما العلم ثلاثة[6]: آية محكمة، او فريضة عادلة، او سنة قائمة، وما خلاهن فهو فضل.

---

(١) خ: وقلوب، ساقطة.
(٢) خ: الرواية.
(٣) خ: قال ساقطة.
(٤) م: المسجد ساقطة.
(٥) خ: و، ساقطة.
(٦) م، خ: ثلثة.

(رابعاً : من الاحاديث والتفسيرات) :

فصل

من تفسير العسكري في قوله تعالى: «واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله الى[1] قوله واليتامي»(أ)، قال الامام (ع): واما قوله عز وجل واليتامى، فان رسول الله (ص) قال: حث الله على بر اليتامى لانقطاعهم عن آبائهم، فمن صانهم صانه الله، ومن اكرمهم اكرمه الله، ومن مسح يده برأس يتيم رفقا به، جعل الله تعالى له في الجنة بكل شعرة مرَّت تحت يده قصراً اوسع من الدنيا بما فيها، وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الاعين وهم فيها خالدون.

قال الامام (ع): وأشد من يتم هذا اليتيم يتيم انقطع عن إمامه، لا يقدر على الوصول اليه، ولا يدري كيف حكمه فيما يبتلى به من شرائع دينه، ألا فمن كان من شيعتنا عالماً بعلومنا فهدى الجاهل[2] بشريعتنا المنقطع عن مشاهدتنا يتيم في حجره، ألا فمن هداه وأرشده وعلّمه شريعتنا كان معنا في الرفيق الاعلى، حدثني بذلك ابي عن ابيه عن آبائه عن رسول الله (ص).

وقال علي (ع): من كان من شيعتنا عالما بشريعتنا فاخرج ضعفاء شيعتنا من ظلمة جهلهم الى نور العلم الذي حبوناه به، جاء يوم القيامة على رأسه تاج من نور يضيء لاهل تلك العرصات، وحلة لا يقوم لأقلّ سلك منها الدنيا بحذافيرها، ثم ينادي منادٍ: هذا عالم من بعض تلامذة آل محمد (ص)، الا فمن اخرجه في الدنيا من حيرة جهله فليتشبث بنوره ليخرجه من حيرة ظلمة هذه العرصات الى نيرة الجنان، فيخرج كل من كان علمه في الدنيا خيراً او فتح عن[3] قلبه من الجهل قفلاً، او اوضح له عن شبهة.

---

(١) خ: الى، ساقطة.
(٢) خ: الجاهل.
(٣) خ: من.

(أ) البقرة: ٨٣.

قال : وحضرت امرأة[1] عند فاطمة الزهراء (ع) فقالت : ان لي والدة ضعيفة وقد لبس عليها في امر صلاتها شيء ، وقد بعثتني اليك اسألك ، فأجابتها عن ذلك ثم ثنت ، فأجابت . ثم ثلثت الى ان عشّرت فأجابت . ثم خجلت من الكثرة وقالت : لا أشق عليك يا بنت رسول الله ، قالت فاطمة : هاتي سلي عما بدا لك ، أرأيت من الذي يصعد يوماً الى سطح بحمل ثقيل وكراه مئة[2] الف دينار ، ايثقل عليه؟ فقالت : لا ، فقالت : اكريت انا لكل مسألة بأكثر من ملء ما بين الثرى الى العرش لؤلؤا فأحرى اذا[3] الا يثقل عليّ . سمعت ابي (ص) يقول : ان علماء شيعتنا يحشرون فيخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر علومهم وجدهم في ارشاد عباد الله ، حتى يخلع على الواحد منهم الف الف خلعة من نور ، ثم ينادي منادي ربنا عز وجل : «ايها الكافلون لأيتام آل محمد ، الناعشون لهم عند انقطاعهم عن ابائهم ، الذين هم ائمتهم ، هؤلاء تلامذتكم والايتام الذين كفلتموهم ونعشتموهم ، فاخلعوا عليهم خلع العلوم في الدنيا» .

فيخلعون على كل واحد من اولئك الايتام على قدر علم[4] ما اخذ عنهم من العلوم . حتى ان فيهم ، يعني في الايتام ، لمن يخلع عليه مائة الف حلة ، وكذلك يخلع هؤلاء الايتام على من تعلم منهم ، ثم ان الله تعالى يقول : اعيدوا على هؤلاء العلماء الكافلين للأيتام حتى تتموا لهم خلعهم وتضعفوا ، فيتم لهم ما كان لهم قبل ان يخلعوا عليهم ، ويضاعف لهم ، وكذلك مرتبتهم ممن[5] خلع عليهم ، على مرتبتهم .

قالت فاطمة (ع) : يا امة الله ، ان سلكاً من تلك الخلع لأفضل مما طلعت عليه الشمس الف الف مرة ، وما فضل ما طلعت عليه الشمس ، فانه مشوب بالتنغيص والكدر .

وقال الحسن بن علي (ع) : فضل كافل يتيم آل محمد عن مواليه الناشب في

(١) خ : امرئه .
(٢) م : مأة .
(٣) م : اذا ، ساقطة .
(٤) خ : علمه .
(٥) فمن .

الجهل يخرجه من جهله، ويوضح له ما اشتبه عليه ويطعمه ويسقيه، كفضل الشمس على النهار[١].

وقال الحسين بن علي (ع): من كفل لنا يتيما قطعته عنا محنتنا باستتارنا، فواساه من علومنا التي سقطت اليه حتى ارشده بهداه[٢]، قال الله عز وجل: يا ايها العبد الكريم المواسي اني اولى بهذا[٣] الكرم، اجعلوا له يا ملائكتي في الجنان بعدد كل حرف علّمه الف الف قصر، وضموا اليها ما يليق بها من سائر النعم.

وقال علي بن الحسين (ع): اوحى الله عز وجل الى موسى (ع) حببني الى خلقي وحبب خلقي الي، قال: «يا رب، كيف افعل؟ قال: ذكّرهم آلائي ونعمائي ليحبوني، فلأن ترد آبقاً[٤] عن بابي او ضالاً عن فنائي افضل لك من عبادة مائة سنة صيام نهارها وقيام ليلها. قال موسى (ع): ومن هذا العبد الآبق منك؟ قال: العاصي المتمرد، قال: فمن الضال عن فنائك؟ قال: الجاهل بامام زمانه، يعرفه الغائب عنه بعد ما عرفه الجاهل بشريعة دينه يعرّفه شريعته وما يعبد به ربه، ويتوصل به الى مرضاته. قال علي (ع): فابشروا معاشر علماء شيعتنا بالثواب الاعظم، والجزاء الاوفر.

وقال محمد بن علي (ع): العالم كمن معه شمعة تضيء للناس، فكل من ابصر شمعته دعا له بخير. كذلك العالم معه شمعة يزيل بها ظلمة الجهل والحيرة. فكل من اضاءت له فخرج بها من حيرة اونجا بها من جهل، فهو من عتقائه من النار، والله تعالى يعوّضه عن ذلك بكل شعرة لمن اعتقه ما هو افضل له من الصدقة بمائة الف قنطار على غير الوجه الذي امر الله عز وجل به، بل تلك الصدقة وبال على صاحبها، لكن يعطيه الله ما هو افضل من مائة الف ركعة بين يدي الكعبة.

(١) م: الها.
(٢) خ: هداه.
(٣) خ: بهذا، ساقطة.
(٤) م: ابقي.

وقال جعفر بن محمد (ع) : علماء شيعتنا مرابطون في الثغر الذي يلي ابليس وعفاريته ، يمنعونهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا ، وعن ان تسلط ابليس وشيعته النواصب ، الا فمن انتصب لذلك من شيعتنا كان افضل ممن جاهد الروم والترك والخزر الف الف مرة ، لانه يدفع عن اديان محبينا وذلك يدفع عن ابدانهم .

وقال موسى بن جعفر (ع) : فقيه واحد ينقذ يتيماً من ايتامنا المنقطعين عن مشاهدتنا ، والتعلم من علومنا اشد على ابليس من الف عابد ، لان العابد همه ذات نفسه فقط ، وهذا همه مع ذات نفسه ذات عباد الله وامائه لينقذهم من يد ابليس ومردته ، وكذلك هو افضل عند الله من الف عابد والف الف عابد[1] .

وقال علي بن موسى (ع) : يقال للعابد يوم القيامة نعم الرجل ، كفت[2] همتك ذات نفسك وكفيت الناس مؤنتك ، فادخل الجنة ، على ان الفقيه من افاض على الناس خيره وانقذهم من اعدائهم ووفر عليهم نعم جنان الله وفصّل لهم رضوان الله تعالى. ويقال للفقيه : ايها الكافل لأيتام آل محمد ، الهادي لضعفاء[3] محبيه ومواليه ، قف حتى تشفع لكل من اخذ عنك او تعلم منك ، فيقف[4] فيدخل الجنة فئام[5] وفئام حتى قال عشرا ، وهم الذين اخذوا عنه علومه ، واخذوا عمن اخذ عنه الى يوم القيامة ، فانظروا كم فرق[6] ما بين المنزلتين.

وقال محمد بن علي (ع) : ان من تكفل بايتام محمد ، المنقطعين عن امامهم المتحيرين في جهلهم ، الاسراء في ايدي شياطينهم وفي ايدي النواصب من اعدائنا فاستنقذهم منهم ، واخرجهم من حيرتهم ، وقهر الشياطين برد وسواسهم ، وقهر

---

(١) خ : والف الف عابد ، ساقطة .

(٢) م : كنت .

(٣) م : الضعفاء .

(٤) خ : فيقفز .

(٥) خ : مع فئام .

(٦) م : صرف .

الناصبين[1] بحجج ربهم ودليل ائمتهم، ليفضلوا عند الله على العابد[2] بافضل المواقع باكثر من فضل السماء على الارض، والعرش على الكرسي، والحجب على السماء، وفضلهم على هذا العابد كفضل القمر ليلة البدر على اخفى كوكب في السماء.

وقال علي بن محمد (ع): لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم من العلماء الداعين اليه، والدالين عليه، والذابين عن دينه بحجج الله، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك ابليس ومردته، ومن فخاخ النواصب الذين يمسكون ازمة قلوب ضعفاء الشيعة كما تمسك السفينة سكانها لما بقي احد الا ارتد عن دين الله، اولئك هم الافضلون عند الله عز وجل.

وقال الحسن العسكري: تأتي[3] علماء شيعتنا القوامون بضعفاء محبينا واهل ولايتنا يوم القيامة والانوار[4] تسطع من تيجانهم، على رأس كل واحد منهم بها تاج قد انبثت[5] تلك الانوار في عرصات يوم القيمة ودورها مَسيرة ثلثمائة الف سنة، فشعاع تيجانهم ينبث في كلها فلا يبقى هناك يتيم قد كفلوه من ظلمة الجهل علموه، ومن حيرة التيه اخرجوه، الا تعلق بشعبة من انوارهم فرفعتهم الى العلو حتى يحاذي بهم فوق الجنان، ثم ينزلونهم على منازلهم المعدة في جوار اساتذتهم ومعلميهم، وبحضرة ائمتهم الذين كانوا اليهم يدعون، ولا يبقى ناصب من النواصب يصيبه من شعاع تلك التيجان الا عميت عيناه، وصمت اذناه واخرس لسانه، وتحوّل عليه اشد من لهب النيران، فتحملهم حتى تدفعهم الى الزبانية فيدعوهم الى سواء الجحيم.

فهذه نبذة مما ورد في فضل العلم من الحديث، اقتصرنا عليها ايثاراً للاختصار ومناسبة للرسالة.

---

(١) خ: صبين.
(٢) م: العبيد.
(٣) خ: يأتي.
(٤) م: الا نوراً.
(٥) م: انث.

خامساً : من الحكمة القديمة :

ومن الحكمة القديمة. قال لقمان لابنه : يا بني ، اختر المجالس على عينك ، فان رأيت قوماً يذكرون الله فاجلس معهم ، فان تكن عالماً نفعك علمك ، وان تكن جاهلاً علّموك ، ولعل الله ان يظلهم برحمته فتعمك معهم ، واذا رأيت قوماً لا يذكرون الله فلا تجلس معهم ، فان تكن عالماً لم ينفعك علمك ، وان كنت جاهلاً يزيدوك جهلاً. ولعل الله ان يظلهم بعقوبة فتعمك معهم.

وفي التوراة ، قال الله تعالى لموسى : عظّم الحكمة ، فاني لا أجعل الحكمة في قلب واحد الا وأردت ان اغفر له. فتعلمها ثم اعمل بها ، ثم ابذلها كي تنال بذلك كرامتي في الدنيا والآخرة.

وفي الزبور : قل لأحبار بني اسرائيل ورهبانهم : حادثوا من الناس الاتقياء ، فان لم تجدوا فيهم تقياً فحادثوا العلماء ، فان لم تجدوا عالماً فحادثوا العقلاء. فان التقى والعلم والعقل ثلاث[1] مراتب ، ما جعلت واحدة منهن[2] في خلقي وانا اريد هلاكه. قيل : وانما قدّم التقى لأن التقى لا يوجد بدون العلم ، كما تقدم من ان الخشية لا تحصل الا بالعلم ، ولذلك قدم العلم على العقل لأن العالم لا بد وان يكون عاقلاً.

وفي الانجيل : قال الله تعالى في السورة السابعة عشرة منه : ويل لمن سمع بالعلم ولم يطلبه ، كيف يحشر مع الجهال الى النار. اطلبوا العلم وتعلموه ، فان العلم ان لم يسعدكم لم يشقكم ، وان لم (٣) يرفعكم لم يضعكم ، وان لم يغنكم لم يفقركم ، وان لم ينفعكم لم يضركم. ولا تقولوا نخاف ان نعلم ولا نعمل ، ولكن قولوا نرجو ان نعلم ونعمل. والعلم يشفع لصاحبه وحق على الله ان لا يخزيه. ان الله تعالى يقول يوم

---

(١) م ، خ : ثلث.

(٢) خ : منهم.

(٣) خ : لم ، ساقطة.

القيامة : يا معشر العلماء ، ما ظنكم بربكم ، فيقولون : ظننا ان يرحمنا ويغفر لنا ، فيقول تعالى : فاني قد فعلت ، اني استودعتكم حكمتي لا لشر أردته بكم ، بل لخير اردته بكم ، فادخلوا في صالح عبادي الى جنتي برحمتي.

وقال مقاتل بن سليمان : وجدت في الانجيل ان الله تعالى قال لعيسى : عظّم العلماء واعرف فضلهم ، فاني فضلتهم على جميع خلقي ، الا النبيين والمرسلين كفضل الشمس على الكواكب (١) ، وكفضل الآخرة على الدنيا ، وكفضلي على كل شيء.

ومن كلام المسيح (ع) : من علم وعمل فذاك يدعى عظيماً في ملكوت السماء.

سادساً : من الآثار :

ومن الآثار ، عن ابي ذر (رضي الله عنه) : باب من العلم نتعلمه أحب الينا من الف ركعة تطوعاً. وقال (ص) : سمعنا رسول الله يقول : اذا جاء الموت طالب العلم وهو على هذه الحال مات شهيداً.

وعن وهب بن منبة : تشعب من العلم الشرف ، وان كان صاحبه دنيّاً ، والعز وان كان مهيناً ، والقرب وان كان قصيّاً ، والغنى وان كان فقيراً ، والنبل وان كان حقيراً ، والمهابة وان كان وضيعاً ، والسلامة وان كان سقيماً.

وقال بعض العارفين : أليس المريض اذا منع عنه الطعام والشراب والدواء يموت؟ كذا القلب اذا منع عنه العلم والفكر والحكمة يموت.

وقال آخر : من جلس عند العالم ولم يطق الحفظ من علمه ، فله سبع كرامات : ينال فضل المتعلمين ، ويحبس عن الذنوب ما دام عنده ، وتنزل الرحمة عليه اذا خرج من منزله طالباً للعلم. واذا جلس في حلقة العالم نزلت الرحمة عليه فحصل له منها نصيب ، وما دام في الاستماع يكتب له طاعة. واذا استمع ولم يفهم ، ضاق قلبه بحرمانه عن ادراك العلم ، فيصير ذلك الغم وسيلة الى حضرة الله تعالى لقوله : انا

(١) م : الكوكب.

عند المنكسرة قلوبهم. ويرى اعزاز المسلمين للعالم واذلالهم للفساق، فيرد قلبه عن الفسق وتميل[١] طبيعته الى العلم. ولهذا امر صلى الله عليه وآله بمجالسة الصالحين.

وقال ايضاً: من جلس مع ثمانية اصناف من الناس زاده الله ثمانية اشياء: من جلس[٢] مع الاغنياء زاده الله حب الدنيا والرغبة فيها، ومع الفقراء حصل له الشكر والرضى بقسم الله، ومع السلطان زاده الله القسوة والكبر، ومع النساء زاده الله الجهل والشهوة، ومع الصبيان ازداد من الجرأة[٣] على الذنوب وتسويف التوبة، ومع الصالحين ازداد رغبة في الطاعات، ومع العلماء ازداد من العلم.

علّم[٤] الله سبعة نفر سبعة اشياء: آدم الاسماء كلها، والخضر علم الفراسة، ويوسف علم التعبير، وداود صنعة[٥] الدروع، وسليمان منطق الطير، وعيسى التوراة[٦] والانجيل. (ونعلمه[٧] الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل)، ومحمداً صلى الله عليه وآله علم الشرع والتوحيد، «ونعلمك الكتاب والحكمة».

فعلم آدم (ع) كان[٨] سببا في سجود الملائكة له والرفعة، وعلم الخضر كان سببا لوجود موسى (ع) تلميذاً له، ويوشع (ع) وتذلله[٩] كما يستفاد من الآيات الواردة في القصة، وعلم يوسف (ع) كان سببا لوجدان الاهل والمملكة والاجتباء، وعلم داود كان سببا للرياسة والدرجة، وعلم سليمان كان سبب وجدان بلقيس والغلبة، وعلم عيسى كان سبباً لزوال[١٠] التهمة عن امه، وعلم محمد (ص) كان سبباً في الشفاعة.

---

(١) م: وتمثل.
(٢) خ: من جلس، ساقطة.
(٣) م، خ: الجرئة.
(٤) خ: وعلم.
(٥) خ: سعة.
(٦) خ: التوراة.
(٧) خ: ويعلمه.
(٨) خ: كان، ساقطة.
(٩) خ: له، زائدة.
(١٠) م: الجنة وما بعدها ساقط.. في الشفاعة.

طريق الجنة[1] في ايدي اربعة : العالم والزاهد والعابد والمجاهد ، فاذا صدق العالم في دعواه رزق الحكمة ، والزاهد يرزق الامن ، والعابد الخوف ، والمجاهد الثناء.

سابعاً : عن العلماء والحكماء :

قال بعض المحققين : العلماء ثلاثة[2] : عالم بالله غير عالم بأمر الله ، فهو عبد استولت المعرفة الآلهية على قلبه فصار مستغرقاً بمشاهدة نور الجلال والكبرياء ، فلا يتفرغ لتعلم علم الاحكام الا ما لا بد منه . وعالم بامر الله غير عالم بالله ، وهو الذي عرف الحلال والحرام ودقائق الاحكام ، لكنه لا يعرف اسرار جلال الله . وعالم بالله وبأمر الله ، فهو جالس على الحد المشترك بين عالم المعقولات وعالم[3] المحسوسات ، فهو تارة مع الله بالحب له وتارة مع الخلق بالشفقة والرحمة ، فاذا رجع من ربه الى الخلق صار معهم كواحد منهم ، كأنه لا يعرف الله ، واذا خلا بربه مشتغلاً بذكره وخدمته ، فكأنه لا يعرف الخلق ، وهذا سبيل المرسلين والصديقين وهو المراد بقوله صلى الله عليه وآله : سائل العلماء ، وخالط الحكماء ، وجالس الكبراء . فالمراد بقوله (ص) سائل العلماء ، العلماء بامر الله غير العالمين بالله ، فأمر بمساءلتهم عند الحاجة الى الاستفتاء. واما الحكماء : فهم العالمون بالله الذين لا يعلمون اوامر الله ، فأمر بمخالطتهم . واما الكبراء : فهم العالمون بهما ، فأمر بمجالستهم لأن في مجالستهم خير الدنيا والآخرة .

ولكل واحد من الثلاثة ثلاث علامات : فللعالم بأمر الله : الذكر باللسان دون خوف ، والخوف من الخلق دون الرب والاستحياء من الناس في الظاهر ولا يستحيي من الله في السر.

---

(١) م : الجنة ساقطة .

(٢) م ، خ : ثلثة .

(٣) خ : و ، ساقطة .

والعالم بالله ذاكر خائف مستحي : اما الذكر فذكر القلب لا اللسان ، والخوف خوف الرجاء لا خوف المعصية ، والحياء حياء ما يخطر على القلب لا حياء الظاهر.

والعالم بالله وامره ، له ستة اشياء : الثلاثة[١] المذكورة للعالم بالله فقط مع ثلاثة[٢] اخرى ، كونه جالساً على الحد المشترك بين عالم الغيب وعالم الشهادة ، وكونه معلماً للمسلمين ، وكونه بحيث يحتاج الفريقان الاولان اليه وهو مستغن عنهما.

فمثل العالم بالله وبامر الله كمثل الشمس لا يزيد ولا ينقص ، ومثل العالم بالله فقط كمثل القمر يكمل تارة وينقص اخرى ، ومثل العالم بأمر الله كمثل السراج يحرق نفسه ويضيء لغيره.

---

(١) م ، خ : الثلثة.
(٢) م ، خ : ثلثة.

الفصل الثاني : شواهد عقلية

واما دليل العقل فنذكر منه وجهين :

أحدهما :

ان المعقولات تنقسم الى موجودة ومعدومة والعقول السليمة تشهد بأن الموجود اشرف من المعدوم ، بل لا شرف للمعدوم اصلاً ، ثم الوجود ينقسم الى جماد ونام ، والنامي اشرف من الجماد ، ثم النامي ينقسم الى حساس وغيره ، والحساس اشرف من غيره ، ثم الحساس ينقسم الى عاقل وغير عاقل ، ولا شك ان العاقل اشرف من غيره ، ثم العاقل ينقسم الى عالم وجاهل ، ولا شبهة في ان العالم اشرف من الجاهل . فتبين بذلك ان العالم اشرف المعقولات والموجودات ، وهذا امر يلحق بالواضحات .

والثاني :

ان الامور على اربعة اقسام : قسم يرضاه العقل ولا ترضاه الشهوة ، وقسم عكسه ، وقسم يرضيانه وقسم لا يرضيانه .

فالاول : كالامراض والمكاره في الدنيا ، والثاني : المعاصي اجمع ، والثالث : العلم ، والرابع : الجهل . فنزل[1] العلم من الجهل بمنزلة الجنة من النار ، فكما ان العقل والشهوة لا يرضيان بالنار ، كذا لا يرضيان[2] بالجهل . وكما انهما يرضيان بالجنة ، كذا يرضيان بالعلم ، فمن رضي بالعلم فقد خاض في جنة حاضرة ، وبالجهل فقد رضي بنار حاضرة ، ثم من اختار العلم يقال له بعد الموت تعودت المقام في الجنة فادخلها ، وللآخر تعودت النار فادخلها .

والدليل على ان العلم جنة والجهل نار ، ان كمال اللذة في ادراك المخفيات ، وكمال

(١) خ : فمنزلة .

(٢) خ : يرضان .

الالم في البعد عن المحبوب ، فالجراحة انما تؤلم لأنها تبعد جزءاً من البدن عن جزء محبوب[1] من تلك الاجزاء هو الاجتماع ، والاحراق بالنار اشد ايلاماً من الجرح لان الجرح لا يقبل الا تبعيد جزء معين ، والنار تغوص في جميع الاجزاء ، ويقتضي تبعيد بعض الاجزاء عن بعض. واذا تقرر ذلك فكلما كان الادراك اغوص وأشد ، والمدرك اشرف واكمل والمدرك انقى وأتقى فاللذة اشرف. ولا شك ان محل اللذة هو الروح وهو اشرف من البدن ، وان ادراك العقل اغوص واشرف ، واما المعلوم فلا شك انه اشرف لانه هو الله رب العالمين وجميع مخلوقاته من الملائكة وغيرهم ، وجميع تكليفاته. واي معلوم اشرف من ذلك؟

فاذن قد تطابق العقل والنقل على شرف العلم ، وارتفاع محله ، وعظم جوهره ، ونفاسة ذاته. ولنقتصر من المقدمة على هذا القدر.

* * *

(١) خ : والمحبوب.

الباب الأول

في آداب المعلّم والمتعلّم

النوعُ الأول : آدابٌ يَشتركان بهما .

القِسم الأول : آدابهما في أنفسهما

القِسمُ الثاني : آدابهما في درسهما واشتغالهما

النوعُ الثاني : آدابٌ يختصُّ بها المعلِّم .

أوّلاً : آدابه في نفسه . وفيه ثمانية أمور

ثانيًا : آدابه مع طلبته . وفيه عشرون أمرًا

ثالثًا : آدابه في درسه . وفيه ثلاثون أمرًا

النوعُ الثالث : آدابٌ يختصُّ بها المتعلّم .

أولاً : آدابه في نفسه . وفيه ثمانية أمور .

ثانيًا : آدابه مع شيخه . وفيه أربعون أمرًا

ثالثًا : آدابه في درسه . وفيه ثلاثون أمرًا

الباب الأوّل

في آداب المعلّم والمتعلّم

وهي ثلاثة أنواع

النوع الأول : آداب اشتركا فيها وهي قسمان :
آدابهما في أنفسهما - وآدابهما في مجلس الدرس

القسم الأول : آدابهما في أنفسهما

الأمر الأول : في النية

أ — من الكتاب والسنة :

أول ما يجب عليهما اخلاص النية لله تعالى في طلبه وبذله ، فان مدار الاعمال على النيات ، وبسببها يكون العمل تارة خزفة لا قيمة لها ، وتارة جوهرة لا يعلم قيمتها لعظم قدرها . وتارة وبالاً على صاحبه ، مكتوب في ديوان السيئات وان كان بصورة الواجبات .

فيجب على كل منهما ان يقصد بعمله وجه الله تعالى ، وامتثال امره واصلاح نفسه ، وارشاد عباده الى معالم دينه ، ولا يقصد بذلك عرض الدنيا من تحصيل مال او جاه او شهرة ، أو تمييز[1] عن الاشباه او المفاخرة للاقران . او الترفع على الاخوان ، او نحو ذلك من الاغراض الفاسدة التي تثمر الخذلان من الله تعالى وتوجب المقت ، وتفوت الدار الآخرة والثواب الدائم ، فيصير من الاخسرين اعمالا[2] ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا .

والأمر الجامع للاخلاص تصفية السر عن ملاحظة ما سوى الله تعالى بالعبادة . قال الله تعالى : «فاعبد الله مخلصا له الدين ، ألا لله الدين الخالص»(أ).

---

(١) خ : تميز.

(٢) خ : اعمال.

(أ) الزمر : ٢.

وقال تعالى : «وما امروا الا ليعبدوا[1] الله مخلصين له الدين حنفاء الى قوله وذلك دين القيِّمة »(أ). وقال تعالى : «فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احداً(ب). قيل نزلت فيمن يعمل العمل ويحب ان يحمد عليه.

وقال تعالى : «من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها ، وما له في الآخرة من نصيب»(ج). وقال تعالى : «من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ، ثم جعلنا له جهنم يصلنها مذموما مدحورا»(د).

وقال النبي (ص) : «انما الاعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء مانوى. فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها وامرأة ينكحها ، فهجرته الى ما هاجر اليه». وهذا الخبر من اصول الاسلام وأحد[2] قواعده وأول دعائمه. قيل : وهو ثلاث[3] : العلم ،ووجّهه بعض الفضلاء بأن كسب العبد يكون بقلبه ولسانه وبنانه ، فالنية احد اقسام كسب الثلاثة[4] وهي ارجحها ، لأنها تكون عبادة بانفرادها بخلاف القسمين الآخرين[5]. وكان السلف وجماعة من تابعيهم يستحبون استفتاح المصنفات بهذا الحديث تنبيها للمطلع على حسن النية وتصحيحها واهتمامه بذلك واعتنائه به.

وقال (ص) : نية المؤمن خير من عمله ، وفي لفظ آخر ابلغ من عمله. وقال (ص) : انما يبعث الناس على نياتهم. وقال (ص) مخبرا عن جبرئيل عن الله عز وجل انه قال : الاخلاص سر من اسراري استودعته قلب من احببت من عبادي.

---

(١) م : ليعبد.
(٢) خ : اخذ.
(٣) م ، خ : ثلث.
(٤) م ، خ : الثلثة.
(٥) م : الآخرين ، ساقطة.

(أ) البينة : ٥.
(ب) الكهف : ١١٠.
(ج) الشورى : ٢٠.
(د) الاسراء : ١٨.

وقال (ص) : اول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به فعرّفه نعمه فعرفها قال : فما عملت فيها؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت. قال : كذبت ولكنك قاتلت ليقال جريء ، فقد قيل ذلك ثم امر به فسحب[1] على وجهه حتى القي في النار.

ورجل تعلم العلم وعلّمه وقرأ[2] القرآن ، فأتي به فعرّفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها؟ قال : تعلمت العلم وعلمته ، وقرأت فيك القرآن ، قال : كذبت ، ولكنك تعلمت ليقال عالم ، وقرأت القرآن ليقال قارىء ، فقد قيل : ثم امر به فسحب على وجهه حتى القي في النار.

وقال (ص) : من تعلم علما مما يبتغي به وجه الله عز وجل لا يتعلمه الا ليصيب به غرضا من الدنيا ، لم يجد عرف[3] الجنة يوم القيمة. وقال (ص) : من تعلم علما لغير الله واراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار. وقال (ص) : من طلب العلم ليجادل[4] به العلماء او ليماري به السفهاء ويصرف به وجوه الناس اليه ادخله الله[5] النار. وفي رواية فليتبوأ مقعده من النار.

وقال (ص) : لا تعلموا العلم لتماروا به السفهاء ، وتجادلوا به العلماء ، ولتصرفوا وجوه الناس اليكم ، وابتغوا بقولكم ما عند الله فانه يدوم ويبقى وينفد ما سواه. كونوا ينابيع الحكمة ، مصابيح الهدى ، احلاس البيوت ، سرج الليل ، جدد القلوب ، خلقان الثياب تعرفون في اهل السماء وتخفون في اهل الارض.

وقال (ص) : من طلب العلم لأربع دخل النار : ليباهي به العلماء ، او يماري به السفهاء ، أو ليصرف به وجوه الناس ، او يأخذ به من الامراء. وقال (ص) : ما

---

(١) خ : فيسحب.
(٢) م ، خ : قرء.
(٣) خ : غرف ولعلها غرض.
(٤) م : ليجاري.
(٥) خ : الله ، ساقطة.

ازداد عبد علما فازداد في الدنيا رغبة الا ازداد من الله بعداً. كل علم وبال على صاحبه يوم القيامة الا من عمل به وقال (ص) : اشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه[1] علمه. وقال (ص) : مثل الذي يعلّم الناس الخير وينسى نفسه، مثل الفتيلة تضيء[2] للناس وتحرق[3] نفسها. وفي رواية كمثل السراج.

وقال (ص) : علماء هذه الامة[4] رجلان : رجل اتاه الله علما فبذله للناس ولم يأخذ عليه طعما[5] ولم يشربه ثمنا فذلك تستغفر له حيتان البحر ودواب[6] البر، والطير في جو السماء، ويقدم على الله سيدا شريفا حتي يرافق المرسلين. ورجل اتاه الله علما فبخل به عن عباد الله، واخذ عليه طعما[7] وشرى به ثمنا، فذاك[8] يلجم يوم القيامة بلجام من نار، وينادي مناد : هذا الذي اتاه الله علما فبخل به عن عباد الله، وأخذ عليه طعما[9] واشترى به ثمنا وكذلك[10] حتى يفرغ[11] الحساب.

وقال (ص) : العلم علمان : فعلم في القلب فذاك العلم النافع، وعلم على اللسان فذاك حجة الله على ابن آدم. وقال (ص) : اني لا اتخوف على امتي مؤمنا ولا مشركا، فأما المؤمن فيحجزه ايمانه، واما المشرك فيقمعه كفره، ولكن أتخوف عليكم منافقا عليم اللسان، يقول ما تعرفون ويعمل ما تنكرون.

وقال (ص) : ان اخوف ما اخاف عليكم بعدي كل منافق عليم اللسان. وقال (ص) : الا ان شر الشر شرار العلماء، وان خير الخير خيار العلماء. وقال (ص) : من قال انا عالم فهو جاهل. وقال (ص) : يظهر الدين حتى يجاوز البحار ويخاض البحار في سبيل الله، ثم يأتي من بعدكم اقوام يقرأون القرآن يقولون قرأنا القرآن من أقرأ منا؟ ومن افقه منا؟ ومن اعلم منا؟ ثم التفت الى اصحابه فقال : هل في اولئك من خير؟ قالوا لا. قال : اولئك منكم من هذه الأمة واولئك هم وقود النار.

---

(١) خ : ينفع.
(٢) م : يضيء.
(٣) م : يحرق.
(٤) خ : لامه.
(٥) خ : طمعاً.
(٦) خ : ذوات.
(٧) خ : طمعاً.
(٨) خ : فذلك.
(٩) خ : طمعاً.
(١٠) م : كك.
(١١) خ : من، زائدة.

ب : من طريق الخاصة :

روى الكليني باسناده الى علي (ع) قال : قال رسول الله (ص) : منهومان لا يشبعان : طالب دنيا وطالب علم ، فمن اقتصر من الدنيا على ما احل الله له سلم ، ومن تناولها من غير حلها هلك الا ان يتوب ويتراجع ، ومن اخذ العلم من اهله وعمل به نجا ومن اراد به الدنيا فهي حظه.

وباسناده الى الباقر (ع) قال : من طلب العلم ليباهي به العلماء او يماري به السفهاء او يصرف به وجوه الناس اليه فليتبوأ مقعده من النار ، ان الرئاسة لا تصلح الا لأهلها.

وباسناده الى ابي عبد الله (ع) قال : من اراد الحديث لمنفعة الدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب ، ومن اراد به خير الآخرة اعطاه الله خير الدنيا والآخرة. وعنه (ع) : اذا رأيتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم ، فان كل محب لشيء يحوط ما أحب. وقال : اوحى الله الى داود (ع) : لا تجعل بيني وبينك عالما مفتونا بالدنيا فيصدك عن طريق محبتي ، فان اولئك قطاع طريق عبادي المريدين ، ان أدنى ما أنا صانع بهم ان انزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم.

وعنه (ع) قال : قال رسول الله (ص) : الفقهاء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا ، قيل يا رسول الله وما دخولهم في الدنيا ؟ قال : اتباع السلطان فاذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم.

وعنه (ع) قال : طلبة العلم ثلاثة[1] فاعرفوهم باعيانهم وصفاتهم : صنف يطلبه للجهل والمراء ، وصنف يطلبه للاستطالة والحيل ، وصنف يطلبه للتفقه والعمل. فصاحب الجهل والمراء مذموم [2]. متعرض للمقال في اندية الرجال بتذاكر العلم وصفة الحلم قد تسربل بالخشوع ، وخلا من الورع ، فدق الله من هذا خيشومه[3]

(١) م ، خ : ثلثة.

(٢) خ : مؤذٍ ممارٍ.

(٣) خ : خشومه.

وقطع منه حيزومه[1]. وصاحب الاستطالة والحيل ذو خب وملق ، يستطيل على مثله من اشباهه ، ويتواضع للأغنياء من دونه ، فهو لحلواتهم هاضم ، ولدينه حاطم ، فاعمى الله على هذا خبره ، وقطع من آثار العلماء اثره ، وصاحب الفقه والعمل ، ذو كآبة وحزن وسهر ، قد تحنك في برنسه ، وقام الليل في حندسه ، يعمل ويخشى وجلا داعيا مشفقا مقبلا على شأنه ، عارفا بأهل زمانه ، مستوحشا من اوثق اخوانه ، فشد الله من هذا اركانه ، واعطاه يوم القيامة امانه.

وروى الصدوق في كتاب الخصال ، باسناده الى ابي عبد الله[2] (ع) قال : ان من العلماء من يحب ان يجمع علمه ولا يحب ان يؤخذ عنه ، فذلك في الدرك[3] الثاني من النار ، ومن العلماء من يرى ان يضع العلم عند ذوي[4] الثروة والشرف ، ولا يرى له في المساكين موضعا[5] ، فذلك في الدرك الثالث من النار ، ومن العلماء من يذهب في علمه مذهب الجبابرة والسلاطين ، فان رد عليه وقصر في شيء من امره غضب ، فذلك في الدرك الرابع من النار. ومن العلماء من يطلب احاديث اليهود والنصارى ليغزر به علمه ويكثر به حديثه ، فذاك في الدرك الخامس من النار. ومن العلماء من يضع نفسه للفتيا ويقول سلوني ، ولعله لا يصيب حرفا واحدا ، والله لا يحب المتكلفين ، فذاك في الدرك السادس من النار ، ومن العلماء من يتخذ العلم مروّة وعقلا فذاك في الدرك السابع من النار.

ج : من احاديث الانبياء والرسل :

فصل : عن النبي (ص) ان موسى لقي الخضر فقال اوصني ، فقال الخضر : يا طالب العلم ، ان القائل اقل ملالة من المستمع فلا تملّ جلساءك اذا حدثتهم ، واعلم ان قلبك وعاء فانظر ما تحشو به وعاءك ، واعرف الدنيا وانبذها وراءك فانها

---

(١) خ : الصدر ، زائدة.
(٢) خ : أبيعبد الله.
(٣) خ : درك.
(٤) م : ذي.
(٥) م : وضعاً.

ليست لك بدار ولا لك فيها محل قرار ، وانها جعلت بلغة للعباد ليتزودوا منها للمعاد. يا موسى : وطّن نفسك على الصبر تلقَ الحلم ، واشعر قلبك التقوى[1] تنل العلم ، ورضّ نفسك على الصبر تخلص من الاثم. يا موسى : تفرغ للعلم ان كنت تريده ، فانما العلم لمن تفرغ له ولا تكوننّ مكثارا بالمنطق ، مهذارا ، ان كثرة المنطق تشين العلماء ، وتبدي مساوىء السخفاء ، ولكن عليك بذي اقتصار[2] فان ذلك من التوفيق والسداد ، واعرض عن الجهال ، واحلم عن السفهاء ، فان ذلك فضل الحلماء ، وزين العلماء. اذا شتمك الجاهل فاسكت عنه سلما ، وجانبه حزما ، فان ما بقي من جهله عليك ، وشتمه اياك أكثر.

يا بن عمران : لا تفتحن بابا لا تدري ما غلقه ، ولا تغلقن بابا لا تدري ما فتحه . يا بن عمران : من لا تنتهي من الدنيا نهمته ولا تنقضي فيها رغبته كيف يكون عابدا ، من يحقر حاله ويتهم الله بما قضى له كيف يكون زاهدا . يا موسى : تعلم ما تعلم لتعمل به ، ولا تعلمه لتحدث به ، فيكون عليك بوره ، ويكون على غيرك نوره .

ومن كلام عيسى (ع) : تعملون للدنيا وانتم ترزقون فيها بغير عمل ، ولا تعملون للآخرة وانتم لا ترزقون فيها الا بالعمل ، وانكم علماء السوء ، الاجر تأخذون ، والعمل تضيعون ، يوشك رب العمل ان يطلب عمله ، وتوشكون ان تخرجوا من الدنيا العريضة الى ظلمة القبر وضيقه . الله نهاكم عن الخطايا كما امركم بالصيام والصلاة ، كيف يكون من اهل العلم من سخط رزقه ، واحتقر منزلته وقد علم ان ذلك من علم الله وقدرته ، كيف يكون من اهل العلم من اتهم الله فيما قضى له ، فليس يرضى شيئا اصابه ، وكيف يكون من اهل العلم من دنياه آثر عنده من آخرته وهو مقبل على دنياه ، وما يضره احب إليه مما ينفعه ، كيف يكون من اهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به ولا يطلب ليعمل به .

ومن كلامه (ص) : ويل لعلماء السوء ، تصلى عليهم النار ، ثم قال : اشتدت مؤنة الدنيا ومؤنة الآخرة ، اما مؤنة الدنيا فانك لا تمد يدك الى شيء منها الا وجدت

---

(١) خ : بالتقوى.

(٢) خ : اقتصاد.

فاجرا قد سبقك اليه ، واما مؤنة الآخرة فانك لا تجد اعوانا يعينونكعليها . (واوحى الله الى داود لا تجعل)[1] .

وعن ابي ذر (رضي الله عنه) قال : من تعلم علما من علم الآخرة ليريد به غرضا من غرض الدنيا لم يجد ريح الجنة.

د : في درجة الاخلاص :

فصل : هذه الدرجة وهي درجة الاخلاص ، عظيمة المقدار ، كثيرة الاخطار ، دقيقة المعنى ، صعبة المرتقي ، يحتاج طالبها الى نظر دقيق ، وفكر صحيح ، ومجاهدة تامة ، وكيف لا يكون كذلك وهو مدار القبول ، وعليه يترتب الثواب ، وبه تظهر ثمرة عبادة العابد ، وتعب العالم ، وجد المجاهد ، ولو فكر الانسان في نفسه ، وفتش عن حقيقة عمله لوجد الاخلاص فيه قليلا ، وشوائب الفساد اليه متوجهة ، والقواطع عليه متراكمة ، سيما المتصف بالعلم وطالبه ، فان الباعث الأكثرى سيما في الابتداء لباغي[2] العلم طلب الجاه والمال والشهرة ، وانتشار الصيت ولذة الاستيلاء ، والفرح بالاستتباع ، واستثارة الحمد والثناء ، وربما يلبّس عليهم الشيطان مع ذلك ويقول لهم : غرضكم نشر دين الله والنضال عن الشرع الذي شرعه رسول الله(ص).

والمظهر لهذه المقاصد يتبين عند ظهور احد من الاقران أكثر علما منه ، واحسن حالا بحيث يصرف الناس عنه ، فلينظر حينئذ[3] ، فان كان حاله مع الموقر له والمعتقد لفضله احسن ، وهو له أكثر احتراما ، وبلقائه اشد استبشارا ممن يميل الى غيره ، مع كون ذلك الغير مستحقا للموالاة فهو مغرور عن دينه مخدوع . وهو لا يدري كيف.

(١) م : ما بين القوسين زائد.

(٢) خ : الباغي.

(٣) م ، خ : ح.

وربما انتهى الأمر بأهل العلم الى ان يتغايروا تغاير [1] النساء ، فيشق على احدهم ان يختلف بعض تلامذته الى غيره ، وان كان يعلم أنه منتفع بغيره ، ومستفيد منه في دينه ، وهذا رشح الصفات المهلكة المستكنة في سر القلب ، التي يظن العالم النجاة منها وهو مغرور في ذلك ، وانما تنكشف بهذه العلامات ونحوها . ولو كان الباعث له على العلم هو الدين لكان اذا ظهر غيره شريكا او مستندا او معينا على التعليم ، لشكر الله تعالى ، اذ كفاه و [2] اعانه على هذا المهم بغيره ، وكثر اوتاد الارض ، ومرشدي الخلق ، ومعلميهم دين الله تعالى ، ومحيي سنن المرسلين.

وربما لبّس الشيطان على بعض العالمين ، ويقول انما غمك [3] لانقطاع الثواب عنك ، لا لانصراف وجوه الناس الى غيرك ، اذ لو رجعوا اليك ، او اتعظوا بقولك ، وأخذوا عنك ، لكنت انت المثاب ، واغتمامك لفوات الثواب محمود ، ولا يدري المسكين ان انقياده للحق وتسليمه الأمر للأفضل أجزل ثوابا ، وأعود عليه في الآخرة من انفراده.

وليعلم ان اتباع الانبياء والائمة ، لو اغتموا من حيث فوات هذه المرتبة لهم ، واختصاص اهلها بها ، لكانوا مذمومين في الغاية ، بل انقيادهم الى الحق وتسليم الأمر الى اهله ، افضل الاعمال بالنسبة اليهم ، وأعود عليهم في الدين.

وهذا كله من غرور الشيطان وخدعه . بل قد ينخدع بعض [4] اهل العلم بغرور الشيطان ، ويحدث نفسه بأنه لو ظهر من هو أولى منه لفرح به ، وإخباره لذلك عن نفسه قبل التجربة والامتحان غرور [5] ، فان النفس سهلة القياد [6] في الوعد بأمثال ذلك قبل نزول الأمر . ثم اذا دهاه الأمر تغير ورجع ، ولم يفِ بالوعد الا من عصمه الله تعالى.

---

(١) خ : لا ، زائدة.
(٢) م : أو.
(٣) خ : عملك.
(٤) م : بعض ، ساقطة.
(٥) م : غرور ، ساقطة.
(٦) م : القتاد.

وذلك لا يعرفه الا من عرف مكايد[1] النفس، وطال اشتغاله بامتحانها، ومن احس في نفسه بهذه الصفات المهلكة، فالواجب عليه طلب علاجها من ارباب القلوب، فان لم يجدهم فمن كتبهم المصنفة في ذلك. وان كان كلا الأمرين قد انمحى اثره، وذهب مخبره، ولم يبق الا خبره، نسأل[2] الله تعالى المعونة والتوفيق. فان من عجز عن ذلك فالواجب عليه الانفراد والعزلة، وطلب الخمول، والمدافعة مهما سئل الا ان يحصل على شريطة التعلم والعلم.

وربما يأتيه الشيطان هنا من وجه آخر، ويقول هذا الباب لو فتح لاندرست العلوم، وخرب الدين من بين الخلق لقلة الملتفت الى الشرائط، والمتلبس بالاخلاص. مع ان عمارة الدين من اعظم الطاعات، فليجبه بأن دين الاسلام لا يندرس بسبب ذلك، ما دام الشيطان يحبب الى الخلق الرياسة. وهو لا يفتر عن عمله الى يوم القيمة، بل ينتهض لنشر العلم اقوام لا نصيب لهم في الآخرة، كما قال رسول الله (ص): ان الله يؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم.

وقوله (ص): ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، فلا ينبغي ان يغتر بهذه التلبيسات فيشتغل بمخالطة الخلق حتى يتربى في قلبه حب الجاه والثناء والتعظيم، فان ذلك بذر النفاق.

وقال (ص): حب الجاه والمال ينبت النفاق في القلب، كما ينبت الماء البقل. قال (ص): ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم، بأكثر فسادا منها من حب الجاه والمال في دين المرء المسلم، فليكن فكره في التفطن لخفايا هذه الصفات من قلبه، وفي استنباط طريق الخلاص منها، فان الفتنة والضرر بهذه الصفات من العالم والمتعلم أعظم منها في غيره بمراحل، فانه مقتدى به فيما يأتي ويذر، فيقول الجاهل لو كان ذلك مذموما لكان العلماء اولى باجتنابه منا، فيتلبسون[3] بهذه الاخلاق الذميمة.

---

(١) م: مكايدة.
(٢) م ٠ خ: نستئل.
(٣) م: فيلبسون.

الا ان بين الذنبين بونا بعيدا ، فان الجاهل يأتي يوم القيمة بذنبه ، والعالم يأتي بذنبه الذي فعله وذنب من تأسى به ، واقتدى بطريقته الى يوم القيمة ، كما ورد في الاخبار الصحيحة.

وبالجملة ، فمعرفة حقيقة الاخلاص والعمل به ، بحر عميق يغرق فيه الجميع الا الشاذ النادر المستثنى من قوله تعالى: «الا عبادك منهم المخلصين»(أ).

فليكن العبد شديد التفقد والمراقبة لهذه الدقائق ، والا التحق بأتباع الشياطين وهو لا يشعر.

الأمر الثاني: في العلم والعمل

أ ـ استعمال ما يعلمه:

استعمال ما يعلمه كل منهما شيئا فشيئا ، فان العاقل همه الرعاية ، والجاهل همه الرواية. وقد روي عن علي (ع) انه قال: قال رسول الله (ص): العلماء رجلان: رجل عالم اخذ بعلمه فهذا ناج ، وعالم تارك لعلمه فهذا هالك ، وان اهل النار ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه. وان اشد اهل النار ندامة وحسرة رجل دعا عبدا الى الله تبارك وتعالى فاستجاب له وقبل منه ، فاطاع الله فأدخله الجنة ، وادخل الداعي النار بتركه علمه واتباعه الهوى وطول الامل ، أما اتباع الهوى فيصد عن الحق ، وطول الأمل ينسي الآخرة.

وعن ابي عبد الله (ع) قال: ان العالم اذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل المطر عن الصفا. وجاء رجل الى علي بن الحسين (ع) فسأله[1] عن مسائل فأجاب ، ثم عاد ليسأل مثلها ، فقال علي بن الحسين (ع): مكتوب في

(١) م، خ: فسئله.

(أ) الحجر: ٤٠.

الانجيل لا تطلبوا علم ما لا تعلمون ، ولما تعملوا بما علمتم[1] فان العلم اذا لم يعمل به لم يزد صاحبه الا كفرا ، ولم يزدد من الله الا بعدا.

وسأل المفضل بن عمر ابا عبد الله (ع) فقال : بم يعرف الناجي؟ قال : من كان فعله لقوله موافقا فأت له بالشهادة ، ومن لم يكن فعله لقوله موافقا فانما ذلك مستودع.

وقال أمير المؤمنين (ع) في كلام له خَطَبَهُ على المنبر : ايها الناس ، اذا علمتم فاعملوا بما علمتم لعلكم تهتدون ، ان العالم العامل بغيره ، كالجاهل الحائر[2] الذي لا يستفيق عن جهله ، بل قد رأيت ان الحجة عليه أعظم ، والحسرة ادوم على هذا العالم المنسلخ من عمله ، على هذا الجاهل المتحير في جهله ، وكلاهما حائر بائر. لا ترتابوا فتشكوا ، ولا تشكوا فتكفروا ، ولا ترخصوا لانفسكم فتدهنوا ، ولا تدهنوا في الحق فتخسروا. وان من الحق ان تفقهوا. ومن الفقه ان لا تغتروا ، وان من انصحكم لنفسه اطوعكم لربه ، وأغشكم اعصاكم لربه ، ومن يطع الله يأمن ويستبشر ، ومن يعص الله يخب ويندم.

وعن ابي عبد الله (ع) قال : جاء رجل الى النبي (ص) فقال : يا رسول الله ، مالعلم؟ قال : الانصات ، قال : ثم مه يا رسول الله؟ قال : الاستماع ، قال : ثم مه يا رسول الله؟ قال : الحفظ ، قال ثم مه؟ قال العمل به ، قال : ثم مه يا رسول الله؟ قال نشره.

وعن ابي عبد الله (ع) قال : كان لموسى بن عمران (ع) جليساً من اصحابه قد وعى علماً كثيراً ، فاستأذن موسي في زيارة اقارب له فقال له موسى : ان لصلة القرابة لحقاً ، ولكن اياك ان تركن الى الدنيا ، فان الله قد حملك علماً فلا تضيعه وتركن الى غيره. فقال الرجل لا يكون الا خيراً ومضى نحو اقاربه فطالت غيبته ، فسأل موسى (ع) عنه فلم يخبره احد بحاله ، فسأل[3] جبرئيل (ع) عنه فقال له : اخبرني عن جليسي فلان ، ألك به علم؟ قال نعم : هوذا على الباب ، قد مُسخ قرداً في عنقه

(١) خ : تعلموا.

(٢) م : الخائن.

(٣) وردت في النص فسئل. ولعل هذا دأبهم في كتابة الهمزة.

سلسلة ، ففزع موسى الى ربه وقام الى مصلاه يدعو الله ويقول : يا رب ، صاحبي وجليسي ، فأوحى الله اليه ، يا موسى لو دعوتني حتى تنقطع ترقوتاك ما استجبت لك فيه ، اني كنت حملته علماً فضيعه ، وركن الى غيره .

وروى ابو بصير عن ابي عبد الله[1] (ع) قال : قال امير المؤمنين (ع) : يا طالب العلم ، ان العلم ذو فضائل كثيرة : فرأسه التواضع ، وعينه البراءة من الحسد ، واذنه الفهم ، ولسانه الصدق ، وحفظه الفحص ، وقلبه حسن النية ، وعقله معرفة الاسباب والامور ، ويده الرحمة ، ورجله زيارة العلماء ، وهمته السلامة ، وحكمته الورع ، ومستقره النجاة ، وقائده العافية ، ومركبه الوفاء ، وسلاحه لين الكلمة ، وسيفه الرضا ، وقوسه المداراة ، وجيشه محاورة العلماء ، وماله الادب ، وذخيرته اجتناب الذنوب ، ورداؤه[2] المعروف ، ومأواه الموادعة ، ودليله الهدى ، ورفيقه محبة الاخيار .

وفي حديث عنوان البصري الطويل عن الصادق (ع) : ليس العلم بكثرة التعلم ، انما هو نور يقع في قلب من يريد الله ان يهديه ، فاذا اردت العلم فاطلب اولاً في نفسك حقيقة العبودية ، واطلب العلم باستعماله ، واستفهم الله بفهمك .

ب ـ منزلة العلم من العمل :

فصل : اعلم ان العلم بمنزلة الشجرة ، والعمل بمنزلة الثمرة ، والغرض من الشجرة المثمرة ليس الا ثمرتها ، اما شجرتها بدون الاستعمال فلا يتعلق بها غرض اصلاً ، فان الانتفاع بها في اي وجه كان ضرب من الثمرة بهذا المعنى ، وانما كان الغرض الذاتي من العلم مطلقاً العمل . لأن العلوم كلها يرجع الى امرين : علم معاملة وعلم معرفة . فعلم المعاملة هو معرفة الحلال والحرام ونظائرهما من الاحكام ومعرفة اخلاق النفس المذمومة والمحمودة ، وكيفية علاجها والفرار منها . وعلم المعرفة كالعلم بالله تعالى وصفاته واسمائه ، وما عداهما من العلوم ، اما آلات لهذه العلوم ، او يراد بها عمل من الاعمال في الجملة . كما لا يخفى على من تتبعها .

(١) خ : أبيعبد الله .

(٢) م ، خ : ردائه .

وظاهر ان علوم المعاملة لا تراد الا للعمل ، بل لولا الحاجة اليه لم يكن لها قيمة ، وحينئذ[1] فنقول : المحكم للعلوم الشرعية ونحوها اذا اهمل بفقد جوارحه وحفظها عن المعاصي والزامها الطاعات ، وترقيتها من الفرائض الى النوافل ، ومن الواجبات الى السنن ، اتكالاً على اتصافه بالعلم وانه في نفسه هو المقصود مغرور في نفسه، مخدوع عن دينه ، ملبس عليه عاقبة امره ، وانما مثله مثل مريض به غلة ، لا يزيلها الا دواء مركب من اخلاط كثيرة ، لا يعرفها الا حذاق الاطباء . فسعى في طلب الطبيب بعد ان هاجر عن وطنه ، حتى عثر على طبيب حاذق ، فعلمه الدواء وفصّل له الاخلاط وأنواعها ومقاديرها ومعادنها التي منها تجلب ، وعلّمه كيفية دق كل واحد منها ، وكيفية خلطها وعجنها . فتعلم ذلك منه وكتب منه نسخة حسنة بحسن خط ورجع الى نفسه وهو يكررها ويقرأها ، ويعلمها المرضى ولم يشتغل بشربها واستعمالها .

أفترى ان ذلك يغني عنه من مرضه شيئاً ؟ هيهات لو كتب منه الف نسخة ، وعلّمه الف مريض حتى شفي جميعهم ، وكرره كل ليلة الف مرة لم يغنه ذلك من مرضه شيئاً الى ان يزن الذهب ويشتري الدواء ، ويخلطه كما تعلم ، ويشربه ويصبر على مرارته ، ويكون شربه في وقته ، وبعد تقديم الاحتماء وجميع شروطه . واذا فعل جميع ذلك كله فهو على خطر من شفائه ، فكيف اذا لم يشربه اصلاً ؟ .

هكذا الفقيه ، اذا احكم علم الطاعات ولم يعمل بها ، واحكم علم المعاصي الدقيقة والجليلة ولم يجتنبها ، واحكم علم الاخلاق المذمومة وما زكى نفسه منها ، واحكم علم الاخلاق المحمودة ولم يتصف بها ، فهو مغرور في نفسه ، مخدوع عن دينه . اذ قال الله تعالى : «قد افلح من زكنها»(أ) ، ولم يقل افلح من تعلم كيفية تزكيتها وكتب علمها وعلّمها للناس ، وعند هذا يقول له الشيطان لا يغرنّك هذا المثال ، فان العلم بالدواء لا يزيل المرض . وأما أنت فطلبك القرب من الله تعالى وثوابه ، والعلم يجلب الثواب ، ويتلو عليه الاخبار الواردة في فضائل العلم ، فان كان المسكين مغروراً وافق ذلك هواه ، فاطمأن اليه ، واهمل العمل .

(١) م ، خ : ح .

(أ) الشمس : ٩ .

وان كان كيساً ، فيقول للشيطان[1] : اتذكرني فضائل العلم وتنسيني ما ورد في العالم الذي لا يعمل بعلمه . كقوله تعالى في وصفه مشيراً الى بلعم بن باعورا الذي كان في حضرته اثنا عشر الف محبرة ، يكتبون عنه العلم ، مع ما آتاه الله من الآيات المتعددة ، التي كان من جملتها انه كان بحيث اذا نظر يرى العرش ، كما نقله جماعة من العلماء. فمثله كمثل الكلب : ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث.

وقوله تعالى في وصف العالم التارك لعلمه : «مثل الذين حمّلوا التوراة ثم لم يحملوها» اي لم يفعلوا الغاية المقصودة من حملها وهو العمل بها ،«كمثل الحمار يحمل أسفاراً (أ)» .

فأي خزي اعظم من تمثيل حاله بالكلب والحمار؟ وقد قال (ص) : من ازداد علماً ولم يزدد هدى لم يزدد[2] من الله الا بعداً . وقد قال (ص) : يلقى العالم في النار فتندلق اقتابه ، فتدور[3] به كما يدور الحمار في الرحى. وكقوله (ع) : شر الناس العلماء السوء . وقول ابي الدرداء : ويل للذي لا يعلم مرة ، ولو شاء الله لعلّمه ، وويل للذي يعلم سبع مرات اي ان العلم حجة عليه اذ يقال له : ماذا عملت فيما علمت؟ وكيف قضيت شكر الله تعالى؟

وقال (ص) : ان اشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه ، فهذا وامثاله مما قد اسلفناه في صدور هذا الباب وغيره اكثر من ان يحصى ، والذي اخبر بفضيلة العلم هو الذي اخبر بذم العلماء المقصّرين في العمل بعلمهم ، وان حالهم عند الله اشد من حال الجهال : «أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض» (ب).

وأما علم المعرفة بالله تعالى وما يتوقف عليه من العلوم العقلية فمثل العالم به المهمل للعمل المضيع لأمر الله تعالى وحدوده في شدة غروره ، مثل من اراد خدمة ملك ، فعرف الملك وعرف اخلاقه واوصافه ولونه وشكله وطوله وعرضه وعاد ته ومجلسه ، ولم يتعرف ما يحبه ويكرهه ، وما يغضب عليه وما يرضى به . واعرف ذلك الا انه قصد خدمته وهو ملابس بجميع ما يغضب به ، وعاطل عن جميع ما يحبه من زي وهيئة وحركة وسكون. فورد على الملك وهو يريد التقرب منه والاختصاص به ،

---

(١) خ : الشيطان.
(٢) خ : يزداد.
(٣) خ : فيدور.

(أ) الجمعة : ٥.
(ب) البقرة : ٨٥.

متلطخاً بجميع ما يكرهه الملك، عاطلاً عن جميع ما يحبه، متوسلاً اليه بمعرفته له، ولنسبه واسمه، وبلده وشكله، وصورته وعادته في سياسة غلمانه، ومعاملة رعيته.

بل هذا مثال العالم بالقسمين معاً التارك لما يعرفه وهو عين الغرور، فلو ترك هذا العالم جميع ما عرفه، واشتغل بأدنى معرفته وبمعرفة ما يحب ويكرهه، لكان ذلك اقرب الى نيل المراد من قربته، والاختصاص به، بل تقصيره في العمل، واتباعه للشهوات يدل على انه لم ينكشف له من المعرفة الا الاسامي (1) دون المعاني، اذ لو عرف الله حق معرفته لخشيه واتقاه. كما نبه الله عليه بقوله: "انما يخشى الله من عباده العلماء"، ولا يتصور ان يعرف الاسد عاقل ثم لا يتقيه ولا يخافه.

وقد اوحى الله الى داود: خفني كما تخاف السبع الضاري. نعم من يعرف الاسد لونه وشكله واسمه قد لا يخافه وكأنه ما عرف الاسد. وفي فاتحة الزبور: «رأس الحكمة خشية الله تعالى».

ج — في ضروب تقصير العالم :

فصل: وللعالم في تقصيره في العمل، بعد اخذه بظواهر الشريعة، واستعمال ما دوّنه الفقهاء من الصلوة والصيام والدعاء وتلاوة القرآن، وغيرها من العبادات، ضروب أخر. فان الاعمال الواجبة عليه فضلاً عن غير الواجبة منحصرة فيما ذكر، بل من الخارج عن الابواب التي رتبها الفقهاء ما هو أهم. ومعرفته اوجب، والمطالبة به والمناقشة عليه أعظم، وهو تطهير النفس من الرذائل الخلقية، من الكبر والرياء والحسد والحقد وغيرها من الرذايل المهلكات، مما هو مقرر في علوم تختص (2) به، وحراسة اللسان عن الغيبة والنميمة، وكلام ذي اللسانين، وذكر عيوب المسلمين وغيرها.

---

(1) خ: الا، ساقطة.

(2) م: يختص.

كذا القول في سائر الجوارح ، فان لها احكاماً[1] تخصها وذنوباً مقررة في محالها. لا بد لكل احد من تعلمها وامتثال حكمتها ، وهي تكليفات لا توجد في كتاب البيوع والاجارات وغيرها من كتب الفقه. بل لا بد من الرجوع فيها الى علماء الحقيقة العاملين ، وكتبهم المدونة في ذلك. وما اعظم اغترار العالم بالله في رضاه بالعلوم الرسمية ، واغفاله اصلاح نفسه وارضاء ربه تبارك وتعالى.

وغرور من هذا شأنه يظهر لك من حيث العلم ومن حيث العمل. اما العمل فقد ذكرنا وجه الغرور فيه ، وان مثاله المريض اذا تعلم نسخة الدواء واشتغل بتكراره وتعليمه ، لا بل مثاله مثال من به علة البواسير والبرسام وهو مشرف على الهلاك ، محتاج الى تعلم الدواء واستعماله ، فاشتغل بتعلم دواء[2] الاستحاضة ، وبتكرار ذلك ليلاً ونهاراً مع علمه بانه رجل لا يحيض[3] ولا يستحيض ، ولكن يقول ربما يقع علة الاستحاضة لامرأة وتسألني عنه ، وذلك غاية الغرور ، حيث يترك تعلم الدواء النافع لعلته مع استعماله ، ويشتغل بما ذكرناه.

كذلك المتفقه المسكين ، قد تسلط[4] عليه اتباع الشهوات ، والاخلاد الى الارض ، والحسد والرياء والغضب والبغضاء ، والعجب بالاعمال التي يظنها من الصالحات ، ولو فتش عن باطنها وجدها من المعاصي الواضحات. فليلتفت الى قوله (ص) : ادنى الرياء الشرك. والى قوله (ص) : لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر. والى قوله (ص) : الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب. والى قوله (ص) : حب المال والشرف ينبتان النفاق ، كما ينبت الماء البقل.

الى غير ذلك من الاخبار المدونة في ابواب هذه المهلكات. وكذلك يترك استعمال الدواء لسائر المهلكات الباطنة ، وربما يختطفه الموت قبل التوبة والتلافي فيلقى

---

(١) خ : احكامها.
(٢) خ : الحيض ، زائدة.
(٣) م : تحيض.
(٤) م : سلّط.

الله وهو عليه غضبان ، فترك ذلك كله واشتغل بعلم النحو وتصريف الكلمات والمنطق وبحث الدلالات ، وفقه الحيض والاستحاضات ، والسلم والاجارات واللعان والجراحات والدعاوى والبينات ، والقصاص والديات . ولا يحتاج الى شيء من ذلك في مدة عمره الا نادرا . وان احتاج اليه او احتاج اليه غيره فهو من فروض الكفايات ، وغفل مع ذلك عن العلوم التي هي فرض عيني[١] باجماع المسلمين. فغاية تلك العلوم اذا قصد بها وجه الله تعالى العظيم ، وثوابه الجسيم انها فرض كفاية ، ومرتبة فرض الكفاية بعد تحصيل فرض العين.

فلو كان غرض هذا الفقيه العالم بعلمه وجه الله تعالى ، لاشتغل في ترتيب العلوم بالأهم فالأهم[٢] ، والانفع فالانفع . فهو اما غافل مغرور ، واما مراء في دينه مخدوع ، طالب الرئاسة والاستعلاء والجاه والمال . فيجب عليه التنبه لدواء احدى العلتين قبل ان تقوى[٣] عليه[٤] وتهلكه[٥] . وليعلم ايضا ان مجرد تعلم هذه المسائل المدونة ليس هو الفقه عند الله تعالى ، وانما الفقه عند الله بادراك جلاله وعظمته . وهو العلم الذي يورث الخوف والهيبة والخشوع ، ويحمل على التقوى ومعرفة الصفات المخوفة فيجتنبها ، والمحمودة فيرتكبها ، ويستشعر الخوف ويستثير الحزن ، كما نبه الله تعالى في كتابه بقوله : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم »(أ).

والذي يحصل به الانذار غير هذا العلم المدون ، فان مقصود هذا العلم حفظ الاقوال بشروط المعاملات ، وحفظ الابدان بالاموال ، وبدفع القتل والجراحات ،

---

(١) م : عين.
(٢) خ : فالاهم ، ساقطة.
(٣) م : يقوى.
(٤) م : ساقطة.
(٥) م : يهلكه.

(أ) التوبة : ١٢٢.

والمال في طريق[1] الله آلة والبدن مركب، وانما العلم المهم هو معرفة سلوك الطريق الى الله تعالى، وقطع عقبات القلب التي هي الصفات المذمومة، وهي الحجاب بين العبد وبين الله تعالى. فاذا مات ملوثا بتلك الصفات كان محجوبا عن الله تعالى. ومن ثم كان العلم موجبا للخشية بل هي منحصرة في العالم كما نبه عليه بقوله تعالى: انما يخشى الله من عباده العلماء، أعم من ان يكونوا فقهاء او غير فقهاء.

ومثال هذا الفقيه في الاقتصار على علم الفقه المتعارف، مثال من اقتصر من سلوك طريق الحج على علم خرز الرواية والخف، ولا شك انه لو لم يكن لتعطل الحج، ولكن المقتصر عليه ليس من الحاج[2] في شيء. كذلك هذا الرجل لو لم يتعلم هذه العلوم لتعطلت معرفة الاحكام، الا انها ليست المنجية بنفسها كما حررناه، بل هي مقدمة للمقصد[3] الذاتي.

واذا كان هذا مثال حال الفقيه العارف بشرع الله ورسوله وأئمته، ومعالم دين الله، فكيف حال من يصرف عمره في معرفة عالم الكون والفساد؟ الذي مآله محض الفساد والاشتغال بمعرفة الوجود. وهل هو نفس الموجودات او زائد عليها او مشترك بينها؟ او غير ذلك من المطالب التي لا ثمرة لها، بل لم يحصل لهم حقيقة ما طلبوا معرفته فضلا عن غيره.

وانما مثالهم في ذلك، مثال ملك اتخذ عبيدا وامرهم بدخول[4] داره والاشتغال بخدمته، وتكميل نفوسهم فيما يوجب الزلفى لدى حضرته، واجتناب ما يبعد من جهته. فلما ادخلهم داره ليشتغلوا بما امرهم به اخذوا ينظرون الى جدران داره وارضها وسقفها، حتى صرفوا عمرهم في ذلك النظر، وماتوا ولم يعرفوا ما اراد منهم في تلك الدار. فكيف ترى حالهم عند سيدهم المنعم عليهم، المسدي جليل احسانه اليهم مع هذا الاهمال العظيم لطاعته، بل الانهماك الفظيع في معصيته.

---

(١) خ: الطريق.

(٢) خ: الخارج.

(٣) خ: المقصد.

(٤) خ: في ذلك، زائدة.

واعلم ان مثال هؤلاء اجمع ، مثال بيت مظلم باطنه ، وضع السراج على سطحه حتى استنار ظاهره ، بل مثال بئر النجس[1] ظاهرها جص وباطنها نتن. او كقبور الموتى ظاهرها مزينة وباطنها جيفة. وكمثال رجل قصد ضيافة الملك الى داره ، فجصص باب داره وترك المزابل في صدر داره ، وذلك غرور واضح جلي. بل اقرب مثال اليه رجل زرع زرعا فنبت ونبت معه حشيش يفسده ، فامر بتنقية الزرع من الحشيش بقلعه من اصله فأخذ يجز رأسه ويقطعه ، فلا يزال يقوى اصله وينبت ، لأن مغارس النقايص ومنابت الرذائل هي الاخلاق الذميمة في القلب ، فمن لا يطهر القلب منها لم يتم له الطاعات الظاهرة الا مع الآفات الكثيرة.

بل كمريض ظهر به الجرب ، وقد امر بالطلاء وشرب الدواء. اما الطلاء ليزيل ما على ظاهره ، والدواء ليقلع[2] مادته من باطنه ، فقنع بالطلاء وترك الدواء ، وبقي يتناول ما يزيد في المادة فلا يزال يطلي الظاهر والجرب دائم[3] يتزايد في الباطن الى ان اهلكه.

نسأل[4] الله تعالى ان يصلحنا لأنفسنا ، ويبصرنا بعيوبنا ، وينفعنا بما علّمنا ولا يجعله حجة علينا ، فان ذلك بيده وهو أرحم الراحمين.

الأمر الثالث : التوكل على الله :

فصل : ولكل واحد منهما شرائط متعددة ووظائف متبددة بعد هذين ، الا انها بأسرها ترجع الى الثاني ، أعني استعمال العلم. فان العلم متناول لمكارم الاخلاق وحميد الافعال والتنزه عن مساوئها ، فاذا استعمله على وجهه اوصله الى كل خير يمكن طلبه ، وابعده عن كل دنية تشينه.

---

(١) م : الحشر.
(٢) خ : ليقطع.
(٣) خ : دائماً.
(٤) م ، خ : نسئل.

فمما يلزم كل واحد منهما بعد تطهير نفسه من الرذائل المذكورة وغيرها ، توجيه نفسه الى الله تعالى ، والاعتماد عليه في اموره ، وتلقي الفيض الآلهي من عنده . فان العلم كما تقدم من كلام الصادق (ع) ليس بكثرة التعلم وانما هو نور من الله تعالى ينزله على من يريد ان يهديه وان يتوكل عليه ، ويفوض امره اليه . ولا يعتمد على الاسباب فيوكل[1] اليها وتكون وبالا عليه ، ولا على أحد من خلق الله تعالى . بل يلقي مقاليد امره الى الله تعالى في امره ورزقه وغيرهما . يظهر عليه حينئذ[2] من نفحات قدسه ، ولحظات انسه ، ما يقوم به اوده ويحصل مطلبه ويصلح به امره .

وقد ورد في الحديث عن النبي (ص) : ان الله تعالى قد تكفل لطالب العلم برزقه خاصة عما ضمنه لغيره ، بمعنى ان غيره يحتاج الى السعي على الرزق حتى يحصل غالبا وطالب العلم لا يكلفه[3] بذلك بل بالطلب ، وكفاه مؤنة الرزق ان احسن النية وأخلص العزيمة ، وعندي في ذلك من الوقائع والدقايق ما لو جمعته بلغ ما يعلمه الله من حسن صنع الله تعالى بي وجميل معونته منذ اشتغلت بالعلم ، وهو مبارى[4] عشر الثلثين تسع مائة الى يومي هذا ، (وهو منتصف شهر رمضان)[5] سنة ثلث وخمسين وتسع مائة . وبالجملة فليس الخبر كالعيان .

وروى[6] شيخنا المتقدم محمد بن يعقوب الكليني باسناده الى الحسين بن علوان قال : كنا في مجلس نطلب فيه العلم وقد نفدت نفقتي في بعض الاسفار ، فقال لي بعض اصحابنا من تؤمل لما قد نزل بك؟ فقلت فلانا ، فقال : اذا والله لا تسعف حاجتك ولا يبلغك املك ولا ينجح طلبك . قلت وما علمك رحمك الله؟ قال ان ابا عبد الله (ع) حدثني انه قرأ في بعض الكتب ان الله تبارك[7] وتعالى يقول : «وعزتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي لأقطعن أمل كل مؤمل غيري باليأس ، ولأكسونه ثوب المذلة عند الناس ، ولأنحينه من قربي ، ولأبعدنّه من

(١) خ : فيتوكل.
(٢) م ، خ : حـ.
(٣) خ : يكلف.
(٤) خ : مبادىء.
(٥) خ : ما بين القوسين ساقط.
(٦) خ : ورى.
(٧) خ : تبارك ، ساقطة.

وصلي. أيؤمل[1] غيري في الشدائد والشدائد بيدي؟ ويرجو غيري ويقرع بالفكر باب غيري وبيدي مفاتيح الابواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني، فمن الذي أملني لنوائبه فقطعته دونها، ومن الذي رجاني لعظيمة فقطعت رجاءه مني، جعلت آمال عبادي عندي محفوظة فلم يرضوا بحفظي، وملأت سماواتي ممن لا يمل من تسبيحي، وامرتهم ان لا يغلقوا الابواب بيني وبين عبادي فلم يثقوا بقولي. ألم يعلم من طرقته نائبة انه لا يملك كشفها احد غيري الا من بعد اذني؟ فمالي اراه لا هيا عني، اعطيته بجودي ما لم يسألني[2] ثم انتزعته عنه فلم يسألني رده وسأل غيري.

أفتراني ابدأ بالعطاء قبل المسألة[3] ثم أسأل فلا يجيب سائلي؟ ابخيل انا فيبخلني[4] عبدي؟ أوليس الجود والكرم لي؟ أو ليس العفو والرحمة بيدي؟ أوليس انا محل الآمال فمن يقطعها دوني؟ أفلا يخشى المؤملون ان يؤملوا غيري؟

فلو ان اهل سماواتي واهل ارضي املوا جميعا، ثم اعطيت كل واحد منهم مثل ما امل الجميع ما انتقص من ملكي مثل عضو ذرة، وكيف ينقص ملك انا قيّمه؟ فيا بؤسا للقانطين من رحمتي، ويا بؤسا لمن عصاني ولم يراقبني.

ورواه الشيخ المبرور بسند آخر عن سعيد بن عبد الرحمن، وفي آخره: فقلت يا ابن رسول الله امل[5] عليّ فاملاه عليّ، فقلت لا والله ما أسأله[6] حاجة بعدها. اقول[7] ناهيك بهذا الكلام الجليل، الساطع نوره من مطالع النبوة على افق الامامة[8] من الجانب القدسي، حاثاً على التوكل على الله تعالى وتفويض الامور اليه، والاعتماد في جميع المهمات عليه، فما عليه من مزيد من جوامع الكلام في هذا المقام. وهذا هو الأمر الثالث من الآداب.

---

(١) خ: يؤمل.
(٢) خ، م: يسئلني.
(٣) م، خ: المسئلة.
(٤) خ: فبخلي.
(٥) خ: أملأ.
(٦) م، خ: اسئلة.
(٧) خ: قول.
(٨) خ: امامه.

الأمر الرابع : في حسن الخلق :

والرابع حسن الخلق زيادة على غيرهما من الناس والتواضع وتمام الرفق وبذل الوسع في تكميل النفس.

وروي عن[1] معاوية بن وهب قال : سمعت ابا عبد الله (ع) يقول : «اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار، وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم، ولا تكونوا علماء جبارين، فيذهب باطلكم بحقكم».

وروى الحلبي في الصحيح عن ابي عبد الله (ع) قال : قال امير المؤمنين (ع) : الا اخبركم بالفقيه حق الفقيه، من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يؤمنهم من عذاب الله، ولم يرخص لهم في معاصي الله، ولم يترك القرآن رغبة في غيره، ألا لا خير في علم ليس فيه تفهم، ألا لا خير في قراءة[2] ليس فيها تدبر، ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفكر. واعلم ان المتلبس بالعلم منظور اليه ومتأسٍّ بفعله وقوله وهيئته، فاذا حسن سمته وصلحت احواله، وتواضعت نفسه واخلص لله تعالى عمله انتقلت اوصافه الى غيره من الرعية، وفشا الخير فيهم وانتظمت احوالهم، ومتى لم يكن كذلك كان الناس دونه في المرتبة التي هو عليها فضلا عن مساواته، فكان مع فساد نفسه منشأ[3] لفساد[4] النوع وخلله، وناهيك بذلك ذنبا وطردا عن الحق وبعدا ويا ليته اذا هلك انقطع عمله وبطل وزره، بل هو باق ما بقي من تأسى به واستن بسنته.

وقد قال بعض العارفين : ان عامة الناس ابدا دون المتلبس بالعلم بمرتبة، فاذا كان ورعا تقيا صالحا تلبست العامة بالمباحات، واذا اشتغل بالمباح تلبست العامة بالشبهات، فان دخل في الشبهات تعلق العامي بالحرام، فان تناول الحرام كفر العامي. وكفى شاهدا على صدق هذه العيان وعدول الوجدان فضلا عن نقل الاعيان.

---

(١) خ : عن ساقطة.
(٢) خ : قرائة.
(٣) من شاء.
(٤) م : الفساد.

الأمر الخامس : في عفة النفس :

ان يكون عفيف النفس عالي الهمة ، منقبضا عن الملوك واهل الدنيا ، لا يدخل اليهم طمعا ، ما وجد الى الفرار منهم سبيلا ، صيانة للعلم كما صانه السلف. فمن فعل ذلك فقد عرض نفسه وخان امانته . وكثيرا ما يثمر عدم الوصول الى البغية ، وان وصل الى بعضها لم يكن حاله كحال المتعفف المنقبض وشاهده مع النقل الوجدان.

قال بعض الفضلاء لبعض الابدال : ما بال كبراء زماننا وملوكها لا يقبلون منا ولا يجدون للعلم مقداراً ، وقد كانوا في سالف الزمان بخلاف ذلك ؟ فقال : ان علماء ذلك الزمان ، كان يأتيهم الملوك والأكابر وأهل الدنيا فيبذلون لهم دنياهم ، ويلتمسون منهم علمهم ، فيبالغون في دفع وردٍّ منتهم عنهم فصغرت الدنيا في اعين اهلها ، وعظم قدر العلم عندهم ، نظرا منهم الى ان العلم لولا جلالته ونفاسته ، ما آثره هؤلاء الفضلاء على الدنيا ، ولولا حقارة الدنيا وانحطاطها لما تركوها رغبة عنها ، ولما أقبل علماء زماننا على الملوك وابناء الدنيا ، وبذلوا لهم علمهم التماسا لدنياهم ، عظمت الدنيا في اعينهم ، وصغر العلم لديهم لعين ما تقدم.

وسمعت جملة من الاخبار في ذلك سابقا ، كقول النبي (ص) : الفقهاء امناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا . قيل يا رسول الله : وما دخولهم في الدنيا ؟ قال : اتباع السلطان. فاذا فعلوا ذلك فاحذروهم على دينكم. وغيره من الاحاديث.

واعلم ان القدر المذموم من ذلك ، ليس هو مجرد اتباع السلطان كيف اتفق ، بل اتباعه ليكون توطئة له ، ووسيلة الى ارتفاع الشأن ، والترفع على الاقران ، وعظم الجاه والمقدار ، وحب الدنيا والرياسة ، ونحو ذلك.

اما[1] لو اتبعه ليجعله وصلة الى اقامة نظام النوع ، واعلاء كلمة الدين ، وترويج الحق ، وقمع اهل البدع ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ونحو ذلك ، فهو من افضل الاعمال ، فضلا عن كونه مرخصا.

---

(١) خ : اما ، ساقطة.

وبهذا يجمع بين ما ورد في الذم ، وما ورد ايضا من الترخيص في ذلك ، بلى قد فعله [1] جماعة من الاعيان كعلي بن يقطين ، وعبد الله النجاشي وابي القاسم بن روح احد الابواب الشريفة ، ومحمد بن اسماعيل [2] بن بزيع ونوح بن دراج وغيرهم من اصحاب الائمة . ومن الفقهاء مثل السيدين الاجلين المرتضى والرضي وأبيهما ، والخواجة نصير الدين الطوسي ، والعلامة بحر العلوم جمال الدين بن المطهر وغيرهم .

وقد روى محمد بن اسماعيل بن بزيع ، وهو الثقة الصدوق ، عن الرضا (ع) انه قال : ان لله تعالى بابواب الظالمين ، من نوَّر الله به البرهان ومكّن له في البلاد ليدفع بهم عن اوليائه ، ويصلح الله به امور المسلمين لأنه ملجأ المؤمنين من الضرر ، واليه يفزع ذو الحاجة من شيعتنا ، بهم يؤمن الله روعة المؤمن في دار الظّلمة ، اولئك المؤمنون حقا . اولئك امناء الله في ارضه . اولئك نور الله في رعيتهم يوم القيامة . ويزهر نورهم لاهل السموات كما تزهر [3] الكواكب الزاهرة [4] لأهل الارض . اولئك من نورهم نور القيامة ، تضيء منهم القيامة . خلقوا والله للجنة ، وخلقت الجنة لهم ، فهنيئا لهم ، ما على احدكم ان لو شاء لنال هذا كله . قال : قلت بماذا جعلني فداك ؟ قال : تكون معهم فتسرنا بادخال السرور على المؤمنين من شيعتنا ، فكن منهم يا محمد . واعلم ان هذا ثواب كريم ، لكنه موضع الخطر الوخيم ، والغرور العظيم ، فان زهرة الدنيا وحب الرياسة والاستعلاء اذا ثبتا [5] في القلب ، غطيا عليه كثيرا من طرق الثواب والمقاصد الصحيحة الموجبة للثواب ، فلا بد من التيقظ في هذا الباب .

---

(١) م : من فعل .
(٢) م : اسمعيل .
(٣) خ : تظهر .
(٤) م : الزهرية .
(٥) خ : نبتاً .

الأمر السادس : في المحافظة على القيام بشعائر الاسلام وظواهر الاحكام :

السادس ان يحافظ على القيام بشعائر الاسلام وظواهر الاحكام ، كاقامة الصلوات في مساجد الجماعات ، محافظا على شريف الاوقات ، وافشاء السلام للخاص والعام مبتدئاً ومجيبا ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والصبر على الاذى بسبب ذلك ، صادعاً بالحق ، باذلا نفسه لله ، لا يخاف لومة لائم ، متأسيا في ذلك بالنبي (ص) وغيره من الانبياء ، متذكرا ما نزل بهم من المحن عند القيام بأوامر الله تعالى. ولا يرضى من افعاله الظاهرة والباطنة بالجائز ، بل يأخذ نفسه بأحسنها وأكملها. فان العلماء هم القدوة ، واليهم المرجع ، وهم حجة الله تعالى على العوام. وقد يراقبهم للأخذ منهم من لا ينظرون اليه ، ويقتدي بهم من لا يعلمون به ، واذا لم ينتفع العالم بعلمه ، فغيره ابعد عن الانتفاع به.

ولهذا عظمت زلة العالم لما يترتب عليها من المفاسد ، ويتخلق بالمحاسن التي ورد بها الشرع وحث عليها ، والخلال الحميدة والشيم المرضية من السخاء والجود ، وطلاقة الوجه من غير خروج عن الاعتدال ، وكظم الغيظ وكف الاذى واحتماله ، والصبر والمروة ، والتنزه عن دني الاكتساب ، والايثار وترك الاستيثار ، والانصاف وترك الاستنصاف ، وشكر المفضل والسعي في قضاء الحاجات ، وبذل الحاجات والشفاعات ، والتلطف بالفقراء ، والتحبب الى الجيران والاقرباء ، والاحسان الى ما ملكت الايمان ، ومجانبة الاكثار من الضحك والمزاح ، والتزام الخوف والحزن. والانكسار والاطراق ، والصمت بحيث يظهر اثر الخشية على هيئته ، وسيرته وحركته وسكونه ونطقه وسكوته ، لا ينظر اليه ناظر الا وكان نظره مذكر الله تعالى. وصورته دليلا على عمله ، وملازمة الآداب الشرعية ، القولية والفعلية ، الظاهرة والخفية ، كتلاوة القرآن متفكرا في معانيه ، ممتثلا لأوامره ، منزجرا عن[1] زواجره ،

---

(١) م : عند.

واقفا عند وعده ووعيده ، قائما بوظائفه وحدوده . وذكر الله تعالى بالقلب واللسان ، وكذلك ما ورد من الدعوات والاذكار في اناء الليل والنهار ، ونوافل العبادات من الصلاة والصيام ، وحج البيت الحرام . ولا يقتصر من العبادات على مجرد العلم فيقسو قلبه ، ويظلم نوره ، كما تقدم التنبيه عليه.

وزيادة التنظيف بازالة الاوساخ ، وقص الاظفار وازالة الشعور المطلوب زوالها ، واجتناب الروائح الكريهة ، وتسريح اللحية مجتهدا في الاقتداء بالسنة الشريفة والاخلاق الحميدة المنيفة ، ويطهر نفسه من مساوىء الأخلاق ، وذميم الاوصاف من الحسد والرياء ، والعجب واحتقار الناس ، وان كانوا دونه بدرجات ، والغل والبغي ، والغضب لغير الله ، والغش والبخل ، والخبث والبطر ، والطمع والفخر ، والخيلاء والتنافس في الدنيا ، والمباهاة بها ، والمداهنة والتزين للناس ، وحب المدح بما لم يفعل ، والعمى عن عيوب النفس ، والاشتغال عنها بعيوب الناس ، والحمية والعصبية لغير الله ، والرغبة والرهبة لغيره ، والغيبة والنميمة ، والبهتان والكذب ، والفحش في القول.

ولهذه الأوصاف تفصيل وادوية ، وترغيب وترهيب محرر في مواضع تخصه ، والغرض من ذكرها هنا تنبيه العالم والمتعلم على اصولها ليتنبه لها ارتكابا واجتنابا على الجملة . وهي وان اشتركت بين الجميع ، الا انها بهما أولى . فلذلك جعلناها من وظائفهما ، لأن العلم ، كما قال بعض الاكابر ، عبادة القلب وعمارته ، وصلاة السر. وكما لا نصح الصلاة التي هي وظيفة الجوارح الا بعد تطهيرها من الاحداث والأخباث ، فكذلك لا تصح عبادة الباطن الا بعد تطهيره من خبائث الاخلاق.

ونور العلم لا يقذفه الله تعالى في القلب المنجس بالكدورات النفسية ، والاخلاق الذميمة كما قال الصادق (ع) : ليس العلم بكثرة التعلم ، وانما هو نور يقذفه الله تعالى في قلب من يريد الله ان يهديه.

ونحوه قال ابن مسعود : ليس العلم بكثرة الرواية ، انما العلم نور يقذف في القلب . وبهذا يعلم ان العلم ليس هو مجرد استحضار المعلومات الخاصة ، وان كانت

هي العلم في العرف العامي ، وانما هو النور المذكور الناشىء من ذلك العلم ، الموجب للبصيرة والخشية لله تعالى ، كما تقدم تقريره.

فهذه جملة الوظائف المشتركة بينهما ، وأكثرها راجع الى استعمال العلم ، الا انّا افردناها عنه ، اهتماما بشأنها وتنبيها على اصول الفضائل.

وهي امور :

الامر الاول : استمرار التحصيل والاشتغال بالقراءة والمطالعة :

ان لا يزال كل منهما مجتهداً في الاشتغال قراءة[1] ومطالعة ، وتعليقاً ومباحثة ، ومذاكرة وفكراً ، وحفظاً واقراء وغيرها ، وان تكون ملازمة الاشتغال بالعلم هي مطلوبه ورأس ماله ، ولا يشتغل بغيره من الامور الدنيوية مع الامكان وبدونه ، ويقتصر منه على قدر الضرورة .

وليكن بعد قضاء وظيفته من العلم ، بحسب اوراده . ومن هنا قيل : أعط العلم كلك يعطك بعضه .

وعن ابي عبد الله (ع) قال : قال رسول الله (ص) : ان الله عز وجل يقول : تذاكر العلم بين عبادي مما تحيا عليه القلوب الميتة ، اذا هم انتهوا فيه الى أمري .

وعن الباقر (ع) : رحم الله عبداً احيى العلم . فقيل : وما احياؤه؟ قال : ان يذاكر به اهل الدين والورع . وعنه (ع) : تذاكر العلم دراسة ، والدراسة صلاة حسنة .

الامر الثاني : الابتعاد عن المماراة والجدل بغير الحق :

ان لا يسأل احداً تعنتاً وتعجيزاً ، بل سؤال متعلّم لله او معلم له ، منبه على الخير ، قاصد للارشاد او الاسترشاد . فهناك تظهر زبدة التعليم والتعلم ، وتثمر شجرته . فأما اذا قصد مجرد المراء والجدل ، وأحب ظهور الفلج والغلبة ، فان ذلك يثمر في النفس ملكة ردية وسجية خبيثة ، ومع ذلك يستوجب المقت من الله تعالى .

(١) م ، خ : قرائة .

وفيه مع ذلك عدة معاص : كإيذاء المخاطب ، وتجهيل له ، وطعن فيه ، وثناء على النفس وتزكية لها . وهذه كلها ذنوب مؤكدة وعيوب منهي عنها في محالها من السنة المطهرة . وهو مع ذلك مشوش للعيش ، فانك لا تماري سفيها الا ويؤذيك ، ولا حليماً الا ويقليك ، وقد اكد الله سبحانه على لسان نبيه وائمته عليهم السلام ، تحريم المراء .

قال النبي (ص) : « لا تمار اخاك ولا تمازحه ، ولا تعده موعداً فتخلفه » . وقال (ص) : ذروا المراء ، فانه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته . وقال (ص) : من ترك المراء وهو محق ، بني له بيت في اعلى الجنة . ومن ترك المراء وهو مبطل ، بني له بيت في ربض الجنة .

وعن ام سلمة (رضي الله عنها) قالت : قال رسول الله (ص) : ان اول ما عهد الي ربي ونهاني عنه بعد عبادة الاوثان وشرب الخمر ، ملاحاة الرجال . وقال (ص) : ما ضل قوم الا اوتوا الجدل . وقال (ص) : لا يستكمل عبد[1] حقيقة الايمان حتى يدع المراء وان كان محقاً . وقال الصادق (ع) : المراء داء رديء[2] وليس في الانسان خصلة شر منه ، وهو خلق ابليس ونسبته ، ولا يماري في اي حال كان ، الا من كان جاهلاً بنفسه وبغيره ، محروماً من حقائق الدين .

روي ان رجلاً قال للحسين بن علي (ع) : اجلس حتى نتناظر في الدين . فقال يا هذا انا بصير بديني ، مكشوف على هداي ، فان كنت جاهلاً بدينك فاذهب فاطلبه . ما لي وللمماراة ، وان الشيطان ليوسوس للرجل ويناجيه ، ويقول ناظر الناس لئلا يظنوا بك العجز والجهل . ثم المراء لا يخلو من اربعة اوجه :

ــ اما ان تتمارى انت وصاحبك فيما تعلمان ، فقد تركتما بذلك النصيحة ، وطلبتما الفضيحة ، وأضعتما ذلك العلم . او تجهلان ، فاظهرتما جهلاً وخاصمتما جهلاً .

ــ واما تعلمه انت فظلمت صاحبك بطلب عثرته ، او يعلمه صاحبك فتركت

(١) خ : عبداً .
(٢) م : دوّى .

حرمته ولم تنزل منزلته ، وهذا كله محال[1] . فمن انصف وقبل الحق وترك المماراة فقد اوثق ايمانه ، واحس صحبة دينه وصان عقله . هذا كله من كلام الصادق (ع) .

واعلم ان حقيقة المراء ، الاعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه ، لفظاً او معنى او قصداً لغير غرض ديني امر الله به . وترك المراء يحصل بترك الانكار والاعتراض بكل كلام يسمعه،فان كان حقاً ،وجب التصديق به بالقلب واظهار صدقه حيث يطلب منه ، وان كان باطلاً ، ولم يكن متعلقاً بامور الدين ، فاسكت عنه ما لم يتمخض النهي عن المنكر بشروطه .

والطعن في كلام الغير اما في لفظه باظهار خلل فيه من جهة النحو او اللغة ، او جهة النظم والترتيب ، بسبب قصور المعرفة او طغيان اللسان ، واما في المعنى ، بان يقول ليس كما تقول وقد اخطأت فيه لكذا ولكذا ، واما في قصده مثل ان يقول هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق ، وما يجري مجراه . وعلامة فساد مقصد المتكلم يتحقق بكراهة ظهور الحق على غير يده ، ليتبين فضله ومعرفته للمسألة[2] ، والباعث عليه الترفع باظهار الفضل ، والتهجم على الغير باظهار نقصه ، وهما شهوتان رديتان للنفس .

اما اظهار الفضل فهو تزكية للنفس ، وهو من مقتضى ما في العبد من طغيان دعوى العلو والكبرياء . وقد نهى الله تعالى عنه في محكم كتابه فقال سبحانه : « فلا تزكوا انفسكم » (أ) :

واما تنقيص الآخر فهو مقتضى طبع السبعية ، فانه يقتضي ان يمزق غيره ، ويصدمه ويؤذيه ، وهي مهلكة .

والمراء والجدل مقويان لهذه الصفات المهلكة ، ولا تنفك المماراة عن الايذاء ، وتهييج الغضب وحمل المعترض على ان يعود ، فينصر كلامه بما يمكنه من حق او باطل ، ويقدح في قائله بكل ما يتصور ، فيثور التشاجر بين المتماريين ، كما يثور

---

(١) خ : قبيح.

(٢) م ، خ : للمسئله .

(أ) النجم : ٣٢.

التهاوش بين الكلبين، يقصد كل منهما ان يعض[1] صاحبه بما هو اعظم نكاية، واقوى في افحامه وانكائه. وعلاج ذلك ان يكسر[2] الكبر الباعث له على اظهار فضله، والسبعية الباعثة له على تنقيص غيره بالادوية النافعة في علاج الكبر والغضب من كتابنا المتقدم ذكره في «اسرار معالم الدين» او غيره من الكتب المؤلفة في ذلك.

ولا ينبغي ان يخدعك الشيطان ويقول لك، اظهر الحق ولا تداهن فيه، فانه ابداً يستجر الحمقى الى الشر في معرض الخير. ولا تكن ضحكة للشيطان يسخر بك، فاظهار الحق حسن مع من يقبل منه اذا وقع على وجه الاخلاص، وذلك من طريق النصيحة التي هي احسن، لا بطريق المماراة.

وللنصيحة صفة وهيئة، يحتاج فيها الى التلطف والا صارت فضيحة، فكان فسادها اعظم من صلاحها. ومن خالط متفقهة هذا الزمان، والمتسمين بالعلم، غلب على طبعه المراء والجدال، وعسر عليه الصمت اذا القى عليه قرناء السوء. ان ذلك هو الفضل ففّر منهم فرارك من الاسد.

الامر الثالث: لا حياء في طلب العلم:

ان لا يستنكف من التعلم والاستفادة ممن هو دونه: في منصب او سن او شهرة، او دين او في علم آخر. بل يستفيد ممن يمكن[3] الاستفادة منه، ولا يمنعه ارتفاع منصبه وشهرته من استفادة ما لا يعرفه فتخسر صفقته، ويقل علمه، ويستحق المقت من الله تعالى. وقد قال النبي (ص): الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو احق بها. وقال سعيد بن جبير: لا يزال الرجل عالماً ما تعلم، فاذا ترك التعلم وظن انه قد استغنى واكتفى بما عنده، فهو اجهل ما يكون. وأنشد بعضهم:

وليس العمى طول السؤال وانما تمام العمى طول السكوت على الجهل.

(١) خ: يعظ.
(٢) خ: يكثر.
(٣) م: يكن.

ومن هذا الباب ان يترك السؤال استحياء[1] ومن هنا قيل: من استحى من المسألة[2] لم يستحي الجهل منه. وقيل ايضاً: من رق وجهه رق علمه. وقيل ايضاً: لا يتعلم العلم مستحي ولا مستكبر.

وروى زرارة وحمد بن مسلم وبريد العجلي قالوا: قال ابو عبد الله (ع): انما يهلك الناس لانهم لا يسألون[3]. وعنه (ع): ان هذا العلم عليه قفل ومفتاحه المسألة[4].

الامر الرابع: الانقياد للحق:

وهو من اهمها: الانقياد للحق بالرجوع عن الهفوة، ولو ظهر على يد من هو اصغر منه. فانه مع وجوبه من بركة العلم، والاصرار على تركه كبر مذموم عند الله تعالى، موجب للطرد والبعد.

قال النبي (ص): لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر، فقال بعض اصحابه: هلكنا يا رسول الله، ان احدنا يحب ان يكون نعله حسناً وثوبه حسناً. فقال النبي (ص): ليس هذا الكبر، انما الكبر بطر الحق، وغمص[5] الناس. والمراد ببطر الحق رده على قائله، وعدم الاعتراف به بعد ظهوره، وذلك أعم من ظهوره على يدي الصغير والكبير والجليل والحقير، وكفى بهذا زجراً وردعاً.

---

(١) م: استحيا.
(٢) م، خ: المسئلة.
(٣) م، خ: يسئلون.
(٤) م، خ: المسئلة.
(٥) م: غمض.

الامر الخامس : التفكير قبل السؤال او الجواب :

ان يتأمل ويهذب ما يريد ان يورده او يسأل[1] عنه قبل ايراده ، والتفوه به ، ليأمن من صدور هفوة او زلة او وهم او انعكاس فهم ، فيصير له بذلك ملكة صالحة . وخلاف ذلك اذا اعتاد الاسراع في السؤال والجواب ، فيكثر سقطه ويعظم نقصه ، ويظهر خطأه[2] ، فيعرف بذلك ، سيما اذا كان هناك من قرناء السوء من يخشى ان يصيّر ذلك عليه وصمة ، ويجعله له عند نظرائه وحسدته وسمة .

الامر السادس : الطهارة والتطيب في مجلس الدرس :

ان لا يحضر مجلس الدرس الا متطهراً من الحدث والخبث ، متنظفاً متطيباً في بدنه وثوبه ، لابساً احسن ثيابه ، قاصداً بذلك تعظيم العلم وترويح الحاضرين من الجلساء والملائكة ، سيما ان كان في مسجد .

وجميع ما ورد من الترغيب في ذلك لمطلق الناس ، فهو في حق العالم والمتعلم آكد .

---

(١) م ، خ : يسئل .
(٢) م : خطاؤه .

النوع ا النوع الثاني : آداب يختص بها المعلّم.[1]

اعلم ان التعليم هو الاصل الذي به قوام الدين، وبه يؤمن انمحاق العلم. فهو من اهم العبادات، وآكد فروض الكفايات.

قال الله تعالى: «واذا أخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتُبيننَّه للناس ولا تكتمونه» (أ). وقال تعالى: «ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب، اولئك يلعنهم الله، ويلعنهم اللاعنون» (ب).

ومن مشاهير[2] الاخبار، قوله (ع): ليبلغ الشاهد منكم الغائب. والاخبار بمعناه كثيرة، وقد مر جملة منها. وآدابه تنقسم ثلاثة اقسام:

اولا : آدابه في نفسه.

ثانيا : وآدابه مع طلبته.

ثالثاً : وآدابه في مجلس درسه.

اولاً[3]: آدابه في نفسه:

آدابه في نفسه مضافاً الى ما تقدم وهي امور:

الامر الاول: ان لا ينتصب للتدريس حتى يكمل اهليته، ويظهر استحقاقه لذلك على صفحات وجهه، ونفحات لسانه. ويشهد له به صلحاء مشايخه.

ففي الخبر المشهور: المتشبع[4] بما لم يعط كلابس ثوبي زور. وقال بعض الفضلاء: من تصدر قبل اوانه، فقد تصدى لهوانه. وقال آخر: من طلب الرئاسة في غير حينها لم[5] يزل في ذل ما بقي.

---

(١) خ: في، زائدة.

(٢) خ: مشايير.

(٣) م، خ: القسم الاول.

(٤) خ: المتشبيع.

(٥) خ: له.

(أ) آل عمران: ١٨٧.

(ب) البقرة: ١٥٩.

وأنشد بعضهم :

لا تطمحن الى المراتب قبل ان ... تتكامل الادوات والاسباب
ان الثمار تمر قبل بلوغها ... طعماً وهن اذا بلغن عذاب

الامر الثاني : ان لا يذل العلم فيبذله لغير اهله ، ويذهب به الى مكان ينسب الى من يتعلمه منه ، وان كان المتعلم كبير القدر ، بل يصون العلم عن ذلك كما صانه السلف. واخبارهم في ذلك كثيرة مشهورة مع الخلفاء وغيرهم .

قال الزهري : هوان العلم ان يحمله العالم الى بيت المتعلم ، اللهم الا ان تدعو اليه ضرورة ، وتقتضيه مصلحة دينية راجحة على مفسدة ابتذاله . ويحسن فيه نية صالحة فلا بأس . وما احسن ما أنشده القاضي ابو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني لنفسه :

يقولون لي فيك انقباض وانما ... رأوا رجلاً عن موقف الذل احجما
ارى الناس من داناهم هان عندهم ... ومن اكرمته عزة النفس أكرما
وما كل برق لاح لي يستفزني ... ولا كل من لاقيت ارضاه منعما
واني اذا ما فاتني الامر لم أبت ... أقلّب كفي نحوه متندما
ولم اقض حق العلم ان كان كلما ... بدا طمع صيرته لي سلما
اذا قيل هذا منهل قلت قد رأى ... ولكن نفس الحر تحتمل الظما
ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي ... لأخدم من لاقيت لكن لاخدما
أأُسقى[1] به عزا وأسقيه ذلة ... اذا فاتباع الجهل قد كان احزما
ولو ان اهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أذلوه فهان ودنسوا ... محياه بالاطماع حتى تجهما

الامر الثالث : ان يكون عاملاً بعلمه زيادة على ما تقدم في الامر المشترك . قال الله تعالى : «اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم (الآية)»(أ). وعن ابي عبد

(١) م : اسقي.

(أ) البقرة : ٤٤.

الله (ع) في قول الله عز وجل : «انما يخشى الله من عباده العلماء» : من صدق قوله فعله ومن لم يصدق قوله فعله . فليس بعالم . وعنه (ع) : العلم مقرون الى العمل ، فمن علم عمل ، ومن عمل علم. والعلم يهتف بالعمل ، فان اجابه والا ارتحل.

وعنه (ع) : «ان العالم اذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب ، كما يزل المطر عن الصفا».

وقال علي (ع) : قصم ظهري عالم متهتك وجاهل متنسك ، فالجاهل يغش الناس بتنسكه ، والعالم ينفرهم[1] بتهتكه.

وقد انشد ذلك بعضهم فقال :

فساد كبير عالم متهتك ... واكبر منه جاهل متنسك
هما فتنة للعالمين عظيمة ... لمن بهما في دينه يتمسك

الامر الرابع : زيادة حسن الخلق فيه ، والتواضع على الامر المشترك ، وتمام الرفق ، وبذل الوسع في تكميل النفس. فان العالم الصالح في هذا الزمان بمنزلة نبي من الانبياء كما قال النبي (ص) : علماء امتي كأنبياء بني اسرائيل ، بل هم في هذا الزمان اعظم ، لأن انبياء بني اسرائيل كان يجتمع منهم في العصر الواحد الوف ، والآن لا يوجد من العلماء الا الواحد بعد الواحد. ومتى كان كذلك فليعلم انه قد علق في عنقه امانة عظيمة ، وحمل اعباء من الدين ثقيلة. فليجتهد في الدين جهده ، وليبذل في التعليم جده ، عسى ان يكون من الفائزين.

وقد روي عن ابي عبد الله (ع) قال : كان امير المؤمنين (ع) يقول ان للعالم ثلاث[2] علامات : العلم والحلم والصمت. وللمتكلف ثلاث علامات : ينازع من فوقه بالمعصية ، ويظلم من دونه بالغلبة ، ويظاهر الظلمة.

---

(١) م : بنفزهم.
(٢) (٣) م ، خ : ثلث.

وعن محمد بن سنان رفعه قال: قال عيسى بن مريم: يا معشر الحواريين لي اليكم حاجة اقضوها لي، قالوا: قضيت[1] حاجتك يا روح الله. فقام فغسل اقدامهم، فقالوا كنا نحن احق بهذا يا روح الله، فقال: ان احق الناس بالخدمة العالم، انما تواضعت هكذا لكي ما تتواضعوا بعدي في الناس كتواضعي لكم.

ثم قال عيسى (ع): بالتواضع تعمر الحكمة لا بالتكبر، وكذلك ينبت الزرع في السهل لا في الجبل[2].

الامر الخامس: ان لا يمتنع من تعليم احد، لكونه غير صحيح النية، فربما عسر على كثير من المبتدئين بالاشتغال تصحيح النية لضعف نفوسهم وانحطاطها عن ادراك السعادة الآجلة، وقلة انسهم بموجبات تصحيحها. فالامتناع من تعليمهم يؤدي الى تفويت كثير من العلم، مع انه يرجى ببركة العلم تصحيحها اذا أنسَ بالعلم.

وقد قال بعضهم: طلبنا العلم لغير الله، فأبي ان يكون الا لله. صارت عاقبته ان صار لله.

وعن الحسن: لقد طلب اقوام العلم ما ارادوا به الله ولا ما عنده، فما زال بهم العلم حتى ارادوا به الله وما عنده. لكن يجب على المعلم اذا شعر من المتعلم فساد النية ان يستدرجه بالموعظة الحسنة، وينبهه على خطر العلم الذي لا يراد به الله، ويتلو عليه من الاخبار الواردة في ذلك حالاً فحالاً حتى يعيده الى القصد الصحيح، فان لم ينجح ذلك ويئس منه، قيل: يتركه حينئذ[3] ويمنعه من التعلم، فان العلم لا يزيده الا شراً.

والى ذلك اشار علي (ع) بقوله: لا تعلقوا الجواهر في اعناق الخنازير. وعن الصادق (ع) قال: قام عيسى بن مريم خطيباً في بني اسرائيل فقال: يا بني

---

(١) خ: اقضيت.

(٢) خ: الا بالجبل.

(٣) م، خ: حـ.

اسرائيل ، لا تحدثوا الجهال بالحكمة فتظلموها ، ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم . ولقد احسن القائل :

فمن منح الجهال علماً أضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم

وفصّل آخرون فقالوا : ان كان فساد نيته من جهة الكبر والمراء ونحوهما ، فالامر كذلك . وان كان من جهة حب الرياسة الدنيوية فينبغي مع اليأس من اصلاحه ان لا يمنعه لعدم ثوران المفسدة وتعديها . ولانه لا يكاد يخلص من هذه الرذيلة احد في البداية ، فاذا وصل الى اصل العلم ، عرف ان العلم انما يطلب للسعادة الابدية بالذات ، والرياسة لازمة له قصد ام لم يقصد .

الامر السادس : بذل العلم عند وجود المستحق وعدم البخل به ، فان الله تعالى اخذ على العلماء من العهود والمواثيق ما أخذه على الانبياء ، ليُبيننه للناس ، ولا يكتمونه .

وعن ابي عبد الله (ع) : قرأت في كتاب علي (ع) ان الله لم يأخذ على الجهال عهداً بطلب العلماء ، حتى اخذ على العلماء عهداً ببذل العلم للجهال ، لأن العلم كان قبل الجهل . وعن ابي عبد الله (ع) في هذه الآية : «ولا تصعِّر خدك للناس» (أ) قال : ليكن الناس عندك في العلم سواء .

وعن جابر الجعفي ، عن ابي جعفر (ع) قال : زكاة العلم ان تعلمه عباد الله .

الامر السابع : ان يحترز من مخالفة افعاله لأقواله ، وان كانت على الوجه الشرعي ، مثل ان يحرم شيئاً ويفعله . او يوجب شيئاً ويتركه ، او بندب الى فعل شيء ولا يفعله .

وان كان فعله ذلك مطابقاً للشرع بحسب حاله ، فان الاحكام الشرعية تختلف باختلاف الاشخاص ، كما لو امر بتشييع الجنائز وباقي احكامهم ، وامر بالصيام وقضاء حوائج المؤمنين ، وافعال البر ، وزيارة قبور الانبياء والائمة (ع) ، ولم يفعل

(أ) لقمان : ١٨ .

ذلك لاشتغاله بما هو اهم منه بحيث ينافي اشتغاله بما يأمر به ما هو فيه، والحال انه افضل او متعين وحينئذ[1] فالواجب عليه، مع خوف التباس الامر ان يبين الوجه الموجب للمخالفة، دفعاً للوسواس الشيطاني من قلب السامع.

كما اتفق للنبي (ص) حين رآه بعض اصحابه ليلاً يمشي مع بعض نسائه الى منزلها، فخاف ان يتوهم انها ليست من نسائه فقال له: ان هذه زوجتي فلانة. ونبهه على العلة لخوفه عليه من تلبيس ابليس عليه. وان كان الواجب على السامع من اول الامر ترك الاعتراض عند اشتباه الحال، بل عند احتماله المسوغ الى ان يتحقق الفساد[2]، كما سيأتي إن شاء الله تعالى في آداب المتعلم.

وبالجملة، فمثل العالم والمتعلم في انتقاشه بأخلاقه وافعاله، مثل الفص والشمع، فانه لا ينتقش في الشمع الا ما هو منقوش في الفص. وقد شاهدنا هذا عياناً في جماعة من طلبة العلم مع مشايخهم، على اختلاف افعالهم واخلاقهم، ولا ينبئك مثل خبير.

الامر الثامن: اظهار الحق بحسب الطاعة من غير مجاملة[3] لأحد من خلق الله تعالى. فاذا رأى من احد ميلاً عن الحق، او تقصيراً في الطاعة، وعظه باللطف ثم بالعنف. فان لم يقبل[4] هجره. فان لم ينجح توصل الى نهيه ورده الى الحق بمراتب الامر بالمعروف، وهذا حكم يختص بالعالم، فيه زيادة على التكليف عن غيره. وان شاركه غيره من المكلفين في اصل الوجوب لان العالم بمنزلة الرئيس الذي اليه الامر والنهي، ولقوله اثر في القلوب.

فعليه في ذلك زيادة تكليف[5]، ولذلك قال النبي (ص): اذا ظهرت البدع في امتي فليظهر العالم علمه، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله. وما جاءت[6] الغفلة في

(١) خ: ساقطة، م: و ح.
(٢) خ: العناد.
(٣) م: محاملة.
(٤) خ: يفعل.
(٥) خ: التكليف.
(٦) م: جائت.

الغالب واستيلاء الجهالة ، والتقصير عن معرفة الفرائض الدينية ، والقيام بالوظائف الشرعية ، والسنن الحنيفية (١) ، واداء الصلوات على وجهها ، الا من تقصير العلماء عن اظهار الحق على وجهه ، واتعاب النفس في اصلاح الخلق ، وردهم الى سلوك سبيل الله ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، بل لا يكتفي علماء السوء بالتقصير عن ذلك حتى يمالئوهم على الباطل ويؤانسوهم ، فتزيد رغبة الجاهل وانهماك الفاسد ، ويقل وقار العالم ، ويذهب ريح العلم.

ولقد قال بعض العلماء ، ونعم ما قال : ان كل قاعد في بيته اين كان ، فليس خالياً عن المنكر ، من حيث التقاعد عن ارشاد الناس وتعليمهم معالم الدين ، وحملهم على المعروف ، سيما العلماء. فان اكثر الناس جاهلون بالشرع في الواجبات العينية ، كالصلاة وشرائطها ، سيما في القرى والبوادي ، فيجب كفاية ان يكون في كل بلد وقرية واحد يعلم الناس دينهم ، باذلاً نفسه للارشاد والتعليم واللطف ، متوصلاً اليه بالرفق ، وكل ما يكون وسيلة الى قبولهم ، واهمه قطع طمعه عنهم وعن اموالهم. فان من علموا منه الرغبة في شيء من ذلك ، زهدوا فيه وفي علمه ، واضمحل امرهم بسبب ذلك. واما اذا قصد وجه الله تعالى ، وامتثال امره ، وقع ذلك في قلوب الخاصة والعامة ، وانقادوا لاوامره (٢) ، واستقاموا على نهج السداد. وهذا كله اذا لم يكن عليه خطر ، ولا على احد من المسلمين ضرر في ذلك ، والا فالله احق بالعذر.

روى عبد الله بن سليمان قال : سمعت ابا جعفر (ع) يقول وعنده رجل من اهل البصرة يقال له عثمان الاعمى ، وهو يقول : ان الحسن البصري يزعم ان الذين يكتمون العلم يؤذي ريح بطونهم اهل النار. فقال ابو جعفر (ع) : فهلك اذا مؤمن آل فرعون ، ما زال العلم مكتوماً منذ بعث الله نوحاً. فليذهب الحسن يميناً وشمالاً ، فوالله ما يوجد العلم الا هـهـنـا.

---

(١) خ : الحنفية.

(٢) خ : لأمره.

ثانيا[1] : آداب المعلم مع طلبته :

ويجمعها امور :

الامر الاول : أن يؤدبهم على التدريج بالآداب السنية والشيم المرضية. ورياضة النفس بالآداب الدينية، والدقائق الخفية، ويعوّدهم الصيانة في جميع امورهم الكامنة والجلية، سيما اذا آنس منهم رشداً.

وأول ذلك ان يحرض الطالب على الاخلاص لله تعالى، في عمله وسعيه، ومراقبة الله تعالى في جميع اللحظات. وان يكون دائماً على ذلك حتى المات. ويعرّفه ان بذلك ينفتح عليه ابواب المعارف، وينشرح صدره وينفجر من قلبه ينابيع الحكمة واللطائف، ويبارك له في حاله وعمله، ويوفق للاصابة في قوله وفعله وحكمه، ويتلو عليه الآثار الواردة في ذلك، ويضرب له الامثال الدالة على ما هنالك، ويزهده في الدنيا ويصرفه عن التعلق بها والركون اليها، والاغترار بزخرفها. ويذكره انها فانية، وان الآخرة باقية، والتأهب للباقي والاعراض عن الفاني هو طريق الحازمين، ودأب عباد الله الصالحين، وانها انما جعلت ظرفاً ومزرعة لاقتناء الكمال، ووقتاً للعلم والعمل فيها ليحرز ثمرته في دار الاقبال بصالح الاعمال.

الامر الثاني : ان يرغبهم في العلم، ويذكرهم بفضائله وفضائل العلماء، وانهم ورثة الانبياء (ع)، وانهم على منابر من نور، يغبطهم الانبياء والشهداء ونحو ذلك مما ورد في فضائل العلم والعلماء من الآيات والاخبار، والآثار والاشعار والامثال.

ففي الادلة الخطابية والامارات الشعرية هز عظيم للنفوس الانسانية، ويرغبهم مع ذلك بالتدريج على[2] ما تعين عليه من الاقتصار على الميسور وقدر الكفاية من الدنيا، والقناعة بذلك عما يشغل القلب من التعلق بها وتفريق الهمم بسببها.

---

(١) م. خ : القسم الثاني.

(٢) خ : من.

الامر الثالث : ان يحب لهم ما يحب لنفسه ، ويكره لهم ما يكره لنفسه من الشر . فان ذلك من تمام الايمان ومقتضى المواساة . في صحيح الاخبار : لا يؤمن احدكم حتي يحب لأخيه ما يحب لنفسه . ولا شك ان المتعلم افضل الاخوان بل الاولاد كما سيأتي .

فان العلم قرب روحاني ، وهو اجلّ من الجسماني . وعن ابن عباس : اكرم الناس علي جليسي ، الذي يتخطى الناس حتى يجلس اليّ . لو استطعت ألّا يقع الذباب عليه لفعلت . وفي رواية : ان الذباب يقع عليه فيؤذيني .

وعن محمد بن مسلم قال : دخل رجل من اهل الجبل على ابي جعفر (ع) فقال له عند الوداع : اوصني ، فقال : عليك بتقوى الله وبر أخاك المؤمن واحب له كما تحب لنفسك ، واكره له كما تكره لنفسك . وان سألك[1] فاعطه ، وان كف عنك ، فاعرض عليه ولا تمله خيراً ، وانه لا يمل لك . كن له عضداً وانه لك عضد . وان وجد عليك فلا تفارقه حتى تسأل سخيمته ، وان غاب فاحفظه في غيبته ، وان شهد فاكنفه واعضده ، وآزره واكرمه والطفه ، فانه منك وانت منه ، وكل خبر ورد في حقوق الاخوان آت هنا مع الزيادة .

الامر الرابع : ان يزجره عن سوء الاخلاق وارتكاب المحرمات والمكروهات او ما يؤدي الى فساد حال او ترك اشتغال اواساءة[2] أدب ، او كثرة كلام لغير فائدة ، او معاشرة من لا تليق به عشرته ، او نحو ذلك بطريق التعريض ما أمكن ، لا بطريق التصريح مع الغنىٰ عنه ، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ . فان التصريح يهتك حجاب الهيبة ، ويورث الجرأة[3] على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الاصرار .

وقد ورد : لو منع الناس عن فت البعر لفتّوه ، وقالوا : ما نهينا عنه إلا وفيه شيء .

(١) م ، خ : سئلك .
(٢) م : اسائه .
(٣) م ، خ : الجرءة .

وفي المعنى انشد بعضهم :

النفس تهوى من يجور ويعتدي والنفس مائلة الى الممنوع
ولكل شيء يشتهيه طلاوة مدفوعة الا عن الممنوع

وانظر ارشاد رسول الله (ص) وتلطفه مع [1] الاعرابي الذي بال في المسجد، ومع معاوية بن الحكم لما تكلم في الصلاة. فان انزجر لذكائه بما ذكر من الاشارة فبها ونعمت، والا نهاه سراً. فان لم ينته نهاه جهراً، ويغلظ القول عليه ان اقتضاه الحال لينزجز هو وغيره ويتادب به كل سامع. فان لم ينته فلا بأس بطرده والاعراض عنه الى ان يرجع، سيما اذا خاف على بعض رفقته من الطلبة موافقته.

وكذلك يتعهد ما يعامل به بعض الطلبة بعضاً من افشاء السلام وحين التخاطب في الكلام، والتحابب والتعاون على البر والتقوى، وعلى ما هم بصدده.

وبالجملة فكما يعلمهم مصالح دينهم لمعاملة الله تعالى، يعلمهم مصالح دنياهم لمعاملة الناس، فيكمل لهم فضيلة الحالتين.

الامر الخامس : ان لا يتعاظم على المتعلمين، بل يلين لهم ويتواضع. قال الله تعالى : «واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين»(أ). وقال (ص) : «ان الله اوحى الي ان تواضعوا»، وقال (ص) : ما نقصت صدقة من مال وما [2] زاد الله عبداً بعفو الا عزاً، وما تواضع احد لله الا رفعه الله. وهذا في التواضع لمطلق الناس فكيف بهؤلاء الذين هم معه كالاولاد مع ما هم عليه من ملازمتهم له، واعتمادهم عليه في طلب العلم النافع، ومع ما هم عليه من حق الصحبة وحرمة التردد وشرف المحبة وصدق التودد.

وفي الخبر عنه (ص) : «علّموا ولا تعنفوا، فان المعلم خير من المعنف». وعنه (ص) : «لينوا لمن تعلّمون ولمن تتعلمون منه». وقد تقدم خبر عيسى (ع) مع

(١) خ : عن.
(٢) خ : وما، ساقطة.

(أ) الشعراء : ٢١٥

الحواريين وغسله اقدامهم وغيره من الاخبار. فعلى المعلم تحسين خلقه مع المتعلمين زيادة على غيرهم والتلطف بهم اذا لقيهم والبشاشة وطلاقة الوجه ، واظهار البشر وحسن المودة ، واعلام المحبة واظهار الشفقة والاحسان اليهم بعلمه وجاهه وحسب ما يمكن.

وينبغي ان يخاطب كلاً منهم سيما الفاضل المتميز بكنيته ونحوها من أحب الأسماء اليه ، وما فيه تعظيم له وتوقير. فلقد كان رسول الله (ص) يكني اصحابه اكراماً لهم ، فان ذلك ونحوه اشرح لصدورهم وابسط لسؤالهم واجلب لمحبتهم ، ويزيد في ذلك لمن يرجو فلاحه ويظهر صلاحه.

وليتمثل وصية رسول الله (ص) في قوله : « ان الناس لكم تبع ، وان رجالاً يأتونكم من اقطار الارض يتفقهون في الدين ، فاذا اتوكم فاستوصوا بهم خيراً ».

وبالجملة ، فالعالم بالنسبة الى المتعلم كالطبيب للمريض ،فكل ما يرجو به شفاءه[1] فليفعله ، فان داء الجهالة النفسانية اقوى من الادواء البدنية. وقد يتفق كون خلاف ما ذكرناه هو الصلاح والدواء ، كما يختلف ذلك باختلاف الامزجة والطباع.

الامر السادس: وهو من جنس السابق ، اذا غاب احد منهم او من ملازمي الحلقة زائداً على العادة ، يسأل[2] عنه وعن احواله ، وموجب انقطاعه. فان لم يخبر عنه بشيء ارسل اليه او قصد منزله بنفسه وهو افضل ، كما كان يفعل رسول الله (ص) مع اصحابه. فان كان مريضاً عاده ، او في غم خفض عنه ، او مسافراً تفقد اهله ومن يتعلق به ، وسأل[3] عنهم ، وتعرض لحوائجهم ، ووصلهم بما امكن. وان لم يحتاجوا اليه في شيء تودد ودعا.

---

(١) م ، خ : شفائه.
(٢) م ، خ : يسأل.
(٣) م : سئل

الامر السابع : ان يستعمل اسماء طلبته وحاضري مجلسه ، وانسابهم وكناهم ومواطنهم واحوالهم ، ويكثر الدعاء لهم . وفي الحديث المسلسل ، بالسؤال عن الاسم والكنية والبلد ، واين انزل فنيه [1] في [2] ذلك .

الامر الثامن : ان يكون سمحا ببذل ما حصله من العلم ، سهلاً بالقائه الى مبتغيه ، متلطفا في افادة طالبيه مع رفق ونصيحة ، وارشاد الى المهمات وتحريض على حفظ ما يبذله لهم من الفوائد النفيسات ، ولا يدخر عنهم من انواع العلم شيئاً يحتاجون اليه ، ويسألون [3] عنه اذا كان الطالب اهلاً لذلك ، وليكتم عنهم ما لم يتأهلوا له من المعارف ، لان ذلك مما يفرق الهمم [4] ويفسد الحال . فان سأله [5] الطالب شيئاً من ذلك ، ينبهه على ان ذلك يضره ، وانه لم يمنعه منه شحا ، بل شفقة ولطفاً .

ثم يرغبه بعد ذلك في الاجتهاد والتحصيل ليتأهل لذلك وغيره . وقد روي في تفسير «الرباني» انه الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره .

الامر التاسع : صد المتعلم ان يشتغل بغير الواجب قبله ، وبفرض الكفاية قبل فرض العين ، ومن فرض العين اصلاح قلبه ، وتطهير باطنه بالتقوى . ويقدم على ذلك مؤاخذته هو نفسه بذلك ليقتدي المتعلم اولاً باعماله ، ثم يستفيد ثانيا من اقواله . وكذلك يمنعه من علم الادب قبل السنّة وهكذا .

الامر العاشر : ان يكون حريصاً على تعليمهم ، باذلاً وسعه في تفهيمهم ، وتقريب الفائدة الى افهامهم واذهانهم ، ومهتما بذلك ، مؤثراً له على حوائجه ومصالحه ما لم يكن ضرورة الى ما هو ارجح منه ، ولا يدخر من نصحهم شيئاً ، ويفهم كل واحد منهم بحسب فهمه وحفظه ، ولا يعطيه ما لا يحتمله ذهنه ، ولا

---

(١) خ : فنيته .
(٢) خ : في ، ساقطة .
(٣) م ، خ : يسئلون .
(٤) م ، خ : الهم .
(٥) ، م ، خ : سئلة .

يبسط الكلام بسطاً لا[1] يضبطه حفظه ، ولا يقصر به عما يحتمله بلا مشقة . ويخاطب كل واحد منهم على قدر درجته وبحسب فهمه ، فيلقي للمتميز الحاذق الذي يفهم المسألة[2] فهماً محققاً بالاشارة ، ويوضح لغيره لا سيما متوقف الذهن ، ويكررها لمن لا يفهمها الا بتكرار ، ويبدأ[3] بتصوير المسألة[4] ، ثم يوضحها بالامثلة ان احتيج إليها ، ويذكر الادلة والمآخذ لمحتملها ، ويبين الدليل المعتمد ليعتمد . والضعيف لئلا يغتر به ، فيقول استدلوا بكذا وهو ضعيف لكذا .

مراعياً في ذلك ما يجب مراعاته مع من يضعف قوله من العلماء ، بأن يقصد مجرد بيان الحق ، حيث يتوقف على ذلك ، لا رفع نفسه على غيره ، ولا هضم غيره .

ويبين اسرار حكم المسألة[5] وعللها ، وتوجيه الاقوال والاوجه الضعيفة والجواب عنه ، وما يتعلق بتلك المسألة[6] من اصل وفرع ، وما يبنى عليها وما يشبهها وحكمه حكمها وما يخالفها[7] ، ومأخذ الحكمين ، والفرق بين المسألتين[8] ، وما يتعلق بالمسألة[9] من النكت اللطيفة والالغاز الظريفة ، والامثال والاشعار واللغات وما يرد عليها او على عبارة مثلها ، وجوابه ان امكن . وينبه على غلط من غلط فيها من المصنفين ، في حكم او تخريج ، او نقل ، ونحو ذلك لغرض صحيح ، لا لمجرد اظهار الخطأ والصواب ، بل النصيحة لئلا يغتر به . كل ذلك مع اهلية الملقى اليه لذلك .

الامر الحادي عشر[10] : ان يذكر في تضاعيف الكلام ما يناسبه من قواعد الفن الكلية ، التي لا تنخذم[11] او يضبط مستثنياتها ان كانت ، كقوله : كل ركن

---

(١) خ : و ، زائدة .
(٢) م ، خ : المسئلة .
(٣) م : ويبدء .
(٤) م ، خ : المسئلة .
(٥) م ، خ : المسئلة .
(٦) م ، خ : المسئلة .
(٧) خ : يخالها .
(٨) م ، خ : المسئلتين .
(٩) م ، خ : المسئلة .
(١٠) م : الحادي عشر .
(١١) خ : تنخرم .

تبطل الصلاة بزيادته ونقصانه الا مواضع مخصوصة ، ويبينها . وكلما اجتمع سبب ومباشرة قدمت المباشرة على السبب . وكل من قبض شيئاً لغرضه ، لا يقبل في الرد الى المالك ، وان الحدود تسقط بالشبهة ، وان الاعتبار في اليمين بالله تعالى بنيّة الحالف ، الا ان يكون المستحلف قاضياً ، وقد استحلفه لدعوى اقتضته . فالاعتبار بنيّة القاضي او نائبه المستحلف ، وان كل يمين على نفي فعل الغير فهي على نفي العلم الا من ادعى عليه ان عبده جنى ، او بهيمه كذلك ، وان السيد لا يثبت له في ذمة عبده مال ابتداء ، ونحو ذلك .

ويبين له جملاً مما تنضبط به[1] ، او يحتاج له من اصول الفقه ، كترتيب الادلة من الكتاب والسنة ، والاجماع والقياس على وجه ، والاستصحاب وانواع الاقيسة ودرجاتها ، وحدود ما ناسب تحديده ، وجملة من اسماء المشهورين والصحابة ، والتابعين والعلماء ، وتراجمهم ووفياتهم ، وضبط المشكل من اسمائهم وانسابهم ، والمشتبه من ذلك ، والمختلف والمؤتلف ، ونحو ذلك . وجملة من الالفاظ اللغوية والعرفية المتكررة في العلم ضبطاً لمشكلها ، فيقول هي مفتوحة او مشددة ونحو ذلك . كل ذلك تدريجاً شيئاً فشيئاً ، فيجتمع لهم مع طول الزمان خير عظيم .

الامر الثاني عشر : ان يحرضهم[2] على الاشتغال في كل وقت ، ويطالبهم في اوقات باعادة محفوظاتهم ، ويسألهم[3] عما ذكره لهم من المهمات والمباحث . فمن وجده حافظاً مراعياً اكرمه واثنى عليه ، واشاع ذلك ما لم يخف فساد حاله باعجاب ونحوه .

ومن وجده مقصراً ، عنفه في الخلوة ، وان رأى مصلحة في الملأ فعل ، فانه طبيب يضع الدواء حيث يحتاج اليه وينفع .

الامر الثالث عشر : ان يطرح على اصحابه ما يراه من مستفاد المسائل

---

(١) م : به ، ساقطة .

(٢) ح : يحرصهم .

(٣) م ، خ : يسئلهم .

الدقيقة والنكت الغريبة ، يختبر بذلك افهامهم ، ويظهر فضل الفاضل ليتدربوا بذلك ويعتادوه .

ولا يعنف من غلط منهم في ذلك ، الا ان يرى في ذلك مصلحة . وقد روي عن ابي عمر ان النبي (ص) قال : ان من الشجر [1] شجرة لا يسقط ورقها ، وانها مثل المسلم ، حدثوني ما هي؟ فوقع الناس في شجر البوادي ، ووقع في نفسي انها النخلة ، فاستحييت ، ثم قالوا حدثنا ما هي يا رسول الله ، قال : هي النخلة ، فقال له ابوه : لو قلتها لكان احب الي من كذا وكذا . وكذلك اذا فرغ من شرح درس ، فلا بأس ان يطرح مسائل تتعلق به على الطلبة ، واعادة ذكر ما أشكل منه ، ليمتحن بذلك فهمهم ، وضبطهم لما شرح لهم .

فمن ظهر استحكام فهمه له بتكرار الاصابة [2] في جوابه شكره ، ومن لم يفهمه تلطف في اعادته له .

وينبغي للشيخ أن يأمر الطلبة بالاجتماع في الدرس ، لما يترتب عليه من الفائدة التي لا تحصل مع الانفراد ، واعادة ما وقع من التقرير بعد فراغه فيما بينهم ، ليثبت في اذهانهم .

الامر الرابع عشر : ان ينصفهم في البحث ، فيعترف بفائدة يقولها بعضهم وان كان صغيراً ، فان ذلك من بركة العلم .

قال بعض السلف : من بركة العلم وآدابه الإنصاف . ومن لم ينصف لم يفهم ، ولم يتفهم . فيلازمه في بحثه وخطابه وسمع السؤال من مورده على وجهه ، وان كان صغيراً ، ولا يترفع عن سماعه فيحرم الفائدة . ولا يحسد احداً منهم لكثرة تحصيله ، او زيادته [3] على خاصته من ولد وغيره . فالحسد حرام ، فكيف بمن هو بمنزلة الولد . وفضيلته يعود الى معلمه منها اوفر نصيب ، فانه مربيه ، وله في تعليمه وتخريجه في

---

(١) خ : الشجرة .
(٢) م : الاضابة .
(٣) خ : زيارته .

الآخرة الثواب الجزيل ، وفي الدنيا الدعاء المستمر والثناء الجزيل . وما رأينا ولا سمعنا باحد من المشايخ اهتم بتفضيل ولده على غيره من الطلبة وافلح ، بل امر بيد الله ، والعلم فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

الامر الخامس عشر : ان لا يظهر للطلبة تفضيل بعضهم على بعض عنده ، في مودة او اعتناء ، مع تساويهم في الصفات من سن او فضيلة او ديانة . فان ذلك ربما يوحش الصدر وينفر القلب .

فان كان بعضهم اكثر تحصيلاً ، واشد اجتهاداً ، واحسن ادباً ، فاظهر اكرامه وتفضيله ، وبيّن ان زيادة اكرامه لتلك الاسباب . فلا بأس بذلك لأنه ينشط ويبعث على الاتصاف بتلك الصفات المرجحة .

الامر السادس عشر : ان يقدم في تعليمهم اذا ازدحموا الاسبق فالاسبق ، ولا يقدمه باكثر من درس الا برضى الباقين ، ويختار اذا كانت الدروس في كتاب واحد باتفاق منهم وهو المسمى بالتقسيم ، ان يبدأ[١] في كل يوم بدرس واحد منها ، فان الدرس المبدوء[٢] به ربما حصل فيه من النشاط في التقرير ما لا يحصل في غيره ، الا اذا علم من نفسه عدم الملالة وبقاء النشاط ، فيرتب الدروس[٣] ترتيب الكتاب ، فيقدم درس العبادات على درس المعاملات وهكذا . وان رأى مع ذلك تقديم الاسبق ليخص المتأخر على التقدم[٤] كان حسناً .

وينبغي ان لا يقدم احداً في نوبة غيره ، ولا يؤخره عن نوبته ، الا اذا رأى في ذلك مصلحة كنحو ما ذكرنا . فان سمح بعضهم لغيره في نوبته فلا بأس . وان جاءوا معاً وتنازعوا ، اقرع بينهم بشرط الآتي مع بيان المسألة[٥] مفصلة إن شاء الله تعالى في القسم الثالث من النوع الثالث .

---

(١) م : يبدء .
(٢) م : المبدء .
(٣) م : الدرس .
(٤) خ : التقديم .
(٥) م ، خ : المسئلة .

الامر السابع عشر: اذا سلك الطالب في التحصيل فوق ما يقتضيه حاله او تحمله طاقته، وخاف ضجره، اوصاه بالرفق بنفسه، وذكّره بقول النبي (ص): ان المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً ابقي ونحو ذلك، مما يحمله على الاناة والاقتصاد في الاجتهاد.

وكذلك اذا ظهر له منه نوع سآمة او ضجر او مبادىء ذلك، امره بالراحة وتخفيف الاشتغال، وليزجره عن تعلم ما لا يحتمله فهمه او سنه من علم او كتاب، او يقصر ذهنه عن فهمه. فان استشاره من لا يعرف حاله في الفهم والحفظ في قراءة[1] فن او كتاب، لم يشر عليه حتي يجرب ذهنه ويعلم حاله. فان لم يحتمل الحال التأخر، اشار عليه بكتاب سهل من الفن المطلوب.

فان رأى فهمه جيداً، وذهنه قابلاً نقله الى كتاب يليق بذهنه، والا تركه. لان نقل الطالب الى ما يدل نقله اليه على جودة ذهنه وكماله مما يزيد انبساطه ويوفر[2] نشاطه، والى ما يدل على قصوره بخلاف ذلك ولا يمكن الطالب من الاشتغال في فنين او اكثر اذا لم يضبطها، بل يقدم الاهم فالاهم كما سنذكر إن شاء الله. واذا علم او غلب على ظنه انه لا يفلح في فن اشار عليه بتركه، والانتقال الى غيره، مما يرجى فلاحه فيه.

الامر الثامن عشر: اذا كان متكفلاً ببعض العلوم لا غير، لا ينبغي له ان يقبح في نفس[3] الطالب العلوم التي وراءه[4] كما يتفق ذلك كثيراً لجهلة المعلمين، فان المرء عدو ما جهل كمعلم العربية والمعقول اذ عادته تقبيح الفقه، ومعلم الفقه تقبيح علم الحديث والتفسير واشباه ذلك.

وهكذا ينبغي ان يوسع على الطالب طريق التعلم في غيره، واذا رأى مرتبة العلم الذي بيده متأخرة عما بيد غيره يرشده الى من بيده السبق. فان ذلك هو الواجب

---

(١) م: قرائة.

(٢) م: توفر.

(٣) م: نفس، ساقطة.

(٤) م، خ: وراه، ولعلها رآها.

من نصح المسلمين، وحفظ العلم والدين، واتم الدليل على كمال المعلم وموجب الملكة الصالحة للمتعلم.

الامر التاسع عشر: وهو من المهم، ان لا يتأذى ممن يقرأ[1] عليه اذا قرأ[2] على غيره ايضاً لمصلحة راجعة الى المتعلم، فان هذه مصيبة[3] يبتلى بها جهلة المعلمين، ومن لا يريد بعلمه وجه الله تعالى، لغباوتهم وفساد نياتهم. وهو من اوضح الادلة على عدم ارادتهم بالتعليم وجه الله الكريم وثوابه الجسيم. فانه عبد مأمور باداء رسالة سيده الى بعض عبيده.

فاذا ارسل السيد عبداً آخر لاداء الرسالة، لا ينبغي للاول ان يغضب، فان ذلك لا ينقصه عند السيد، بل يزيده قدراً ورفعة عنده، اذا وجده ممتثلاً لما يريده منه او من غيره.

فالواجب على المعلم اذا وجد من الطالب نشاطاً وقوة على تعدد الدرس، وبما يقدر على تحصيل غرضه بنفسه، ان يرشده ابتداء الى من يقرأ[4] عليه درساً آخر، فان ذلك من تمام النصيحة ورعاية حفظ الامانة. وهذا امر اتفق لي من بعض مشايخي بمصر، احسن الله جزاءه[5].

هذا كله اذا كان المعلم الآخر الذي انتقل اليه الطالب بنفسه اهلا. اما لو كان جاهلاً مع عدم علم الطالب، او فاسقاً او مبتدعاً، او كثير الغلط ونحو ذلك، بحيث يفيد الطالب ملكة ردية لا يرجح عليها ما يحصله من العلم عليه فالتحذير من الاغترار به حسن، مع مراعاة المقصد المنجح. والله يعلم المفسد من المصلح.

الامر العشرون: اذا تكمل الطالب وتأهل للاستقلال بالتعليم، واستغنى عن التعليم فينبغي ان يقوم المعلم بنظام أمره في ذلك، ويمدحه في المحافل، ويأمر الناس

(١) م: يقرء.
(٢) م: قرء.
(٣) م: مصيبته.
(٤) م: يقرء.
(٥) م، خ: جزائه.

بالاشتغال عليه والاخذ عنه . فان الجاهل بحاله قد لا يأنس ولا يطمئن به . وان تصدى للتعليم بدون ارشاد من هو معلوم الحال ، ولينبه على حاله مفصلاً . ومقدار معلوماته وتقواه وعدالته . ونحو ذلك مما له مدخل في اقبال الناس على التعلم منه . فان ذلك سبب عظيم لانتظام العلم وصلاح الحال . كما انه لو رأى منه ميلاً الى الاستبداد والتدريس ويعلم قصوره عن المرتبة . واحتياجه الى التعلم ، ينبغي ان يقبح ذلك عنده ، ويشدد النكير عليه في الخلاء .

فإن لم ينجح ، فليظهر ذلك على وجه صحيح المقصد ، حتى يرجع الى الاشتغال ويتأهل للكمال ، ومرجع الامر كله الى ان المعلم بالنسبة الى المتعلم بمنزلة الطبيب . فلا بد في كل وقت من تأمل العلة المحوجة الى الاصلاح . ومداواته على الوجه الذي تقتضيه[1] العلة . وللذكي في تفصيل الحال ما لا يدخل تحت الضبط . فان لكل مقام مقالاً صالحاً ، ولكل مرض دواء ناجحاً .

(١) م : يقتضيه .

ثالثا[1] : آدابه في درسه :

وهي امور :

الأمر الاول : أن لا يخرج الى الدرس الا كامل الأهبة ، وما يوجب له الوقار والهيبة في اللباس[2] والهيئة والنظافة في الثوب والبدن. ويختار له البياض فانه افضل لباسا[3] ، ولا يعتني بفاخر الثياب ، بل بما يوجب الوقار واقبال القلوب عليه ، كما ورد النص به في ائمة المحافل من الاعياد والجماعات وغيرهما.

وقد اشتمل كتاب التجمل من كتاب الكافي على الاخبار الصحيحة في هذا الباب ، بما لا مزيد عليه ويخرج التعرض له عن موضوع الرسالة ، وليقصد بذلك تعظيم العلم وتبجيل الشريعة ، وليتطيب ويسرح لحيته ويزيل كل ما يشينه.

كان بعض اصحاب السلف اذا جاءه[4] الناس لطلب الحديث ، يغتسل ويتطيب ويلبس ثيابا جددا ، ويضع رداءه[5] على رأسه ، ثم يجلس على منصة ، ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ ويقول : احب ان اعظم حديث رسول الله (ص).

الأمر الثاني : ان يدعو عند خروجه مريدا للدرس بالدعاء المرويّ عن النبي (ص) : «اللهم اني اعوذ بك ان أَضِلَّ أو أُضَلَّ ، أو أَزِل أو أُزَل ، أو أَظلِم أو أُظلَم ، أو اجهل أو يجهل عليّ. عز جارك ، وحل ثناؤك ، ولا إله غيرك».

ثم يقول : بسم الله ، حسبي الله ، توكلت على الله ، لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، اللهم ثبت جناني ، وادر الحق على لساني . ويديم ذكر الله تعالى ، الى ان يصل الى المجلس.

---

(١) م ، خ : القسم الثالث.
(٢) خ : في اللباس ، ساقطة.
(٣) م : لباسنا.
(٤) م ، خ : جائه.
(٥) م ، خ : ردائه.

الأمر الثالث : ان يسلم على من حضر اذا وصل الى المجلس ، ويصلي ركعتين تحية ان كان مسجدا ، والا نوى بهما الشكر لله تعالى على توفيقه وتأهيله لذلك ، او الحاجة الى تسديده وتأييده وعصمته من الخطأ ، أو مطلقتين ، فان الصلاة خير موضوع . واما استحبابهما لذلك بخصوصه فلم يثبت ، وان استحبه بعض العلماء .

ثم يدعو بعدهما بالتوفيق والامانة والعصمة .

الأمر الرابع : ان يجلس بسكينة ووقار وتواضع وخشوع واطراق ، ثانياً رجليه او محتبيا غير متربع ولا مقع ولا غير ذلك من الجلسات المكروهة مع الاختيار . ولا يمد رجليه ولا إحداهما من غير عذر ، ولا يتكي الى جنبه ولا وراء ظهره ونحو ذلك . كل ذلك في حال الدرس ، اما في غيره فلا بأس لأن الطلبة بمنزلة اولاده .

الأمر الخامس : قيل يجلس مستقبلاً القبلة لأنه اشرف ، ولقوله (ص) : خير المجالس ما استقبل بها ، ويمكن ان يقال باستحباب استدباره لها ليخص الطلبة بالاستقبال ، لأنهم أكثر . وكذا من يجلس اليهم للاستماع . ومثله ورد في القاضي ، الا ان لذاك[1] مزية زائدة في ذلك وهي كون الخصوم الى القبلة تغليظا عليهم في الحذر من الكلام الباطل ، وفي حال الحلف ولا نص هنا على الخصوص .

الأمر السادس : ان ينوي قبل شروعه بل حين خروجه من منزله ، تعليم العلم ونشره وبث الفوائد الشرعية ، وتبليغ الاحكام الدينية التي اؤتمن عليها ، وامر ببيانها ، والازدياد في العلم بالمذاكرة واظهار الصواب ، والرجوع الى الحق والاجتماع على ذكر الله تعالى . والدعاء للعلماء الماضين والسلف الصالحين ، وغير ذلك مما يحضره من المقاصد ، فان باحضارها بالبال ، وكثرتها يزيد ثواب العمل ، فانما الاعمال بالنيات .

وليس المراد بالنية ان يقول افعل كذا ويرتب لها الفاظا مخصوصة ، بل المراد بها بعث النفس ، وتصميم العزم على الفعل المخصوص لغرض التقرب الى الله تعالى ،

(١) خ : لذلك .

وطلب الزلفى لديه ، حتى لو تلفظ وقال افعل ذلك لله تعالى والله مطلع على قلبه يقصد غير ذلك كقصد الظهور في المحافل ، وارتفاع الصيت والترجيح على الامثال والنظراء ، فهو مخادع لله تعالى ، مراء للناس ، والله مطلع على فساد نيته وخبث طويته ، فيستحق العقوبة على هذه الذنوب وان كانت بمظهر العبادة.

اصلح الله تعالى بفضله وكرمه اعمالنا ، وسددنا في اقوالنا ، واخلص سرائرنا ومقاصدنا بمنه وفضله.

الأمر السابع : ان يستقر على سمت واحد مع الامكان ،فيصون بدنه عن الرجف والتنقل عن مكانه ، والتقلقل ، ويديه عن العبث والتشبيك بهما ، وعينيه عن تفريق النظر بلا حاجة. ويتقي كثرة المزاح والضحك ، فانه يقلل الهيبة ويسقط الحرمة ويزيل الحشمة ، ويذهب العزة من القلوب.

واما القليل من المزاح فمحمود كما كان يفعله النبي (ص) ومن بعده من الائمة المهديين ، تأنيساً للجلساء وتأليفا للقلوب ، وقريب منه الضحك ، فقد كان النبي (ص) يضحك حتى تبدو نواجذه ، ولكن لا يعلو الصوت ، والعدل التبسم.

الأمر الثامن : ان يجلس في موضع يبرز وجهه فيه لجميع[1] الحاضرين ويلتفت اليهم التفاتا خاصا بحسب الحاجة للخطاب ، ويفرق النظر عليهم ، ويخص من يكلمه او يسأله[2] او يبحث معه على الوجه بمزيد التفات اليه ، واقبال عليه ، وان كان صغيرا او وضيعا. فان تخصيص المترفعين من افعال المتجبرين والمرائين ، والقارىء من الحاضرين في حكم الباحث ، فيخصه بما يتعلق بدرسه ، ويعطي غيره من الخطاب والنظر بحسب حاله وسؤاله.

الأمر التاسع : ان يحسن خلقه مع جلسائه زيادة على غيرهم ، ويوقر فاضلهم بعلم أو سن او صلاح ، أو شرف ونحو ذلك. ويرفع مجالسهم على حسب تقديمهم في الامامة. ويتلطف بالباقين ، ويكرمهم بحسن السلام وطلاقة الوجه

(١) خ : بجميع.
(٢) م ، خ : يسئله.

والبشاشة والابتسام ، وبالقيام على سبيل الاحترام ، ولا كراهية فيه بوجه . وان كان في بعض الاخبار ما يوهمه ، وتحقيقه في غير هذا المحل.

الأمر العاشر: ان يقدم على الشروع في البحث والتدريس تلاوة ما تيسر من القرآن العظيم ، تيمناً وتبركاً. ويدعو عقيب القرآن لنفسه وللحاضرين ، ولسائر المسلمين. ثم يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ، ويسمي الله تعالى ويحمده ويصلي ويسلم على النبي صلى الله عليه وعلى آله واصحابه ، ثم يدعو للعلماء الماضين والسلف الصالحين ، ولمشايخه خاصة ، ولوالديه وللحاضرين . وان كان في مدرسة ونحوها دعا لواقف المكان . وهذا ، وان لم يرد به نص على الخصوص لكن فيه خير عظيم وبركة . والمحل موضع اجابة ، وفيه اقتداء بالسلف من العلماء ، فقد كانوا يستحبون ذلك.

وذكر بعض العلماء انه يقول من جملة الدعاء : اللهم اني اعوذ بك ان أَضِلّ أو أُضَل ، أو[1] أَزلَّ أو أُزَل ، أو[1] أَظْلِمَ أو أُظْلَم ، أو[1] أجهل أو يُجهل علي. اللهم انفعني بما علمتني ، وعلمني ما ينفعني ، وزدني علما. والحمد لله على كل حال .

اللهم اني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعاء لا يسمع . وكان بعض العلماء يختار قراءة[2] سورة الاعلى ، ويزعم انه متأس متفائل بما فيها من قوله الاعلى ، ومن قوله : «قدَّر فَهَدَى» ، وقوله : «سنقرئكَ فلا تنسى» ، وقوله : «فذكِّر» ، وقوله : «صحف إبراهيم وموسى» (أ).

وروي ان من اجتمع مع جماعة ودعا ، يكون من دعائه : «اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معصيتك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما يهون به علينا مصائب الدنيا ، اللهم متعنا باسماعنا وابصارنا وقوتنا ما احييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ، ولا تجعل دنيانا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا .

(١) خ : و.
(٢) م . خ : قرائه.

(أ) الاعلى : ٣ و١٩.

الأمر الحادي عشر[1] : ان يتحرى تفهيم[2] الدرس بأيسر الطرق واعذب ما يمكنه من الالفاظ ، مترسلاً مبينا موضحاً مقدماً ما ينبغي[3] تقديمه ، مؤخراً ما ينبغي تأخيره ، مرتبا من المقدمات ما يتوقف عليها تحقيق[4] المحل ، واقفاً في موضع الوقف ، موصلاً في موضع الوصل ، مكرراً ما يشكل من معانيه والفاظه ، مع حاجة الحاضرين او بعضهم اليه .

واذا فرغ من تقرير المسألة[5] سكت قليلا ، حتى يتكلم من في نفسه كلام عليه . ولا يذكر في الدرس شبهة في الدين ، ويؤخر الجواب عنها الى درس آخر ، بل يذكرهما جميعا او يؤخرهما جميعا ، سيما اذا كان الدرس يجمع الخاص والعام . ومن يحتمل انه لا يعود الى ذلك المقام فيقع الشبهة في نفسه ، ولا يتفق له جوابها فيصير سببا في فتنته .

الأمر الثاني عشر : اذا تعددت الدروس فليقدم منها الاشرف فالاشرف ، والاهم فالاهم . فيقدم اصول الدين ثم التفسير ثم الحديث ثم اصول الفقه[6] ثم النحو ثم المعاني . وعلى هذا قياس باقي العلوم بحسب مرتبتها والحاجة اليها . وسيأتي إن شاء الله تعالى ما يعين على هذا الترتيب في باب يخصه .

الأمر الثالث عشر : ان لا يطول مجلسه تطويلا يملهم ، أو يمنعهم فهم الدرس أو ضبطه . لأن المقصود افادتهم وضبطهم ، فاذا صاروا الى هذه الحالة فات المقصود ، ولا يقصره تقصيرا يخل بعض تقريره او ضبطه أو فهمه لفوات المقصود ، ويراعى في ذلك مصلحة الحاضرين في الفائدة ، والتطويل استيفاء الاقسام في التقسيم اذا كانوا من اهله .

---

(١) م ، خ : الحاذيعشر.
(٢) خ : تفهم.
(٣) م : يتبغى.
(٤) خ : يحقق.
(٥) م ، خ : المسئلة.
(٦) خ : اصول الفقه ، ساقطة.

الأمر الرابع عشر: ان لا يشتغل بالدرس وبه ما يزعجه ويشوش فكره من مرض او جوع أو عطش، أو مدافعة حدث او شدة فرح او غم او غضب أو نعاس أو قلق أو برد او حر مؤلمين، حذرا من ان يقصر عن استيفاء المطلوب من البحث، او يفتي بغير الصواب.

الأمر الخامس عشر: ان لا يكون في مجلسه ما يؤذي الحاضرين من دخان او غبار أو صوت[1] مزعج أو شمس موجبة للحر الشديد او نحو ذلك، مما يمنع من تأدية المطلوب، بل يكون واسعا مصونا عن كل ما يشغل الفكر ويشوش النفس ليحصل فيه الغرض المطلوب.

الأمر السادس عشر: مراعاة مصلحة الجماعة في تقديم وقت الحضور وتأخيره في النهار، اذا لم يكن عليه فيه ضرورة ولا مزيد كلفة. ومن الضرورة الاشتغال في الوقت الصالح بالمطالعة والتصنيف، حيث يكون الاشتغال به اولى من التدريس.

الأمر السابع عشر: ان لا يرفع صوته زيادة على الحاجة، ولا يخفضه خفضا يمنع بعضهم من كمال فهمه. وقد روي عن النبي (ص): «ان الله يحب الصوت الخفيض ويبغض الصوت الرفيع». والأولى ان لا يجاوز صوته مجلسه، ولا يقصر عن سماع الحاضرين. فان حضر فيهم ثقيل السمع فلا بأس بعلو صوته بقدر ما يسمعه. وقد روي في فضيلة ذلك حديث.

الأمر الثامن عشر: ان يصون مجلسه عن اللغط، فان الغلط تحت اللغط. وعن رفع الاصوات وسوء الادب في المباحثة، واختلاف جهات البحث، والعدول عن المسألة[2] الى غيرها قبل إكمالها. فاذا ظهر من احد الباحثين شيء من مبادىء ذلك تلطف في دفعه قبل انتشاره وثوران النفوس، ويذكر لجملة الحاضرين ما يقتضي قبح الانتقال المذكور، وان المقصود اجتماع القلوب على اظهار الحق وتحصيل الفائدة والصفا والرفق، واستفادة البعض من البعض، ويذكرهم ما جاء

(١) خ: صوب.
(٢) م، خ: المسئلة.

في ذم المباراة والمنافسة [1] والشحناء ، سيما اهل العلم والمتسمين [2] به ، وان ذلك سبب العداوة والبغضاء الموجبين لتشويش الفكر ، وذهاب الدين . وان الواجب كون الاجتماع خالصا لله تعالى ، ليثمر الفائدة في الدنيا والسعادة في الأخرى .

الأمر التاسع عشر : ان يزجر من تعدى في بحثه او ظهر منه لدد أو سوء أدب ، او ترك انصاف بعد ظهور الحق ، او أكثر الصياح بغير فائدة او اساء ادبه على غيره من الحاضرين او الغائبين ، أو ترفع على من هو أولى منه في المجلس او نام او تحدث مع غيره حالة الدرس ، أو ضحك او استهزأ [3] بأحد أو فعل ما يخل بأدب الطالب في الحلقة ، وسيأتي تفصيله إن شاء الله تعالى . هذا كله اذا لم يترتب على ذلك مفسدة تربو عليه . وهذا النوع مغاير لما مر من زجرهم ، وكفهم عن مساوىء الأخلاق لأن هذا خاص بالدرس ، وذاك بما يتعلق بشأن أنفسهم وإن كان يمكن ادراجه فيه ، الا ان الاهتمام بشأنه حسن ذكره على الخصوص .

الأمر العشرون : ان يلازم الرفق بهم وسماع سؤالهم ، واذا عجز السائل عن تقرير ما اورده او تحرير العبارة فيه لحياء او قصور ، ووقع على المعنى عبّر عن مراده أولا ، وبيّن وجه ايراده واجاب بما عنده . وان اشتبه عليه مراده سأله [4] عن الأمور التي يحتمل ارادته لها فيقول له : اتريد بقولك كذا ، فان قال نعم ، اجابه والا ذكر محتملا آخر . وان سئل عن شيء ركيك فلايستهزىء به ، ولا يحتقر السائل ، فان ذلك امر لا حيلة فيه ، ويتذكر ان الجميع كانوا كذلك [5] ثم تعلموا وتفهموا .

الأمر الواحد والعشرون : ان يتودد لغريب حضر عنده ، وينبسط له لينشرح صدره . فان للقادم دهشة سيما [6] بين يدي العلماء ، ولا يكثر [7] النظر

---

(١) خ : المناقشة .
(٢) م : المتسنمين .
(٣) م : استهزء .
(٤) م : سئله .
(٥) م : كك .
(٦) خ : لا ، زائدة .
(٧) خ : تكثير .

والالتفات اليه استغرابا له ، فان ذلك يخجله ويمنعه من المسألة[1] والمشاركة في البحث ان كان من اهله.

الأمر الثاني والعشرون: اذا اقبل بعض الفضلاء وقد شرع في مسألة[2] امسك عنها. وان جاء وهو يبحث اعادها له او مقصودها. واذا اقبل وقد بقي للفراغ وقيام الجماعة بقدر ما يصل الى المجلس، فليؤخر تلك البقية ويشتغل عنها ببحث أو غيره، الى ان يجلس ثم يعيدها، أو يتمم تلك البقية كيلا يخجل المقبل بقيامهم عند جلوسه.

الأمر الثالث والعشرون: وهو من اهم الآداب. اذا سئل عن شيء لا يعرفه، او عرض في الدرس ما لا يعرفه، فليقل: لا إعرفه او لا اتحققه او لا أدري أو حتى اراجع النظر في ذلك. ولا يستنكف عن ذلك، فمن علم العالم ان يقول فيما لا يعلم لا اعلم، والله اعلم.

قال علي (ع): اذا سئلتم عما لا تعلمون فاهربوا. قالوا: وكيف الهرب؟ قال: تقولون الله اعلم. وعن ابي جعفر الباقر (ع): ما علمتم فقولوا، وما لم تعلموا فقولوا: الله اعلم. ان الرجل ليتسرّع[3] بالآية من القرآن يخر فيها ابعد ما بين السماء. وعن زرارة بن اعين قال: سألت[4] ابا جعفر (ع): «ما حق الله على العباد؟ قال: ان يقولوا ما يعلمون ويقفوا عند ما لا يعلمون».

وعن الصادق (ع): «ان الله خص عباده بآيتين من كتابه: «ان لا يقولوا حتى يعلموا ولا يردوا ما لم يعلموا». قال الله عز وجل: «ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله الا الحق»(أ). وقال: «بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله»(ب).

---

(١) م: المسئلة.
(٢) م: مسئله.
(٣) خ: ليسرع.
(٤) م: سئلت.

(أ) الأعراف ١٦٩.
(ب) يونس: ٣٩.

وعن ابن عباس : «اذا ترك العالم لا أدري ، أصيبت مقاتله» . وعن ابن مسعود : «اذا سئل احدكم عما لا يدري فليقل لا أدري ، فانه ثلث العلم» وقال آخر : «لا أدري ثلث العلم» . وقال بعض الفضلاء : «ينبغي للعالم أن يورث اصحابه لا أدري ، ومعناه ان يكثر منها ، لتسهل عليهم ويعتادوها . فيستعملوها[1] في وقت الحاجة .

وقال آخر : تعلّم لا أدري ، فانك ان قلت لا ادري علموك حتى تدري ، وان قلت ادري سألوك[2] حتي لا تدري . واعلم ان قول العالم لا أدري لا يضع منزلته ، بل يزيد لها رفعة ، ويزيده في قلوب الناس عظمة تفضلا من الله تعالى عليه ، وتعويضا له بالتزامه الحق ، وهو دليل واضح على عظمة محله وتقواه ، وكمال معرفته .

ولا يقدح في المعرفة الجهل بمسائل معدودة ، وانما يستدل بقوله لا أدري على تقواه ، وانه لا يجازف في فتواه ، وان المسألة من مشكلات المسائل ، وانما يمتنع من لا أدري من قل علمه ، وعدمت تقواه وديانته ، لأنه يخاف لقصوره ان يسقط من أعين الناس ، وهذه جهالة اخرى منه ، فانه باقدامه على الجواب فيما لا يعلم يبوء بالاثم العظيم ، ولا يصرفه عما عرف به من القصور ، بل يستدل به على قصوره ، ويظهر الله تعالى عليه ذلك بسبب جرأته على القول في الدين ، تصديقا لما ورد في الحديث القدسي : «من افسد جوّانيه افسد الله برّانيه» .

ومن المعلوم انه اذا رأى المحققين يقولون في كثير من الأوقات «لا أدري» وهذا المسكين لا يقولها ابدا ، يعلم انهم يتورعون لدينهم وتقواهم ، وانه يجازف لجهله وقلة دينه ، فيقع فيما فرَّ منه ، واتصف بما احترز عنه لفساد نيته وسوء طويته .

وقد قال النبي (ص) : «المتشبع بما لم يعط ، كلابس ثوبي زور» . وقد أدّب الله تعالى العلماء بقصة موسي والخضر (ع) حين لم يردّ موسي العلم الى الله تعالى لما سئل ، هل احد اعلم منك ؟ بما حكاه الله عنهما من الآيات (أ) الموذنة بغاية الذل من

---

(١) خ : فليستعلموها .

(٢) م : سئلوك .

(أ) الكهف : ٦٦ ـــ ٦٩ .

موسى (ع) ، وغاية العظمة من الخضر (ع) . وسيأتي إن شاء الله تعالى في هذه الرسالة جولة من نكت القصة .

الأمر الرابع والعشرون : انه اذا اتفق له تقرير أو جواب توهمه صوابا ، يبادر الى التنبيه على فساده ، وتبيين خطئه[1] قبل تفرق الحاضرين . ولا يمنعه الحياء او غيره من المبادرة ، وتحمله النفس الأمارة على التأخير الى وقت آخر خال ، فانه من خدع النفس وتلبيس ابليس لعنه الله ، وفيه ضرر عظيم من وجوه كثيرة : منها استقرار الخطأ في قلوب الطلبة ، ومنها تأخير بيان الحق مع الحاجة اليه .

ومنها خوف[2] عدم حضور بعض اهل المجلس في الوقت الآخر فيستمر[3] الخطأ في فهمه . ومنها طاعة الشيطان في الاستمرار على الخطأ ، وهو موجب لطمعه فيه مرة ثانية وهلم جرا . ومع تأديته للواجب من ذلك يفيد الطالبين ملكة صالحة تعقب خيرا عظيما ، يكون الراجع سببا فيه فيشارك في اجره ، مضافا الى ما استحقه من الاجر بفعل ما يجب عليه ، فقد غنمت حركته وربحت تجارته برجوعه الى الحق ، ويرفعه الله تعالى بسبب ذلك خلاف ما يظنه الجاهل ، ويتوهمه الاحمق الغافل .

الأمر الخامس والعشرون : التنبيه عند فراغ الدرس او ارادته بما يدل عليه ان لم يعرفه القارىء . وقد جرت عادة السلف ان يقولوا حينئذ[4] والله اعلم .

وقال بعض العلماء : أولى ان يقال قبل ذلك كلام يشعر بختم الدرس ، كقوله : هذا آخره ، أو ما بعده يأتي إن شاء الله تعالى ، ونحو ذلك ليكون قوله والله اعلم خالصا لذكر الله ولقصد معناه . وينبغي ان يستفتح كل درس ببسم الله الرحمن الرحيم ليكون ذاكرا الله تعالى في بداءته وخاتمته ، واذا جعل الذكر دليلا على الفراغ لم يتمحض له .

---

(١) م ، خ : خطائه .
(٢) خ : أخوف .
(٣) خ : فيستقر .
(٤) م : ح ، خ : ساقطة .

الأمر السادس والعشرون : ان يختم الدرس بذكر شيء من الرقائق والحكم والمواعظ وتطهير الباطن ، ليتفرقوا على الخشوع والخضوع والاخلاص. فان البحث البحث يورث في القلب قوة ربما اعقب قسوة ، فليحركه في كل وقت الى الاقبال ، ويلاحظه بالاستكمال. ولا شيء اصلح من تلك الحالة.

هذا كله اذا لم يكن بعد ذلك دروس حاضرة بحيث يكون الاشتغال بها أولى ، فيؤخر ذلك الى الآخر حسب ما يقتضيه الحال.

الأمر السابع والعشرون : ان يختم المجلس بالدعاء كما بدأ[1] به ، بل هو الآن اولى واقرب الى الاجابة لما قد غشيهم من الرحمة ، وخصهم من المثوبة ، وليتضمن دعاؤهم الائمة الراشدين والعلماء السابقين ، وتعميم جماعة المسلمين ، وان يجعل اعمالهم خالصة لوجهه مقربة الى مرضاته. وقد ورد ان النبي (ص) كان يختم مجلسه بالدعاء ، وفيه حديث مسلسل يختمه به مشهور ، ومتنه انه (ص) كان اذا فرغ من حديثه واراد ان يقوم من مجلسه ، يقول : اللهم اغفر لنا ما اخطأنا وما تعمدنا ، وما اسررنا وما انت اعلم به منا. انت المقدم وانت المؤخر لا إله الا انت.

الأمر الثامن والعشرون : ان يمكث قليلا بعد قيام الجماعة ، فان فيه فوائد وآداباً له ولهم ، منها ان كان في نفس احد منهم بقايا سؤال تأخر ، ومنها ان كان لأحد به حاجة قد صبر عليها حتى فرغ ، يذكرها له. ومنها عدم مزاحمتهم ورفع الكلفة عنهم بخروجه قبلهم ، وخفق النعال خلفه وهو آفة عظيمة خطرة. ومنها عدم ركوبه بينهم ان كان يركب الى غير ذلك.

الأمر التاسع والعشرون : ان ينصِّب لهم نقيبا فطنا كيسا ، يرتب الحاضرين ومن يدخل عليه على قدر منازلهم ، ويوقظ النائم وينبه الغافل ، ويشير الى ما ينبغي فعله وتركه ، ويأمر بسماع الدروس والانصات اليها لمن لا يعرف. وكذلك ينصِّب لهم رئيسا آخر يعلِّم الجاهل ويعيد درس من اراد ، ويرجع اليه في كثير مما يستحيي أن

(١) م، خ : بدء.

يلتى به العالم من مسألة[1] أو درس ، فان فيه ضبطا لوقت العالم وصلاحا لحال المتعلم.

الأمر الثلاثون[2] : ان يقول اذا قام من مجلسه : «سبحانك اللهم ، وبحمدك اشهد ان لا إله الا انت ، استغفرك واتوب اليك ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين». رواه جماعة من فعل النبي (ص). وفي بعض الروايات ان الثلاث[3] آيات كفارة المجلس ، وكما يستحب لكل قائم ، لكنه في حقه آكد.

---

(١) م ، ح : مسئلة.

(٢) م : الثلثون.

(٣) م : الثلث.

النوع الثالث : آداب يختص بها المتعلم .

وهي تنقسم ، كما مر ، ثلاثة[1] اقسام : آدابه في نفسه ، وآدابه مع شيخه ، وآدابه في مجلس درسه .

أولاً[2] : آدابه في نفسه :

وهي أمور :

الأمر الأول : ان يحسن نيته ويطهر قلبه من الادناس ، ليصلح لقبول العلم وحفظه واستمراره ، وقد تقدم ما يدل عليه ، لكن اعيد هنا لينبه على كونه من اسباب التحصيل . وهناك من اسباب الفائدة الاخروية .

قال بعض الكاملين : تطييب القلب للعلم كتطييب الارض للزراعة ، فبدونه لا ينمو ولا تكثر بركته ، ولا يزكو ، كالزرع في ارض بائرة غير مطيبة .

وقال النبي (ص) : « ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ، الا وهي القلب » .

وقال سهل بن عبد الله : « حرام على قلب ان يدخله النور وفيه شيء مما يكرهه الله تعالى » .

وقال علي بن حشرم : شكوت الى وكيع قلة الحفظ ، فقال : استعن على الحفظ بقلة الذنوب . وقد نظم بعضهم ذلك في بيتين فقال :

شكوت الى وكيع سوء حفظي   فارشدني الى ترك المعاصي
وقال اعلم بأن العلم فضل   وفضل الله لا يؤتيه عاصي

---

(١) م . خ : ثلثة .
(٢) م ، خ : القسم الاول .

الأمر الثاني : ان يغتنم التحصيل في الفراغ والنشاط ، وحالة الشباب [1] وقوة البدن ، ونباهة الخاطر وسلامة الحواس ، وقلة الشواغل وتراكم العوارض ، سيما قبل ارتفاع المنزلة . والاتسام بالفضل والعلم فانه اعظم صاد عن درك الكمال ، بل سبب تام في النقصان والاختلال .

قال بعضهم : «تفقهوا قبل ان تسُودوا أو تصيروا سادة ، فتأنفوا من التعلم أو تستحيوا منه بسبب المنزلة فيفوتكم العلم» . وقال آخر : «تفقه قبل ان تترأس ، فاذا رأست فلا سبيل الى التفقه» .

وجاء في الخبر: مثل الذي يتعلم العلم في صغره كالنقش على الحجر ، ومثل الذي يتعلم العلم في كبره كالذي يكتب على الماء .

وعن ابن عباس : ما أوتي عالم علماً الا وهو شاب ، وقد نبه الله على ذلك بقوله تعالى : «وآتيناه الحكم صبياً» (أ) وهذا باعتبار الغالب ، والا فمن كبر لا ينبغي له ان يحجم عن الطلب ، فان الفضل واسع ، والكرم وافر ، والجود فائض ، وابواب الرحمة والهبات مفتوحة ، فان كان المحل قابلاً تمت النعمة وحصل المطلوب .

قال الله تعالى : «واتقوا الله ويعلمكم الله» (ب) . وقال تعالى : «فلما بلغ اشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً» (ج) . وقال تعالى حكاية عن موسى (ع) : «ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكما» (د) الى غير ذلك ، وقد اشتغل جماعة من السلف في حال كبرهم ، فتفقهوا وصاروا اساطين في الدين ، وعلماء مصنفين في الفقه وغيره .

فليغتنم العاقل عمره ، وليحرز شبابه عن التضييع ، فان بقية العمر لا ثمن لها كما قيل :

---

(١) خ : اسبب .

(أ) مريم : ١٢ .

(ب) البقرة : ٢٨٢ .

(ج) يوسف : ٢٢ .

(د) الشعراء : ٢١ .

بقية العمر عندي ما لها ثمن   وما مضى غير محمود من الزمن
يستدرك المرء فيها ما افات ويحيي   ما امات، ويمحو السوء بالحسن

الامر الثالث: ان يقطع ما يقدر عليه من العوائق الشاغلة، والعلائق المانعة عن تمام الطلب، وكمال الاجتهاد وقوة الجد في التحصيل. ويرضي بما تيسر من القوت وان كان يسيراً، وبما يستر مثله من اللباس وان كان خلقاً. فبالصبر على ضيق العيش ينال سعة العلم، ويجمع شمل القلب عن مفترقات الآمال، لينفجر عنه ينابيع الحكمة والكمال.

قال بعض السلف: لا يطلب احد هذا العلم بعز النفس فيفلح، ولكن من طلبه بذلِّ النفس وضيق العيش وخدمة العلماء افلح. وقال ايضاً: لا يصلح طلب العلم الا لمفلس، فقيل: ولا الغني المكفي، (فقال: ولا الغني المكفي)[1].

وقال آخر: لا يبلغ احد من هذا العلم ما يريد حتى يضر به الفقر، ويؤثره على كل شيء. وقال بعضهم: لا ينال هذا العلم الا من عطّل دكانه، وخرّب بستانه، وهجر إخوانه، ومات اقرب اهله فلم يشهد جنازته. وهذا كله وان كان فيه مبالغة، فالمقصود به انه لا بد فيه من جمع القلب واجتماع الفكر.

وبالغ بعض المشايخ فقال لبعض طلبته: اصبغ ثوبك حتى لا يشغلك فكر غسله. ومن هنا قيل: «العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك».

الامر الرابع: ان يترك التزويج حتى يقضي وطره من العلم، فانه اكثر شاغل واعظم مانع، بل هو المانع جملة، حتى قال بعضهم: «ذبح العلم في فروج النساء».

وعن ابراهيم بن ادهم: من تعود افخاذ النساء لم يفلح، يعني اشتغل بهن عن الكمال. وهذا امر وجداني مجرب واضح، لا يحتاج الى الشواهد، كيف مع ما يترتب عليه على تقدير السلامة فيه من تشويش الفكر بهمّ الاولاد والاسباب.

(١) ما بين القوسين ساقط في خ.

ومن المثل السائر: لو كلفت بصلة، ما فهمت مسألة[1]. ولا يغتر الطالب بما ورد في النكاح من الترغيب، فان ذلك حيث لا يعارضه واجب اولى منه، ولا شيء اولى ولا افضل ولا واجب اضيق من العلم، سيما في زماننا هذا، فانه وان وجب على الاعيان، والكفاية على تفصيل، فقد وجب في زماننا على الاعيان مطلوب[2]، لان فرض الكفاية اذا لم يقم به من فيه كفاية، يصير كالواجب العيني في مخاطبة الكل به، وتأثيمهم بتركه[3] كما هو محقق في الاصول.

الامر الخامس: ان يترك العشرة مع من يشغله عن مطلوبه، فان تركها من اهم ما ينبغي لطالب العلم، ولا سيما لغير الجنس وخصوصاً لمن قلت فكرته وكثر تعبه وبطالته. فان الطبع سرّاق. واعظم آفات العشرة ضياع العمر بغير فائدة، وذهاب الغرض والدين ان كانت لغير اهل.

والذي ينبغي لطالب[4] العلم ان لا يخالط الا لمن يفيده او يستفيد منه، فان احتاج الى صاحب فليختر الصاحب الصالح، الديّن التقي الذكي، الذي ان نسي ذكّره، وان ذكّر اعانه، وان احتاج واساه، وان ضجر صبره، فيستفيد من خلقه ملكة صالحة. فان لم يتفق مثل هذا، فالوحدة ولا قرين السوء.

الامر السادس: ان يكون حريصاً على التعلم، مواظباً عليه في جميع اوقاته ليلاً ونهاراً، سفراً وحضراً. ولا يذهب شيئاً من اوقاته في غير العلم، الا بقدر الضرورة لما لا بد منه، من اكل ونوم واستراحة يسيرة لإزالة الملل، ومؤانسة زائر وتحصيل قوت وغيره مما يحتاج اليه، او لألم وغيره مما يتعذر معه الاشتغال. فان بقية العمر لا ثمن لها. ومن استوى يوماه فهو مغبون، وليس بعاقل من امكنه الحصول على درجة ورّثها الانبياء ثم فوّتها. ومن هنا قيل: «لا يستطاع العلم براحة الجسد».

---

(١) مٓ، خ: مسئلة.

(٢) م: مط.

(٣) خ: بركة.

(٤) خ: الطالب.

وقيل: «الجنة حفت بالمكاره». وقيل: «ولا بد دون الشهد من إبر النحل». وقيل:

لا تحسب المجد تمراً انت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا[١].

الامر السابع: ان يكون عالي الهمة، فلا يرضى باليسير مع امكان الكثير. ولا يسوِّف في اشتغاله، ولا يؤخر تحصيل فائدة وان قلت تمكن منها، وان امن فوات حصولها بعد ساعة لان للتأخير آفات، ولانه في الزمن التالي يحصل غيرها. حتى لو عرض له مانع عن الدرس فليشتغل بالمطالعة والحفظ بجهده، ولا يربط شيئاً بشيء. وليعلم انه ان اراد التأخير الى زمن يكمل فيه الفراغ، فهذا زمن لم يخلقه الله تعالى بعد، بل لا بد في كل وقت من موانع وعوائق وقواطع، فقاطع ما امكنك منها قبل ان تقطعك كلها، كما ورد في الخبر: «الوقت سيف، فان قطعته والا قطعك».

والى هذا المعنى اشار بعض الاولياء الفضلاء، مشيراً الى الحث على مقامات العارفين:

وكن صارماً كالوقت فالمقت في عسى واياك علَّ فهي اخطر علةِ
وسر زمناً وانهض كسيراً فحظك البطالة ما اخرت رمز لصحت
واقدم وقدم ما قعدت له مع الخوالف واخرج عن قيود التلفت
وجُدَّ بسيف العزم سوف فان تجد تجد نفساً فالنفس ان جدْتَ جدَّت.

الامر الثامن: ان يأخذ في ترتيب التعلم بما هو الاولى، ويبدأ[٢] فيه بالاهم فالاهم، فلا يشتغل في النتائج قبل المقدمات، ولا في اختلاف العلماء في العقليات والسمعيات قبل اتقان الاعتقاديات. فان ذلك يحير الذهن ويدهش العقل، واذا اشتغل في فن فلا ينتقل عنه حتى يتقن فيه كتاباً او كتباً ان امكن. وهذا القول في كل فن.

وليحذر التنقل من كتاب الى كتاب، ومن فن الى غيره من غير موجب، فان ذلك علامة الضجر وعدم الفلاح، فاذا تحققت اهليته، وتأكدت معرفته، فالاولى

(١) م: الصبر.
(٢) م: ويبدء.

له ان لا يدع فنا من العلوم المحمودة ونوعاً من انواعها الا وينظر فيه نظراً يطلع به على مقاصده وغايته.

ثم ان ساعده العمر وانهضه التوفيق، طلب التبحر فيه، والا اشتغل بالاهم فالاهم. فان العلوم متقاربة، وبعضها مرتبط ببعض غالباً.

واعلم ان العمر لا يتسع لجميع [1] العلوم، فالحزم ان يأخذ من كل علم احسنه، ويصرف جمام قوته في العلم الذي هو اشرف العلوم، وهو العلم النافع في الآخرة، مما يوجب [2] كمال النفس وتزكيتها بالاخلاق الفاضلة والاعمال الصالحة، ومرجعه الى معرفة الكتاب والسنة، وعلم مكارم الاخلاق وما ناسبه. والانسان على نفسه بصيرة والله المستعان.

---

(١) خ: بجميع.

(٢) خ: توجب.

ثانيا[1] : آدابه مع شيخه :

آدابه مع شيخه وقدوته ، وما يجب عليه من تعظيم حرمته . قال الصادق (ع) : كان امير المؤمنين (ع) يقول : ان من حق العالم ان لا تكثر عليه السؤال ، ولا تأخذ بثوبه . واذا دخلت عليه وعنده قوم فسلم عليهم وخصه بالتحية دونهم . واجلس بين يديه ولا تجلس خلفه ، ولا تغمز بعينك ولا تشر بيدك . ولا تكثر من القول: قال فلان ، وقال فلان خلافاً لقوله : ولا تضجر لطول صحبته . وانما مثل العالم مثل النخلة تنتظرها متى يسقط عليك منها شيء . والعالم اعظم اجراً من الصائم القائم[2] ، الغازي في سبيل الله .

وفي حديث الحقوق الطويل ، المروي عن سيد العابدين (ع) : وحق سائسك بالعلم التعظيم له ، والتوقير لمجلسه ، وحسن الاستماع[3] اليه ، والاقبال عليه ، وألا[4] ترفع عليه صوتك ، ولا تجيب احداً يسأله[5] عن شيء حتى يكون هو الذي يجيب . ولا تحدث في مجلسه احداً ، ولا تغتاب عنده احداً . وان تدفع عنه اذا ذكر عندك بسوء ، وان تستر عيوبه وتظهر مناقبه ولا تجالس له عدواً ، ولا تعادي له ولياً .

فاذا فعلت ذلك شهدت لك ملائكة الله عز وجل بأنك قصدته ، وتعلمت علمه لله جل اسمه لا للناس[6] . وفيما حكاه الله عز وجل عن موسى (ع) حين خاطب الخضر (ع) بقوله : «هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشداً ؟» (أ) وفي قوله : «ستجدني ان شاء الله صابراً ولا اعصي لك امراً» (ب) . جملة جليلة من الآداب الواقعة من المتعلم لمعلمه ، مع[7] جلالة قدر موسى (ع) ، وعظم شأنه ، وكونه من اولي العزم من[8] الرسل ، ثم لم يمنعه ذلك من استعمال الآداب اللائقة بالمعلم ، وان كان المتعلم اكمل منه من جهات أخر.

---

(١) م ، خ : القسم الثاني .
(٢) خ : القائم ، ساقطة .
(٣) خ : الاسماع .
(٤) خ : ان لا .
(٥) م : يسئله .
(٦) خ : لا للناس ، ساقطة .
(٧) م : و
(٨) م : من ، ساقطة .
(أ) الكهف : ٦٦ .
(ب) الكهف : ٦٩ .

ولو اردنا استقصاء ما اشتمل عليه تخاطبهما من الآداب والدقائق لخرجنا عن وضع الرسالة ، لكنا نشير الى ما يتعلق بالكلمة الاولى وهي قوله : «هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشداً» ، فقد دلت على اثنتي عشرة فائدة من فوائد الادب :

١ ــ جعل نفسه تبعاً له لمقتضى انحطاط المنزلة في جانب المتبوع.

٢ ــ الاستئذان بهل ، اي هل تأذن لي في اتباعك. وهو مبالغة عظيمة في التواضع.

٣ ــ تجهيل نفسه ، والاعتراف لمعلمه بالعلم بقوله : على ان تعلمني.

٤ ــ الاعتراف له بعظم النعمة بالتعليم ، لأنه طلب منه ان يعامله بمثل ما عاملة الله تعالى به ، اي ان[1] يكون انعامك علي كانعام الله عليك. ولهذا المعنى قيل : انا عبد من تعلمت منه ، ومن علّم انساناً مسألة[2] ملك رقه.

٥ ــ ان المتابعة عبارة عن الاتيان بمثل فعل الغير، لكونه فعله لا لوجه آخر. ودل ذلك على ان المتعلم يجب عليه من اول الامر التسليم وترك المنازعة.

٦ ــ الاتيان بالمتابعة من غير تقييد بشيء ، بل اتباعه مطلوب[3] لا يقيد ، وهو غاية التواضع.

٧ ــ الابتداء بالاتباع ثم بالتعليم ثم بالخدمة ثم بطلب العلم.

٨ ــ انه قال : هل اتبعك على ان تعلمني؟ اي لم اطلب على تلك المتابعة الا التعليم. كأنه قال : لا اطلب منك على تلك المتابعة مالاً ولا جاهاً.

٩ ــ «مما علمت» اشارة الى بعض ما عُلّم ، اي لا اطلب منك المساواة بل بعض ما عُلّمت ، فانت ابداً مرتفع عليّ، زائد القدر.

١٠ ــ قوله «مما عُلّمت» اعتراف بان الله علمه ، وفيه تعظيم للمعلم والعلم ، وتفخيم لشأنهما.

---

(١) خ : ان ، ساقطة.

(٢) م : مسئلة.

(٣) م : مط ، خ : مطهر.

١١ــ قوله «رشداً» ، طلب[١] الارشاد ، وهو ما لولا حصوله لغوى وضل ، وفيه اعتراف بشدة الحاجة الى التعليم ، وهضم عظيم لنفسه . واحتياج بيّن لعلمه .

١٢ ــ ورد ان الخضر (ع) عُلّم اولا : انه نبي بني اسرائيل ، وموسى صاحب التوراة الذي كلمه الله عز وجل بغير واسطة ، وخصهٔ بالمعجزات ، وقد اتى مع هذا المنصب بهذا التواضع العظيم بأعظم ابواب المبالغة ، فدل على ان هذا هو الأليق . لأن من كانت احاطته بالعلوم اكثر ، كان علمه بما فيها من البهجة والسعادة اكثر . فيشتد طلبه لها ، ويكون تعظيمه لاهل العلم اكمل . ثم مع هذه المعرفة من الخضر (ع) ، وهذه الغاية من الادب والتواضع من موسى (ع) ، اجابه بجواب رفيع وكلام منيع ، مشتمل على العظمة والقوة وعدم الادب مع موسى (ع) ، بل وصفه بالعجز وعدم الصبر بقوله : «انك لن تستطيع معي صبراً»(أ). وقد دلت هذه الكلمة الوجيزة ايضاً على فوائد كثيرة من ادب المعلم واعزازه للعلم ، واجلاله لمقامه ، على وجه يقتضي التأسي به ، ولا دخل له بهذا الباب . لكنا نذكر جملة منه لمناسبة المقام وله مدخل واضح في اصل الرسالة :

الاول : وصفه بعدم الصبر على تعلم العلم المقتضي ، لانحطاط قدره وسقوط محله ، بالاضافة الى مقام الصابرين الذين وعدهم الله تعالى بالكرامة وبشّرهم بالصلاة والرحمة .

الثاني : نفيه عند الاستطاعة على الصبر الموجب لقطع طمعه في السعي عليه والاتصاف به ، وتحصيل اسبابه . وهو في الاغلب امر مقدور للبشر . وكان غاية ما يقتضي الحال من المعلم ، توصيته بالصبر لا تعجيزه عنه .

الثالث : نفي الاستطاعة «بلن»[٢] المقتضية للنفي المؤبد على رأي جماعة من المحققين ، منهم الزمخشري . وهو موجب لليأس منه ، لوقوع الاخبار به من معلم متبوع صادق .

---

(١) خ : طالب .

(٢) خ : بان .

(أ) الكهف : ٦٧ .

الرابع : توكيد الجملة «بأن» واسمية الجملة. والنفي بلن وغيرها من المؤكدات، وهو غاية عظيمة في التعجيز والتضعيف.

الخامس : الاشارة الى انك ان تخيل لك انك صابر على حسب ما تجده من نفسك، فانت لا تعلم حالك عند صحبتي، لانك لم تصحبني بعد. والصبر الذي انفيه عنك هو الصبر معي، وهذا امر انا اعلم به، لعلمي بمقدار ما تطلب تعلمه وجهلك به.

السادس : التنبيه على عظم قدر العلم وجلالة شأنه، وتفخيم امره، وانه امر يحتاج الى الصبر العظيم، الخارج عن عادات البشر، اذ لا شك ان موسى كليم الله. ونبيه اعظم شأناً واكبر نفساً واقوى صبراً واعظم كمالاً من غيره من الناس.

السابع : التنبيه على انه لا ينبغي ان يبذل العلم الا لمن كان ذا صبر قوي ورأي سويّ، ونفس مستقيمة. فانه نور من الله تعالى، لا ينبغي وضعه كيفما اتفق ولا بذله لمن أراد، بل لا بد من ممارسته قبل ذلك واختباره وقابليته له بكل وجه.

الثامن : التنبيه على ان علم الباطن اقوى مرتبة من علم الظاهر، واحوج الى قوة الجنان وعزيمة الصبر. فمن ثم كان[1] موسى (ع) محيطاً بعلم الظاهر على حسب استعداده حاملاً له بقوة، وخوفه الخضر (ع) مع ذلك من عجزه على الصبر على تحمل العلم الباطني، وحذّره من قلة الصبر. واراد عليه السلام بهذه المبالغة في نفيه انه مما يشق تحمله عليك، ويعسر تجشمه، على جهة التأكيد[2]، في امثال هذه «الخطابيات»، لا انه غير مقدور البتة، والا لما قال له موسى (ع) بعد ذلك: «ستجدني إن شاء الله صابراً» (أ).

وقس على ما قد اشرنا اليه من الآداب والوظائف، ما يحتمله بقية الآيات. فهي متقاربة في افادة المعنى في هذا المقام، وبه يترقى من اراد التوصل الى باقي المرام اذا

---

(١) م: كان ثم.
(٢) خ: وجهة التأكيد.
(أ) الكهف: ٦٩.

تقرر ذلك. فلنعد الى ذكر الآداب المختصة بالمتعلم مع شيخه، حسب ما قرره العلماء تفريعاً على المنصوص منها.

وهي امور:

الامر الاول: وهو اهمها، ان يقدم النظر فيمن يأخذ عنه العلم، ويكتسب حسن الاخلاق والآداب منه، فان تربية الشيخ لتلميذه ونسبة اخراجه لاخلاقه الذميمة، وجعل مكانها خلقاً حسناً، كفعل الفلاح الذي يقلع الشوك من الارض، ويخرج منها النبتات الخبيثة من بين الزرع ليحسن نباته، ويكمل ريعه. وليس كل شيخ يتصف بهذا الوصف، بل ما اقل ذلك، فانه في الحقيقة نائب عن الرسول (ص).

وليس كل عالم يصلح للنيابة، فليختر من كملت اهليته وظهرت ديانته وتحققت معرفته وعرفت عفته، واشتهرت صيانته وسيادته، وظهرت مروته، وحسن تعليمه، وجاد تفهيمه. وقد تقدم جملة اوصافه، ولا يغتر الطالب بمن زاد علمه مع نقص في ورعه او دينه او خلقه. فان ضرره في خلق المتعلم ودينه اصعب من الجهل الذي يطلب زواله، واشد ضرراً.

وعن جماعة من السلف: «هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذوا دينكم». ومما يؤنس به ان يكون له مع مشايخ عصره كثرة بحث وطول اجتماع وزيادة ممارسة، وثناء منهم على سمته وخلقه وبحثه. وليحترز ممن اخذ علمه من بطون الكتب من غير قراءة[1] على الشيوخ، خوفاً من وقوعه في التصحيف والغلط والتحريف.

قال بعض السلف: «من تفقه من بطون الكتب ضيّع الاحكام». وقال آخر: «اياكم[2] والصفحيون الذين يأخذون علمهم[3] من الصحف، فان ما يفسدون اكثر مما يصلحون». وليحذر من التقييد بالمشهورين وترك الاخذ من الخاملين، فان

---

(١) م: قرائه، خ: قرأته.
(٢) خ: واياكم.
(٣) خ: علمهم، ساقطة.

ذلك من الكبر على العالم ، وهو عين الحماقة ، لان «الحكمة ضالة المؤمن [1] يلتقطها حيث وجدها » ، ويغتنمها حيث ظفر بها ، ويتقلد المنة ممن ساقها اليه . وربما يكون الخامل ممن ترجى بركته ، فيكون النفع به أعم ، والتحصيل من جهته اتم .

واذا سرت احوال السلف والخلف ، لم تجد النفع غالباً الا اذا كان للشيخ من التقوى والنصح والشفقة للطلبة نصيب وافر . وكذلك اذا اعتبرت المصنفات وجدت [2] الانتفاع بتصنيف الاتقى اوفر ، والفلاح بالاشتغال به اكثر ، وبالعكس حال العالم المجرد .

الامر الثاني : ان يعتقد في شيخه انه الأب الحقيقي ، والوالد [3] الروحاني ، وهو اعظم من الوالد [3] الجسماني . فيبالغ بعد الأب [4] في حقه كما تقدم في رعاية حق ابوته ووفاء حق تربيته .

وقد سئل الاسكندر ما بالك توقر معلمك اكثر من والدك؟ فقال : لأن المعلم سبب لحياتي الباقية ، ووالدي سبب لحياتي الفانية . وأيضاً لم يقصد الوالد في الأغلب في مقاربة والدته وجوده ، ولا كمال وجوده ، وانما قصد لذة نفسه فوُجد هو ، وعلى تقدير قصده لذلك ، فالقصد المقترن بالفعل أولى من القصد الخالي عنه . واما المعلم فقصد تكميل وجوده وسببه [5] ، وبذل فيه جهده ، ولا شرف لاصل الوجود الا بالاضافة الى العدم ، فانه حاصل للديدان والخنافس ، وانما الشرف في كماله ، وسببه المعلم .

وقد روي ان السيد الرضي قدس الله روحه ، كان عظيم النفس ، عالي الهمة ، أبيّ الطبع لا يقبل لأحد منّة . وله في ذلك قصص غريبة مع الخليفة العباسي حين اراد صلته بسبب مولود ولد له وغيره .

---

(١) خ : المونة .
(٢) خ : اوجدت .
(٣) خ : الولد .
(٤) م : الادب .
(٥) م : سيّبه .

ومنها ان بعض مشايخه قال له يوماً : بلغني ان دارك ضيقة لا تليق بحالك ، ولي دار صالحة لك قد وهبتها لك فانتقل إليها ، فأبى ، فأعاد عليه الكلام ، فقال : يا شيخ انا لم اقبل برَّ أَبي قط ، فكيف اقبل من غيره؟ فقال له الشيخ : ان حقي عليك اعظم من حق أبيك لأني ابوك الروحاني وهو ابوك الجسماني . فقال السيد (ره) قد قبلت الدار . ومن هنا قال بعض الفضلاء : من علم العلم كان خير اب ، ذاك ابو الروح لا ابو النطف .

الامر الثالث : ان يعتقد انه مريض النفس ، لان المرض هو الانحراف عن المجرى الطبيعي وطبع النفس بالعلم ، وانما خرجت عن طبعها بسبب غلبة اخلاط القوى البدنية . ويعتقد ان شيخه طبيب مرضه ، لأنه يرده الى المجرى الطبيعي فلا ينبغي ان يخالفه فيما يشير إليه ، كأن يقول له اقرأ الكتاب الفلاني ، واكتف بهذا القدر من الدرس[1] لأنه ان خالفه كان بمنزلة المريض يرد على طبيبه في وجه علاجه . وقد قيل في الحكم مراجعة المريض طبيبه يوجب تعذيبه ، وكما ان الواجب على المريض ترك تناول المؤذيات والاغذية المفسدة للدواء في حضرة الطبيب وغيبته . كذلك المتعلم فيجب ان يطهر نفسه من النجاسة المعنوية التي غاية المعلم النهي عنها من الحقد والحسد ، والغضب والشره والكبر والعجب وغيرها من الرذائل ، ويقطع مادة المرض رأساً لينتفع بالطبيب .

الامر الرابع : ان ينظره بعين الاحترام والاجلال والاكرام ، ويضرب صفحاً عن عيوبه ، فان ذلك اقرب الى انتفاعه به ، ورسوخ ما يسمعه منه في ذهنه . ولقد كان بعض السلف اذا ذهب الى شيخه تصدق بشيء ، وقال اللهم استر عيب معلمي عني ، ولا تذهب ببركة علمه مني . وقال آخر كنت اصفح الورقة بين يدي شيخي صفحاً رقيقاً[2] هيبة له لئلا يسمع وقعها أو قال رفعها .

---

(١) خ : الدروس .
(٢) م : رفيقاً .

وقال آخر : والله ما اجترأت[1] ان اشرب الماء وشيخي ينظر إليّ هيبة له . وقال حمدان الاصفهاني : كنت عند شريك فأتاه بعض اولاد الخليفة المهدي ، فاستند الى الحائط ، وسأله[2] عن حديث ، فلم يلتفت إليه وأقبل علينا ثم عاد ، فعاد[3] شريك لمثل ذلك فقال : أتستخف بأولاد الخلفاء؟ قال : لا ، ولكن العلم أجلّ عند الله من ان اضيعه ، فجثا على ركبتيه فقال : شريك هكذا يطلب العلم.

الامر الخامس : ان يتواضع له زيادة على ما امر به من التواضع للعلماء وغيرهم ، ويتواضع للعلم ، فبتواضعه له يناله ، وليعلم ان ذله لشيخه عز ، وخضوعه له فخر ، وتواضعه له رفعة ، وتعظيم حرمته مثوبة ، والتشمر في خدمته شرف . وقد قال النبي (ص): «من علّم احداً مسألة[4] ، ملك رقه . قيل أيبيعه ويشتريه ؟ قال : يأمره وينهاه» [5] . فأنشد بعض العلماء :

أهين لهم نفسي لكن[6] يكرمونها ولن تكرم النفس التي لا تهينها .

الامر السادس : ألا ينكر[7] عليه ولا يتأمر ، ولا يشير عليه بخلاف رأيه ، فيرى انه اعلم بالصواب منه ، بل ينقاد له في أموره كلها ، ويلقي إليه زمام امره رأساً ، ويذعن لنصحه ويتحرى رضاه . وان خالف رأي نفسه ، ولا يستبق معه رأياً ولا اختياراً ، ويشاوره في اموره كلها ، ويأتمر بأمره ، ولا يخرج عن رأيه وتدبيره باللسان والقلب .

قال بعض العلماء : خطأ المرشد انفع للمسترشد من صوابه في نفسه . وفي قصة موسى والخضر (ع) تنبيه على ذلك ، ونقل بعض الافاضل عن بعض مشايخه قال :

---

(١) خ : اجرأت .
(٢) م ، خ : سئله .
(٣) خ : وعاد .
(٤) م ، خ : مسئلة .
(٥) خ : قال ، فتعلموا العلم .
(٦) خ : لكي .
(٧) خ : يكر .

حكيت لشيخ مناماً لي فقلت : رأيت انك قلت لي كذا وكذا ، فقلت لك لم ذاك؟ فهجرني شهراً ولم يكلمني . وقال : لولا انه كان في باطنك تجويز المطالبة وانكار ما اقوله لك لما جرى على لسانك في المنام ، والامر كما قال ، اذ قلّما يرى الانسان في منامه خلاف ما يغلب في اليقظة على قلبه .

الامر السابع : ان يبجّله[1] في خطابه وجوابه في غيبته وحضوره ، ولا يخاطبه بتاء الخطاب وكافه ، ولا يناديه[2] من بُعد ، بل يقول : يا سيدي ، ويا استاذ ، وما اشبه ذلك . ويخاطبه بصيغ الجمع تعظيماً نحو ما تقولون في كذا ، وما رأيكم في كذا . وقلتم رضي الله عنكم ، او يقبل الله منكم او رحمكم الله ، ولا يسميه في غيبته باسمه الا مقروناً بما يشعر بتعظيمه ، كقوله : قال الشيخ او الاستاذ ، وقال شيخنا او شيخ الاسلام ونحو ذلك .

الامر الثامن : تعظيم حرمته في نفسه واقتداؤه به ، ومراعاة هذه[3] في غيبته وبعد موته ، فلا يغفل عن الدعاء له مدة حياته[4] ، ويرد غيبته ويغضب لها ، وزيادة عما يجب رعايته في غيره ، فان عجز عن ذلك ، قام وفارق المجلس . ويرعى ذُرِّيّته واقاربه واودّاءه[5] ومحبيه في حياته[4] وبعد موته[6] ، ويتعاهد زيارة قبره والاستغفار له ، والترحم عليه ، والصدقة عنه ، ويسلك في السمت والهدي مسلكه ، ويراعي في العلم والدين عادته ، ويقتدي بحركاته وسكناته في عباداته وعاداته ، ويتأدب بآدابه .

ومن ثم كان الاهم تحصيل شيخ صالح ليحسن الاقتداء به ، ثم ان قدر على الزيادة عليه بعد الاتصاف بصفته فعل . والا اقتصر على التأسي فبه يظهر اثر الصحبة .

---

(١) خ : يبخله .

(٢) خ : يغاديه .

(٣) م : هديه .

(٤) م . خ : حيوته .

(٥) م : واودائه . خ : وادائه .

(٦) خ : وبعد موته . ساقطة .

الامر التاسع : ان يشكر الشيخ على توفيقه له على ما فيه فضيلة وعلى توبيخه له على ما فيه نقيصه اوكسل يعتريه او قصور يعانيه[1] ، او غير ذلك مما في ايقافه عليه ، وتوبيخه ارشاده وصلاحه . وبعد ذلك من الشيخ من جعله النعم عليه باعتناء الشيخ به ونظره إليه ، فان ذلك اميل لقلب الشيخ ، وابعث له على الاعتناء بمصالحه ، واذا[2] وقفه الشيخ[3] على دقيقة من ادب او نقيصة صدرت منه ، وكان يعرف ذلك من قبل ، فلا يظهر انه كان عارفاً به ، وغفل عنه بل يشكر الشيخ على افادته ذلك واعتنائه بأمره ليكون بذلك مستدعياً للعود الى النصيحة في وقت الحاجة ، فان كان له في ذلك عذر ، وكان اعلام الشيخ به اصلح ، فلا بأس به ، والا فيتركه ، الا ان يترتب على ترك بيان العذر مفسدة فيتعين اعلامه به .

الامر العاشر : ان يصبر على جفوة تصدر من شيخه او سوء خلق ، ولا يصده ذلك عن ملازمته وحسن عقيدته ، واعتقاد كماله ، ويتأول افعاله التي ظاهرها مذموم على أحسن تأويل وأصحه . فما يعجز عن ذلك الا قليل التوفيق ، ويبدأ[4] هو عند جفوة شيخه بالاعتذار والتوبة مما وقع ، والاستغفار وينسب الموجب إليه ، ويجعل العتب فيه عليه ، فان ذلك ابقى لمودة شيخه واحفظ لقلبه ، وانفع للطالب في آخرته ودنياه .

وعن بعض السلف : «من لم يصبر على ذل التعلم بقي عمره في عماية الجهالة ، ومن صبر عليه آل امره الى عز الدنيا والآخرة» . ومن الأثر المشهور عن ابن عباس : «ذُلِّلْتُ طالباً فعُزِّزْتُ[5] مطلوباً» . وقال بعضهم : مثل الذي يغضب على العالم ، مثل الذي يغضب على اساطين الجامع .

---

(١) خ : يعنيه .
(٢) خ : وذا .
(٣) م : لشيخ .
(٤) م ، خ : يبدء .
(٥) خ : فعزرت .

وقيل لسفير بن عنية[1] ان قوماً يأتونك من اقطار الأرض تغضب عليهم يوشك ان يذهبوا ويتركوك ، فقال للقائل : هم حمقي اذا مثلك ان يتركوا ما ينفعهم لسوء خلقي.

ولبعضهم :

اصبر لدائك ان جفوت طبيبه واصبر لجهلك ان جفوت معلما

وللسلف الصالح في صبرهم مع مشايخهم اقاصيص غريبة لو أتينا عليها لطال الخطب.

الامر الحادي عشر[2] : ان يجتهد على ان يسبق بالحضور الى المجلس قبل حضور الشيخ ، ويحمل على ذلك نفسه ، وان انتظره على باب داره ليخرج ويمشي معه الى المجلس ، فهو اولى مع تيسره ، ويحرص عن أن يتأخر في الحضور عن الشيخ فيدع الشيخ في انتظاره فان فاعل ذلك من غير ضرورة أكيدة ، معرض نفسه للمقت والذم ، نسأل[3] الله العافية.

حكى ياقوت[4] في معجمه عن هرون بن موسى القيسي القرطي قال : كنا نختلف الى أبي علي الغالي ونحن في فصل الربيع ، فبينا انا يوماً في بعض الطريق اذ اخذتني سحابة ، فما وصلت الى مجلسه حتى ابتلت ثيابي كلها ، وحول ابي علي اعلام اهل البلد ، فأمرني بالدنو منه وقال لي مهلاً يا ابا نصر ، لا تأسف على ما عرض ، فهذا شيء يضمحل ويزول بسرعة بثياب غيرها تبدلها. ثم قال : كنت اختلف الى ابن مجاهد[5] فادلجت عليه لأتقرَّب منه ، فلما انتهيت الى الدرب الذي كنت اخرج منه الى منزله ، لقيته مغلقاً وتعسر عليّ فتحه ، فقلت : سبحان الله ، أبكر هذا

(١) خ : عيينه.
(٢) م ، خ : الحاديعشر.
(٣) م ، خ : نسئل.
(٤) خ : الياقوت.
(٥) م : مجهاهد.

البكور وأُغْلَب على القرب منه ، فنظرت الى سرب بجنب الدرب فاقتحمته ، فلما توسطت ضاق بي ولم اقدر على الخروج ولا[1] على الدخول ، فاقتحمته اقتحاماً أشد حتى تخلصت بعد ان تخرقت ثيابي ، واثر السرب في لحمي حتى انكشف العظم ومنَّ الله بالخروج ، فوافيت مجلس الشيخ على تلك الحال . ثم قال : فقلت له[2] : فأين أنت مما عرض لي. ثم انشد بيت الحماسة :

دببت للمجد والساعون قد بلغوا — جهد النفوس وألقوا دونه الازرا

وكابدوا المجد حتى قل أكثرهم — وفاز بالمجد من وافى ومن صبرا

لا تحسب المجد تمراً أنت آكله — لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

الامر الثاني عشر: ان[3] لا يدخل على الشيخ في غير المجلس العام بغير اذنه ، سواء كان الشيخ وحده ام معه غيره . فان استأذن بحيث يعلم الشيخ ولم يأذن انصرف ، ولا يكرر الاستئذان . وان شك في علم الشيخ به كرره ثلاثاً[4] ولا يزيد في الاستئذان عليها . او ثلاث[4] طرقات بالباب أو بالحلقة . وليكن طرق الباب خفياً باظفار الاصابع ، ثم بالاصابع ثم بالحلقة قليلاً قليلاً . فان كان الموضع بعيداً عن الباب فلا بأس برفع ذلك ابتداءً بقدر ما يسمع لا غير[5] ، وان اذن وكانوا جماعة ، يقدم افضلهم فأسنهم بالدخول والسلام عليه ، ثم يسلم الافضل فالافضل .

الامر الثالث عشر: ان يدخل على الشيخ كامل الهيئة فارغ القلب من الشواغل ، نشيطاً ، منشرح الصدر ، صافي الذهن ، لا في حال نعاس او غضب او جوع او عطش ونحو ذلك ، متطهراً متنظفاً بعد استعمال ما يحتاج إليه من سواك ، واخذ ظفر وشعر وازالة رائحة كريهة ، لابساً احسن ملبوسه ، سيما اذا كان يقصد مجلس العلم ، فانه مجلس ذكر واجتماع في عبادة ، وهذه الامور من آدابها .

---

(١) خ : لا ساقطة .

(٢) م : فقلت له ، ساقطة .

(٣) خ : ان ، ساقطة .

(٤) م ، خ : ثلثاً .

(٥) م : غرو .

الامر الرابع عشر: ان لا يقرأ[١] على الشيخ عند شغل قلبه، ومله ونعاسه وجوعه وعطشه واستيفازه وأله وقائماته[٢]، ونحو ذلك مما يشق عليه في البحث، اللهم الا ان يبتدئه الشيخ بطلب القراءة فليجبه كيف كان.

الامر الخامس عشر: اذا[٣] دخل على الشيخ في غير المجلس العام، وعنده من يتحدث معه فسكتوا عن الحديث، او دخل والشيخ وحده يصلي او يقرأ او يذكر او يطالع او يكتب، فترك ذلك ولم يبدأه[٤] بكلام، او بسط حديث فليسلم ويخرج سريعاً. الا ان يحثه الشيخ على المكث، فاذا مكث فلا يطل الا ان يأمره بذلك، خشية ان يدخل في عداد من اشغل مشغولاً بالله، ادركه المقت[٥] في الوقت.

الامر السادس عشر: اذا حضر مكان الشيخ فلم يجده، انتظره، ولا يفوت على نفسه درسه، فان كل درس يفوت لا عوض له، ولا يطرق عليه ليخرج إليه. وان كان نائماً صبر حتى يستيقظ او ينصرف ثم يعود، والصبر خير له، ولا يوقظه ولا يأمر به. هكذا كان السلف يفعلون، ونقل عن ابن عباس مثله.

الامر السابع عشر: ان لا يطلب من الشيخ اقراء في وقت يشق عليه فيه، او لم تجر عادته بالاقراء فيه، ولا يخترع عليه وقتاً خاصاً به دون غيره، وان كان رئيساً لما فيه من الترفع[٦] والحمق على الشيخ والطلبة والعلم. وربما استحى الشيخ منه فيترك لأجله ما هو اهم عنده، في ذلك الوقت، فلا يفلح الطالب فإن بدأه الشيخ بوقت معين أو خاص لعذر عائق له عن الحضور مع الجماعة او لمصلحة رآها فلا بأس.

---

(١) م، خ: يقرء.
(٢) خ: وما نلته.
(٣) خ: ان.
(٤) م، خ: يبدئه.
(٥) خ: المقيت.
(٦) م: الترقع.

الأمر الثامن عشر: ان يجلس بين يديه جلسة الادب بسكون وخضوع واطراق رأس وتواضع وخشوع. والأولى له الافتراش او التورك. قيل ويحسن هنا الاقعاء (وهو ان يفرش قدميه ويجلس على بطونهما ويتعاهد تغطية قدميه وارخاء ثيابه).

الامر التاسع عشر: وهو من جنس ما قبله، ان لا يستند بحضرة الشيخ الى حائط او مخدة او درابزين، ونحو ذلك. او يجعل يده عليه ولا يعطي الشيخ جنبه او ظهره، ولا يعتمد على يده الى ورائه او جنبه، او ظهره، ولا يضع رجله او يده او شيئاً من بدنه او ثيابه على ثياب الشيخ، او وسادته او سجادته.

قال بعضهم: «ومن تعظيم الشيخ ان لا يجلس الى جانبه، ولا إلى مصلاه او وسادته، وان امره الشيخ بذلك. ولا يفعل الا اذا جزم به جزماً يشق عليه مخالفته، فلا بأس بامتثال امره في تلك الحال، ثم يعود الى ما يقتضيه الأدب، انتهى».

وقد تكلم الناس في اي الامرين اولى: امتثال الامر او سلوك الادب؟ فذهب الى كل من الامرين فريق من الصحابة على ما نقل عنهم، فضلاً عمن بعدهم، والتفصيل مؤجَّل.

الامر العشرون: وهو من اهمها، ان يصغي الى الشيخ ناظراً إليه ويقبل بكليته[1] عليه، متعقلاً[2] لقوله، بحيث لا يحوجه الى اعادة الكلام. ولا يلتفت من غير ضرورة، ولا ينظر الى يمينه او شماله او فوقه او امامه لغير حاجة، ولا سيما عند بحثه معه او كلامه له. فلا ينبغي ان ينظر الا اليه. ولا يضطرب لضجة يسمعها[3]، ولا يلتفت إليها سيما عند بحثه. ولا ينفض كميه، ولا يحسر عن ذراعيه، ولا يومي بيده الى وجه الشيخ او صدره، ولا يمس بها شيئاً من بدنه او ثيابه ولا يعبث بيديه او رجليه او غيرها من اعضائه.

---

(١) خ: بكلية.
(٢) خ: مفتعلاً.
(٣) خ: يسعمها.

ولا يضع يده على لحيته او فمه او يعبث بها في انفه ، ولا يفتح[1] فاه ولا يقرع سنه ، ولا يضرب الارض براحته او يخط عليها باصابعه ، ولا يشبك بيديه ، ولا يعبث بازراره ولا يفرقع اصابعه . بل يلزم سكون بدنه . ولا يكثر التنحنح من غير حاجة ولا يبصق ولا يتمخط ولا ينخع ما امكنه ، ولا يلفظ النخامة من فيه بل يأخذها منه بمنديل ونحوه . ولا يتجشأ ولا يتمطى ولا يكثرالتثاؤب واذا تثاءب ستر فاه بعد رده جهده ، واذا عطس حفظ صوته جهده وستر وجهه بمنديل ونحوه . وذلك كله مما يقتضيه النظر المستقيم والذوق السليم.

الامر الواحد والعشرون : وهو من جنس ما قبله ، ان لا يرفع صوته رفعاً بليغاً من غير حاجة ، ولا يسارّ في مجلسه ، ولا يغمز احدا ، ولا يكثر كلامه بغير ضرورة ، ولا يحكي ما يضحك منه او ما فيه بذاءة[2] او يتضمن سوء مخاطبة او سوء أدب . بل ولا يتكلم بما لم يسأله[3] ، ولا يتكلم ما لم يستأذنه أولاً ، ولا يضحك لغير عجيب ولا لعجب دون الشيخ ، فان غلبه[4] تبسم تبسماً بغير صوت البتة ، وليحذر كل الحذر من ان يغتاب احداً في مجلسه ، او ينم له عن احد او يوقع بينه وبين احد بنقل ما يسوءة[5] عنه ، كاستنقاص به او تكلم فيه ورد ما قاله او يقول كالحاث له على الاعتناء بأمره : فلان يود ان اقرأ[6] عليه او اردت ان اقرأ[6] على فلان ، وتركت لاجلك او نحو ذلك . ففاعل ذلك وأمثاله مع كونه ارتكب مكروهاً او حراماً او كبيرة ، مستحق للزجر والاهانة والطرد والبعد لحماقته وريائه .

وقد تقدم في حديث علي (ع) ما يدل على ذلك .

الامر الثاني والعشرون : ان يحسن خطابه مع الشيخ بقدر الامكان ، ولا

---

(١) خ : يفلج .
(٢) خ : بذؤه .
(٣) م ، خ : يسئله .
(٤) م : غلبة ، خ : عليه .
(٥) م ، خ : يسوؤه .
(٦) م ، خ : اقرء .

يقول له : «لِمَ» و«لا أُسَلِّم[1]» و«لا من نقل هذا» و«لا أين موضعه» ، ولا يقل المحفوظ او المنقول غير هذا وشبه ذلك. فان اراد استفادة اصله او مَن نقله ، تلطف في الوصول الى ذلك ، ثم هو في مجلس آخر اولى على سبيل الاستفادة. وكذلك ينبغي ان يقول في موضع «لم» و«لا أسلم». فان قيل لنا كذا ، او فان منعنا كذا او فان سئلنا عن كذا او فان اورد كذا وشبهه ، ليكون مستفهماً للجواب ، سائلاً له بحسن ادب ولطف عبارة.

واذا اصر الشيخ على قول او دليل ، ولم يظهر له او على خلاف صواب سهواً ، فلا يغير[2] وجهه او عينه ، ولا يشير الى غيره كالمنكر لما قال ، بل يأخذه ببشر ظاهر. وان لم يكن الشيخ مصيباً لغفلة او سهو او قصور نظر في تلك الحال ، فان العصمة في البشر للانبياء والاوصياء. وليحذر من مفاجأة الشيخ بصورة رد عليه ، فانه يقع ممن لا يحسن الادب من الناس كثيراً ، مثل ان يقول له الشيخ انت قلت كذا ، فيقول ما قلت كذا ، ويقول له الشيخ مرادك في سؤالك كذا او خطر لك كذا فيقول كلا ، او ما هذا مرادي ، او ما خطر لي هذا وشبه ذلك ، بل طريقه ان يتلطف بالمكاشفة على المقصود في الجواب.

وكذلك اذا استفهمه الشيخ استفهام تقرير ، وجزم كقوله الم تقل كذا؟ أو ليس مرادك كذا؟ فلا يبادر بالرد عليه بقوله لا ونحو ذلك ، بل يسكت او يؤدّي عن ذلك بكلام لطيف ، يفهم الشيخ قصده منه.

فان لم يكن بد من تحرير قصده وقوله ، فليقل الآن اقول كذا ، او اعود الى قصد كذا ، ويعيد كلامه ولا يقول الذي قلته او الذي قصدته لتضمنه الرد عليه.

الامر الثالث والعشرون : وهو من جنس ما قبله. اذا ذكر الشيخ تعليلاً وعليه تعقيب[3] ولم يتعقبه ، او حثاً وفيه اشكال ولم يستشكله ، او اشكالاً وعنه

---

(١) م : نسلم.

(٢) خ : يغير.

(٣) م : وعليه تعقب.

جواب ولم يذكره. فلا يبادر الى ذكر ذلك، ولا الى التعقب على الشيخ بسبب اهماله له، بل له ان يشير الى ذلك بألطف اشارة كقوله: ما لحتم عن الاشكال جواباً مثلاً، ونحو ذلك. فان يذكر فيها[1] ونعمت، والا فالأولى السكوت عن ذلك، الا ان يأذن الشيخ، او يعلم منه انه يؤثر ذلك منه.

الامر الرابع والعشرون: وهو من جنس ما قبله ايضاً. ان يتحفظ من مخاطبة الشيخ بما يعتاد بعض الناس في كلامه، ولا يليق خطابه به. مثل أيش[2] بك، ولمهمت، وسمعت، وتدري، ويا رجل مبارك، ونحو ذلك.

وكذلك لا يحكي ما خوطب به غيره مما لا يليق خطاب الشيخ به. وان كان حاكياً مثل: قال فلان لفلان أنت قليل الحياء، أنت قليل البر، وما عندك خير، وقليل الفهم، ونحو ذلك. بل يقول اذا اراد الحكاية ما جرت العادة بالكناية به مثل قال فلان لفلان «الأبعد» قليل الخير وما عند «الأبعد» خير. ومثل هذه الكناية وردت في بعض الاخبار ايضاً، او يأتي بضمير الغائب مكان ضمير المخاطب وشبه ذلك.

الامر الخامس والعشرون: اذا سبق لسان الشيخ الى تحريف كلمة يكون لها توجيه مستهجن او نحو ذلك، ان لا يضحك ولا يستهزىء ولا يعيدها كأنه يتبادر بها عليه، ولا يغمز غيره ولا يشير إليه، بل ولا يتأمل ما صدر منه، ولايدخله قلبه، ولا يصغي إليه سمعه ولا يحكيه لأحد. فان اللسان سباق والانسان غير معصوم، لا سيما فيما هو فيه معذور، وفاعل شيء مما ذكر مع شيخه معرض نفسه للحرمان والبلاء والخسران، مستحق للزجر والتأديب والهجر والتأنيب مع ما يستوجبه من مقت الله سبحانه له وملائكته وأنبيائه وخاصته.

الامر السادس والعشرون: ان لا يسبق الشيخ الى شرح مسألة[3] او جواب سؤال منه او من غيره، لا سيما اذا كان من غيره، وتوقف ولا يساوقه فيه ولا

(١) خ: منها.
(٢) خ: ايشق.
(٣) م، خ: مسئلة.

يظهر معرفته به(1) او ادراكه له قبل الشيخ ، الا ان يعلم من الشيخ ايثار ذلك منه او عرض الشيخ عليه ذلك ابتداء او التمسه منه فلا بأس به حينئذ.

الامر السابع والعشرون : ان لا يقطع على الشيخ كلامه ، اي كلام كان. ولا يسابقه فيه ولا يساوقه به ، بل يصبر حتى يفرغ الشيخ من كلامه ثم يتكلم ولا يتحدث مع غيره ، والشيخ يتحدث معه او مع جماعة المجلس ، بل لا يجعل همه سوى الاصغاء الى قول الشيخ وفهمه.

الامر الثامن والعشرون : اذا سمع الشيخ يذكر حكماً في مسألة او فائدة مستغربة ، او يحكي حكاية او ينشد شعراً وهو يحفظ ، ذلك ان يصغي إليه اصغاء مستفيد له في الحال ، متعطش إليه ، فرح به كأنه لم يسمعه قط.

قال بعض السلف : اني لأسمع الحديث من الرجل وأنا أعلم به منه. فأريه من نفسي اني لا أحسن منه شيئاً. وقال ايضاً : ان الشاب ليتحدث بحديث فاستمع له كأني لم اسمعه ، ولقد سمعته قبل ان يولد. فان سأله(3) الشيخ عند الشروع في ذلك عن حفظه له ، فلا يجيب بنعم لما فيه من الاستغناء عن الشيخ فيه ، ولا يقل لا لما فيه من الكذب ، بل يقول احب ان استفيده من الشيخ او اسمعه منه او بَعُدَ عهدي به او هو من جهتكم اصح ونحو ذلك.

فان علم من حال الشيخ انه يؤثر العلم بحفظه له مسرة به او اشار إليه باتمامه امتحاناً لضبطه او حفظه او لاظهار تحصيله ، فلا بأس باتباع غرض الشيخ ابتغاء لمرضاته وازدياداً لرغبته فيه.

الامر التاسع والعشرون : انه لا ينبغي له ان يكرر سؤال ما يعلمه ولا استفهام ما يفهمه ، فانه يضيع الزمان وربما اضجر الشيخ.

قال بعض السلف : اعادة الحديث اشد من نقل الصخر. وينبغي ان لا يقصر

---

(1) خ : منه.

(2) م ، خ : مسئلة.

(3) م ، ج : سئلة.

في الاصغاء والتفهم ، او يشغل ذهنه بفكر او حديث ، ثم يستعيد الشيخ ما قاله لأن ذلك اساءة[1] أدب ، بل يكون كما مر مصغياً لكلامه ، حاضر الذهن لما يسمعه من اول مرة.

وكان بعض المشايخ لا يعيد لمثل هذا اذا استعاده ، و[2] يزبره عقوبة له. اما اذا لم يسمع كلام الشيخ لبعده او لم يفهمه مع الاصغاء إليه والاقبال عليه ، فله ان يسأل[3] الشيخ اعادته او تفهيمه[4] ، بعد بيان عذره بسؤال لطيف.

الامر الثلاثون : ان لا يسأل[3] عن شيء في غير موضعه ، ففاعل ذلك لا يستحق جواباً الا ان يعلم من حال الشيخ انه لا يكره ذلك ، ومع ذلك فالاولى ان لا يفعل ولا يلح عليه في السؤال الحاحاً مضجراً ، ولا يسأله[5] في طريقه الى ان يبلغ مقصده.

وقد حكي عن بعض الاجلاء انه اوصى بعض طلبته فقال : لا تسألني[6] عن امر الدين وانا ماش ، ولا وأنا اتحدث مع الناس ، ولا وانا قائم ، ولا وأنا متكىء ، فان هذه اماكن لا يجتمع فيها عقل الرجل. لا تسألني[6] الا وقت اجتماع العقول.

الامر الواحد والثلاثون : ان يغتنم سؤاله عند طيب نفسه وفراغه ؛ ويتلطف في سؤاله ويحسن في جوابه. قال (ص) : الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة ، والتودد الى الناس نصف العقل ، وحسن السؤال نصف العلم.

الامر الثاني والثلاثون[7]: ان لا يستحي من السؤال عما اشكل عليه ، بل

---

(١) م ، خ : اسائه.
(٢) خ : لا ، زائدة.
(٣) م ، خ : يسئل.
(٤) خ : تفهيم.
(٥) م : يسئله ، خ : يسئل.
(٦) م ، خ : تسئلني.
(٧) م ، خ : الثلثون.

يستوضحه اكمل استيضاح. فمن رق وجهه رق علمه، ومن رق وجهه عند السؤال ظهر نقصه عند اجتماع الرجال.

قال الصادق (ع): ان هذا العلم عليه قفل ومفتاحه المسألة[1].

الامر الثالث والثلاثون[2]: اذا قال له الشيخ أفهمت؟ فلا يقول نعم قبل ان يتضح له المقصود ايضاحاً جلياً، لئلا يكذب ويفوته الفهم، ولا يستحي من قوله لم أفهم، لان استثباته يحصل له مصالح عاجلة وآجلة. فمن العاجلة حفظ المسألة[1] وسلامته من الكذب والنفاق، باظهار[3] فهم ما لم يكن فهمه، واعتقاد الشيخ اعتناؤه ورغبته وكمال عقله وورعه وملكته لنفسه. ومن الآجلة ثبوت الصواب في قلبه دائماً، واعتياده هذه الطريقة المرضية والاخلاق المرضية.

قال الخليل بن احمد العروضي: «منزلة الجهل بين الحياء والانفة».

الامر الرابع والثلاثون[2]: ان يكون ذهنه حاضراً في جهة الشيخ، بحيث اذا امره بشيء او سأله[4] عن شيء او اشار إليه، لم يحوجه الى اعادته ثانياً، بل يبادر إليه مسرعاً ولم يعاوده فيه.

الامر الخامس والثلاثون: اذا ناوله الشيخ شيئاً تناوله باليمنى، واذا ناوله هو شيئاً ناوله اياه باليمنى. فان كان ورقة يقرأها[5] او قصة مثلاً نشرها ثم دفعها إليه، ولا يدفعها إليه مطوية الا اذا علم او ظن ايثار الشيخ لذلك. واذا اخذ من الشيخ ورقة بادر الى اخذها منشورة قبل ان يطويها او يتربها ثم يطويها او يتربها هو.

واذا ناول الشيخ كتاباً ناوله اياه مهيأ لفتحه والقراءة[6] فيه من غير احتياج الى ادارته[7]. فان كان للنظر[8] في موضع معين فليكن مفتوحاً، كذلك ويعين له

---

(1) م، خ: المسئلة.
(2) م، خ: الثلثون.
(3) خ: اظهار.
(4) م، خ: سئله.
(5) م، خ: يقرئها.
(6) م، خ: القرائة.
(7) خ: ارادته.
(8) خ: المنظر.

المكان ولا يرمي إليه الشيء رمياً من كتاب او ورقة او غيرهما. ولا يمد يده اليه اذا كان بعيداً ، ولا يحوج المد يده ايضاً لأخذه منه واعطائه بل يقوم إليه قائماً ولا يزحف زحفاً. واذا قام او جلس بين يديه لشيء من ذلك ، فلا يقرب منه كل القرب ، ولا يضع رجله او يده او شيئاً من بدنه او ثيابه على ثياب الشيخ او وسادته ونحوها كما تقدم.

الامر السادس والثلاثون : اذا ناوله قلماً ليكتب به فليعده قبل اعطائه اياه للكتابة ، ويتفقد اوصافه ويفرق بين سنّتيه ان كانتا ملتصقتين ، وان يضع بين يديه دواة فلتكن مفتوحة الاغطية ، مهيأة للكتابة منها ، وان ناوله سكيناً فلا يصوب إليه شفرتها ، ولا نصابها ويده تابعة على الشفرة ، بل يكون عرضاً ، وحد شفرتها الى جهته قابضاً على طرف النصاب مما يلي النصل ، جاعلاً نصابها على يمين الآخذ.

الامر السابع والثلاثون : اذا ناوله سجادة ليصلي عليها ، نشرها أولاً ، وأولى منه ان يفرشها هو عند قصد ذلك. قال بعض العلماء : واذا فرشها وكان فيها صورة محراب ، تحرى به القبلة ان امكن ، وان كانت مثنية جعل طرفيها الى يسار المصلي ، « انتهى ».

ولا يجلس بحضرة الشيخ على سجادة[1]. ولا يصلي عليها اذا كان المكان طاهراً الا اذا اطّردت العادة باستصحابها واستعمالها، بحيث لا يكون شعاراً على الاكابر والمترفعين كما يتفق ذلك ببعض البلاد.

الأمر الثامن والثلاثون: اذا قام الشيخ بادر القوم الى اخذ السجادة ان كانت مما تنقل له، والى الاخذ بيده او عضده ان احتاج اليه، والى تقديم نعله[2] ان لم يشق ذلك على الشيخ. ويقصد بذلك كله التقرب الى الله تعالى بخدمته والقيام بحاجته. وقد قيل: «اربعة لا يأنف الشريف منهن وان كان اميرا: قيامه من مجلسه لأبيه، وخدمته للعالم الذي يتعلم منه، والسؤال عما لا يعلم، وخدمته للضيف».

الأمر التاسع والثلاثون: ان يقوم لقيام الشيخ ولا يجلس وهو قائم، ولا يضطجع وهو قائم او قاعد، بل لا يضطجع بحضرته مطلقا، الا ان يكون في وقت نوم ويأذن له، والاجود حينئذ[3] ان لا ينام حتى ينام الشيخ، الا ان يأمره بالنوم فيطيعه.

الأمر الاربعون: اذا مشى مع شيخه فليكن امامه بالليل، ووراءه بالنهار، الا ان يقتضي الحال خلاف ذلك لزحمة أو غيرها. او يأمره الشيخ بحالة فليمتثلها. ويتعين ان يتقدم عليه في المواطىء المجهولة الحال لوحل او خوص مثلا. والمواطىء الخطرة، ويحترز[5] من ترشيش ثياب الشيخ. واذا كان في زحمة صانه عنها بيديه اما من قدامه او من ورائه. واذا مشى امامه التفت اليه بعد كل قليل، فان كان وحده او الشيخ يكلمه حالة المشي وهما في ظل، فليكن عن يمينه كالمأموم مع الامام، ويخلي له الجانب اليسار لعله يبصق او يتمخط:

وقيل عن يساره متقدما عليه قليلا، ملتفتا اليه، ويعلم الشيخ بمن قرب منه او قصده من الاعيان ان لم يعلم الشيخ به. ولا يمشي الى جانبه الا لحاجة او اشارة منه

(١) خ: سجادته.
(٢) خ: فعله.
(٣) م: حـ.
(٤) م، خ: ورائه.
(٥) م: يحترص.

ويحترز من مزاحمته بكتفه او بركابه ان كانا راكبين، وملاصقة ثيابه، ويؤثره بجهة الظل في الصيف وبجهة الشمس في الشتاء، وبجهة الجدار في الرصافات ونحوها. وبالجهة التي لا يقرع الشمس فيها وجهه اذا التفت اليه.

ولا يمشي بينه وبين من يحدثه، ويتأخر عنهما اذا تحدثا. او يتقدم ولا يقرب ولا يستمع ولا يلتفت. فان ادخلاه في الحديث فليأت من جانب آخر ولا يشق بينهما.

واذا مشى مع الشيخ اثنان فاكتنفاه، فالأولى أن يكون أكبرهما[1] عن يمينه وان لم يكتنفاه تقدم أكبرهما وتأخر الاصغر. واذا صادف الشيخ في طريقه بدأه بالسلام ويقصده ان كان بعيدا، ولا يناديه ولا يسلم عليه من بعيد ولا من ورائه، بل يقرب منه ثم يسلم، ولا يشير[2] ابتداء بالاخذ في طريق حتى يستشيره، ويبادره فيما يستشيره فيه مطلقا بالرد الى رأيه الا ان يلزمه باظهار ما عنده، او يكون ما رآه الشيخ خطأ فيظهر ما عنده بتلطف وحسن ادب كقوله: يظهر ان المصلحة في كذا، ولا يقول الرأي عندي كذا، او الصواب كذا، ونحو ذلك.

واعلم ان هذه الآداب مما قد دل النص على جملة منها، بل على اشرفها واهمها، والباقي مما يستنبط منه باحدى الطرق التي يبني عليها الاحكام، التي احدها مراعاة العادة المحكمة في مثل ذلك، والله الموفق.

---

(١) م. اكبرها.

(٢) م. يسير

ثالثا : آدابه في درسه وقراءته وما يعتمده حينئذ مع شيخه ورفقته :

الأمر الأول : وهو اهمها ، ان يبتدىء اولا بحفظ [1] كتاب الله تعالى العزيز حفظا متقنا ، فهو اصل العلوم واهمها . وكان السلف لا يعلمون الحديث والفقه الا لمن حفظ القرآن . واذا حفظه فليحذر من الاشتغال عنه بغيره اشتغالا يؤدي [2] الى نسيان شيء منه او تعريضه للنسيان ، بل يتعهد دراسته وملازمة وِرْدٍ منه كل يوم ثم ايام ، جمعه [3] دائما ابدا ، ويجتهد بعد حفظه على اتقان تفسيره وسائر علومه ثم يحفظ من كل فن مختصرا [4] يجمع فيه بين طرفيه . ويقدم الاهم فالاهم على ما يأتي تفصيله إن شاءالله تعالى في الخاتمة .

ثم يشتغل باستشراح محفوظاته على المشايخ ، وليعتمد في كل فن أكثرهم تحقيقا فيه وتحصيلا له . وان امكن شرح دروس [5] في كل يوم فعل ، والا اقتصر على الممكن من درس فأقل ، وقد تقدمت الاشارة اليه .

الأمر الثاني : ان يقتصر من المطالعة على ما يحتمله فهمه وينساق اليه ذهنه ولا يمجه طبعه . وليحذر من الاشتغال بما يبدد الفكر ويحيّر الذهن من الكتب الكثيرة وتفاريق [6] التصانيف . فانه يضيع زمانه ويفرق ذهنه ، وليعط الكتاب الذي يقرأه والفن الذي يأخذه كليته حتى يتقنه [7] حذرا من الخبط ، والانتقال المؤدي الى التضييع وعدم الفلاح .

ومن هذا الباب الاشتغال بكتب الخلاف في العقليات ونحوها قبل ان يصح فهمه ويستقر رأيه على الحق ويحسن ذهنه في فهم الجواب ، وهذا امر يختلف باختلاف النفوس ، والانسان فيه على نفسه بصيرة .

---

(١) م . يحفظ .
(٢) خ : لا يؤدي .
(٣) خ : جمعه .
(٤) م : مختصر .
(٥) م : كل دروسه .
(٦) م : تعاريف .
(٧) خ : تيقّنه .

الأمر الثالث : ان يعتني بتصحيح درسه الذي يحفظه قبل حفظه تصحيحا متقنا على الشيخ أو على غيره ممن يعينه ، ثم يحفظه محكما ثم يكرره بعد حفظه تكرارا جيدا ، ثم يتعاهده[1] في اوقات يقررها لمواضيه[2] ليرسخ رسوخا متأكدا[3] ويراعيه بحيث لا يزال محفوظا جيدا ، ولا يحفظ ابتداء من الكتب استقلالا من[4] غير تصحيح لادائه الى التصحيف والتحريف.

وقد تقدم ان العلم لا يوجد من الكتب فانه لمن اضر المفاسد سيما الفقه.

الأمر الرابع : ان يحضر معه الدواة والقلم والسكين للتصبحيح ، ويضبط ما يصححه لغة واعرابا. واذا رد الشيخ عليه لفظة فظن ، او علم ان رده خلاف للصواب ، كرر اللفظة مع ما قبلها ليتنبه لها الشيخ ، او يأتي بلفظ الصواب على وجه الاستفهام. فربما وقع ذلك سهوا ، او سَبْق لسان لغفلة ، ولا يقل بل هيْ كذا ، فان رجع الشيخ الى الصواب فذاك ، والا ترك تحقيقها الى مجلس آخر بتلطف ، ولا يبادر الى اصلاحها على الوجه الذي عرفه مع اطلاع الشيخ او احد الحاضرين على المخالفة. وكذلك اذا تحقق خطأ الشيخ في جواب مسألة ، وكان لا يفوت تحقيقه[5] ولا يعسر تداركه. فان كان كذلك كالكتابة في رقاع الاستفتاء. وكون السائل غريبا او بعيد[6] الدار[7] او مشنعا ، تعين تنبيه الشيخ على ذلك في الحال بالاشارة ثم بالتصريح. فان ترك ذلك خيانة للشيخ فيجب نصحه بما أمكن من تلطف ، أو غيره. واذا وقف على مكان في التصحيح كتب قبالته بلغ الغرض او التصحيح.

---

(١) م : بتعاهده.

(٢) م : لمواظبته.

(٣) م : متاكد.

(٤) م : من.

(٥) م. تحققه.

(٦) م : بعيداً.

(٧) م : لدار.

الأمر الخامس: بعد ان يرتب الاهم فالاهم في الحفظ والتصحيح والمطالعة يُتقنها[1]، فليذاكر بمحفوظاته ويديم الفكر فيها ويعتني بما يحصل فيها من الفوائد، ويذاكر بها بعض حاضري حلقة شيخه كما سيأتي تفصيله.

الأمر السادس: ان يقسم اوقات ليله ونهاره على ما يحصله، فان الاوراد يوجب الازدياد، ويغتنم ما بقي من عمره. فان بقية العمر لا قيمة لها. وأجود الاوقات للحفظ الاسحار، وللبحث الابكار، وللكتابة وسط النهار وللمطالعة والمذاكرة الليل وبقايا النهار.

ومما قالوه ودلت عليه التجربة، ان حفظ الليل انفع من حفظ النهار، ووقت الجوع انفع من وقت الشبع، والمكان البعيد عن الملهيات كالاصوات والخضرة والنبات والانهار الجاريات، وقوارع الطرق التي تكثر فيها الحركات، لأنها تمنع من خلو القلب، ويقسمه على حسب تلك الحالات.

الأمر السابع: ان يبكر بدرسه، لخبر «بورك لأمتي في بكورها» ولخبر «اغدوا في طلب العلم، فاني سألت ربي ان يبارك لأمتي في بكورها» ويجعل ابتداءه يوم الخميس. وفي رواية يوم السبت أو الخميس[2].

وفي خبر آخر عنه (ص): اطلبوا العلم يوم الاثنين فانه ييسر لطالبه. وروى في يوم الاربعاء خير[3] ما من شيء بدىء يوم الاربعاء الا وقد تم، وربما اختار بعض العلماء يوم الأحد. ولم نقف على مآخذه.

الأمر الثامن: ان يبكر بسماع الحديث، ولا يهمل الاشتغال به، وبعلومه والنظر في اسناده ورجاله ومعانيه واحكامه وفوائده، ولغته وتواريخه وصحيحه وحسنه وضعيفه ومسنده ومرسله وسائر انواعه، فانه احد جناحي العالم بالشريعة، والمبين للاحكام والجناح الآخر القرآن.

(١) خ: وتيقّنها.
(٢) حاشية في خ، م.
(٣) م: وفي خبر.

ولا يقنع من الحديث بمجرد السماع بل يعتني بالدراية اكثر من الرواية ، فانه المقصود من نقل الحديث وتبليغه.

الأمر التاسع : ان يعتني برواية كتبه التي قرأها او طالعها ، سيما محفوظاته ، فان الاسانيد انساب الكتب. وان يحترص على كلمة يسمعها من شيخه او شعر ينشده او ينشيه[*] ، او مؤلف يؤلفه . ويجتهد على روايات الامور المهمة ومعرفة من اخذ شيخه عنه واسناده ونحو ذلك.

الأمر العاشر : اذا بحث محفوظاته او غيرها من المختصرات وضبط ما فيها من الاشكالات والفوائد المهات ان ينتقل الى بحث المبسوطات وما هو أكبر مما تحته ، اولا مع المطالعة المتقنة والعناية الدائمة المحكمة ، تعليق ما مر به في المطالعة ، او سمعه من الشيخ من الفوائد النفيسة والمسائل الدقيقة ، والفروع الغريبة ، وحل المشكلات . والفرق[1] بين احكام المتشابهات من جميع انواع العلوم التي يذاكره فيها ، ولا يحتقر فائدة يراها او يسمعها في اي فن كانت ، بل يبادر الى كتابتها وحفظها.

وقد روي عن النبي (ص) انه قال : «قيدوا العلم» ، قيل وما تقييده؟ قال : كتابته . وروي ان رجلا من الانصار كان يجلس الى النبي (ص) فيسمع منه (ص) الحديث فيعجبه ولا يحفظه ، فشكا ذلك الى النبي (ص) فقال له رسول الله (ص) : استعن بيمينك ، أومى بيده — اي خط — . ومن هنا قيل : من لم يكتب علمه ، لم يعد علمه علما . وسيأتي إن شاءالله تعالى في باب الكتابة اخبار أخر في ذلك.

الأمر الحادي[2] عشر : ان يبالغ في الجد والطلب والتشمير ، ولا يقنع من ارث الانبياء باليسير ، ويغتنم وقت الفراغ والنشاط وشرخ الشباب قبل عوارض البطالة وموانع الرياسة ، فانها ادوى الادواء واعضل الامراض.

(١) م : الفارق :
(٢) م : الحاديعشر.
(*) ينشيه : يمليه.

وليحذر كل الحذر من نظر نفسه بعين الكمال والاستغناء عن المشايخ ، فان ذلك عين النقص وحقيقة الجهل وعنوان الحماقة ، ودليل قلة العلم والمعرفة والتدبر .

الأمر الثاني عشر[1] : ان يلازم حلقة شيخه بل جميع مجالسه اذا امكن ، فان ذلك لا يزيده الا خيرا وتحصيلا وادبا ، واطلاعا على فوائد متبددة لا يكاد يجدها في الدفاتر كما اشار اليه علي (ع) في حديثه السابق بقوله : ولا تمل من طول صحبته ، فانما هو كالنخلة تنتظر متى يسقط عليك منها منفعة .

ولا يقتصر على سماع درسٍ نفسه فقط ، فان ذلك علامة قصور الهمة ، بل يعتني بسائر الدروس فانها كنوز مختلفة ، وجواهر متعددة ، فليغتنم ما فتح له منها ان احتمل ذهنه ذلك ، فيشارك اصحابها حتى كأن كل درس له . فان عجز عن ضبط جميعها اعتنى بالاهم فالاهم .

هذا في الدروس المفرقة ، واما درس التقاسيم فشأنها كدرس واحد ، فمن لم يطق ضبطها لا يصلح لدخوله فيها .

الامر الثالث عشر[2] : اذا حضر مجلس الشيخ فليسلم على الحاضرين بصوت يسمعهم ، ويخص الشيخ بزيادة تحية واكرام . وعد بعضهم حلق[3] العلم حال اخذهم في البحث من المواضع التي لا يسلم فيها ، واختاره جماعة من الافاضل وهو متجه حيث يشغلهم رد السلام عما هم فيه من البحث وحضور القلب ، كما هو الغالب سيما اذ كان في اثناء تقرير مسألة . فان قطعه عليهم اضر من كثير من الموارد التي ورد انه لا يسلم فيها لكن متى اريد ذلك فليجلس الداخل عليهم على بعد من مقابلة الشيخ ، بحيث لا يشعر به حتى يفرغ ان امكن جمعا بين حق الادب معه وحق البحث في دفع الشواغل عنه .

الأمر الرابع عشر : اذا سلّم لا يتخطى رقاب الحاضرين الى قرب الشيخ ان لم يكن منزلته كذلك ، بل يجلس حيث ينتهي به المجلس ، كما ورد في الحديث .

---

(١) م : الثانيعشر.

(٢) م : الثالثعشر.

(٣) م : خلق.

فان صرح له الشيخ او الحاضرون بالتقدم ، او كانت منزلته او كان يعلم ايثار الشيخ والجماعة لذلك ، وكان جلوسه بقرب الشيخ مصلحة كأن يذاكره مذاكرة ينتفع بها الحاضرون او لكونه كبير السن او كثير الفضيلة والصلاح ، فلا بأس.

الأمر الخامس عشر[1] : ان يحرص على قربه من الشيخ حيث يكون منزلته ليفهم كلامه فهما كاملا بلا مشقة. ولكن لا يقرب منه قربا ينسب فيه الى سوء الادب ولا يضع شيئا من ثيابه او بدنه على ثياب الشيخ او وسادته او سجادته كما مر.

واعلم انه متى سبق الى مكان من مجلس الدرس كان احق به ، فليس لغيره ان يزعجه منه وان كان احق به بحسب الآداب. قيل : ويبقى بعد ذلك احق به كالمحترف اذا الف مكانا من السوق او الشارع فلا يسقط حقه منه بمفارقته. وان انقطع عن الدرس يوما او يومين اذا حضر بعد ذلك. وهذا البحث آت في مكان المصلي المشتمل على فائدة في الصلاة كالذكر ونحوه.

الأمر السادس عشر: ان يتأدب مع رفقته وحاضري المجلس ، فان تأدبه معهم تأدب مع الشيخ واحترام لمجلسه ، وليحترم كبراءه واقرانه ورفقته.

الأمر السابع عشر: ان لا يزاحم احدا في مجلسه ولا يؤثر قيام احد له من محله. فان آثره غيره بمجلسه لم يقبله ، لنهي النبي (ص) عن ان يقام[2] الرجل من مجلسه ويجلس فيه آخر. قال (ص) : «ولكن تفسحوا وتوسعوا». نعم لو كان جلوسه في مجلس من آثره مصلحة للحاضرين ، وعلم من خاطر[3] المؤثر حب الايثار بالقرائن فلا بأس.

الأمر الثامن عشر: ان لا يجلس في وسط الحلقة ولا قدام احد لغير ضرورة ، لما روي من ان النبي (ص) لعن من جلس وسط الحلقة. نعم لو كان لضرورة كضيق المجلس وكثرة الزحام ، واستلزام تركه عدم السماع ، فلا بأس به.

(١) م : الخامسعشر

(٢) م : قيام.

(٣) م : حاضر.

الأمر التاسع عشر: ان لا يجلس بين اخوين او أب وابن او قرينين[1] او متصاحبين، الا برضاهما معا[2]، لما[3] روي ان النبي (ص) نهى ان يجلس الرجل بين الرجلين الا باذنهما.

الأمر العشرون: ينبغي للحاضرين اذا جاء القادم ان يرحبوا به، ويوسعوا له ويتفسحوا لأجله ويكرموه بما يكرم به مثله. واذا فسح له في المجلس وكان حرجا ضم نفسه ولا يتوسع ولا يعطي احدا منهم جنبه ولا ظهره، او يخرج[4] من بين الحلقة بتقدم او تأخر.

الأمر الواحد والعشرون: ان لا يتكلم في اثناء درس غيره بما لا يتعلق به او بما يقطع عليه بحثه. واذا شرع بعضهم في درس فلا يتكلم بكلام في درس فرغ ولا بغيره مما لا تفوت فائدته الا باذن من الشيخ وصاحب الدرس.

الأمر الثاني والعشرون: ان لا يشارك احد من الجماعة احدا في حديثه مع الشيخ، ولا سيما مشاركة الشيخ. قال بعض الحكماء: من الادب ان لا يشارك الرجل في حديثه. وانشد بعضهم في ذلك:

ولا تشارك في الحديث اهله وان عرفت فرعه واصله

فإن علم ايثار المتكلم ذلك فلا بأس.

الأمر الثالث والعشرون: اذا اساء بعض الطلبة ادبا على غيره لم ينهه غير الشيخ الا باشارته، او سرا بينهما على سبيل النصيحة. وان اساء احد ادبا مع الشيخ تعين على الجماعة انتهاره وردعه[5] والانتصار للشيخ بقدر الامكان، وان اظهر الشيخ المسامحة وفاء لحقه.

---

(١) م: قريبين.

(٢) م: معلما.

(٣) م: لم.

(٤) م.خ: أو يخرج.

(٥) م: زجره.

الأمر الرابع والعشرون : اذا اراد القراءة على الشيخ فليراعِ [1] نوبته تقديما وتأخيرا ، ولا يتقدم عليها بغير رضى من هي له . وروي ان انصاريا جاء الى النبي (ص) يسأله ، وجاء رجل من ثقيف فقال رَسول الله (ص) : يا أخا ثقيف ان الانصاري قد سبقك بالمسألة فاجلس كي ما[2] نبدأ بحاجة الانصاري قبل حاجتك . قيل[3] . ولا يوثر بنوبته ، فان الايثار بالقرب نقص ، فان رأى الشيخ المصلحة في ذلك في وقت فاشار به امتثل امره ، معتقدا كمال رأيه وتصويب غرضه . في ذلك قيل : ويستحب للسابق ان يقدم على نفسه من كان غريبا لتأكد حرمته ووجوب ذمته .

وروي في ذلك حديث عن ابن عباس ، وكذلك اذا كان للمتأخر حاجة ضرورية وعلمها[4] المتقدم ، وتحصل النوبة بتقدم الحضور في مجلس الشيخ وان ذهب بعده لضرورة ، كقضاء حاجة وتجديد وضوء اذا لم يطل الزمان عادة ، واذا تساويا أقرع بينهما .

هذا اذا كان العلم مما يجب تعليمه ، والا يخير ويستحب له حينئذ مراعاة الترتيب ثم القرعة ، ولو جمعهم على درس مع تقارب افهامهم جاز ايضا ، ومعيد[5] المدرسة ومدرسها اذا شرط عليه اقراء اهلها في وقت معين لا يجوز له تقديم غيرهم عليهم بغير اذنهم . وان سبق مع عدم وجوب التعليم او على وجوب الجميع اما لو وجب درس الخارج دون اهل المدرسة فني استثنائه او وجوب اقرائه وترك ما يخصه من العوض ذلك اليوم ، او تقديم اهل المدرسة اوجه والأوسط اوسط .

الأمر الخامس والعشرون : ان يكون جلوسه بين يدي الشيخ على ما تقدم تفصيله وهيئه في ادبه مع شيخه ، ويحضر كتابه الذي يقرأ فيه معه ويحمله بنفسه ولا يضعه حال القراءة على الارض مفتوحا ، بل يحمله بيديه ويقرأ منه .

(١) خ : فليراعي.
(٢) م : ـــما ساقطة.
(٣) خ : قيل.
(٤) م : وعليها.
(٥) م : ومفيد.

الأمر السادس والعشرون: ان لا يقرأ حتى يستأذن الشيخ — ذكره جماعة من العلماء — فاذا اذن له استعاذ بالله من الشيطان الرجيم ثم سمى الله تعالى وحمده، وصلى على النبي (ص) وآله، ثم يدعو للشيخ ولوالديه ولمشايخه وللعلماء ولنفسه ولسائر المسلمين، وان خص مصنف الكتاب ايضا بدعوة كان حسنا. وكذلك يفعل كلما شرع في قراءة درس او تكراره او مطالعته او مقابلته في حضور الشيخ او في غيبته، الا انه يخص الشيخ بذكره في الدعاء عند قراءته عليه، ويترحم على مصنف الكتاب كما ذكرناه.

واذا دعا الطالب للشيخ قال: ورضي الله عنكم او عن شيخنا و[1] امامنا ونحو ذلك قاصداً به الشيخ. واذا فرغ من الدرس دعا للشيخ ايضاً، ويدعو الشيخ للطالب كلما دعا له. فان ترك الطالب الاستفتاح بما ذكرناه جهلا او نسيانا نبهه عليه، وعلمه اياه وذكره به، فانه من اهم الآداب. وقد ورد في[2] الحديث بالامر في الابتداء بالامور المهمة بتسمية الله وتحميده، وهذا من اهمها.

الأمر السابع والعشرون: ينبغي ان يذاكر[3] من يرافقه من مواظبي مجلس الشيخ بما وقع فيه من الفوائد والضوابط والقواعد وغير ذلك، ويعيدوا كلام الشيخ فيما بينهم، فان في المذاكرة نفعا عظيما قدم على نفع الحفظ. وينبغي الاسراع بها بعد القيام من المجلس قبل تفرق اذهانهم وتشتت خواطرهم وشذوذ بعض ما سمعوه من افهامهم، ثم يتذاكروه في بعض الاوقات. فلا شيء يتحرج به للطالب في العلم مثل المذاكرة.

فان لم يجد الطالب من يذاكره ذاكر[4] نفسه بنفسه، وكرر معنى ما سمعه ولفظه على قلبه ليعلق ذلك بخاطره، فان تكرار المعنى على القلب كتكرار اللفظ على

---

(١) م: أو.

(٢) م: —في ساقطة.

(٣) م: يذكر.

(٤) م. ذاكره.

اللسان. وقل ان يفلح من اقتصر على الفكر والتعقل[1] بحضرة الشيخ خاصة، ثم يتركه ويقوم ولا يعاوده.

الأمر الثامن والعشرون: ان تكون المذاكرة[2] المذكورة في غير مجلس الشيخ او فيه بعد انصرافه، بحيث لا يسمع لهم صوتا، فان اشتغالهم بذلك واسماعهم له قلة ادب وجرأة. سيما اذا كان لهم معيد، فان تصدره للاعادة في مجلس الشيخ من اقبح الصفات وابعد عن الآداب، اللهم الا ان يأمره الشيخ بذلك لمصلحة يراها.

الأمر التاسع والعشرون: على الطلبة مراعاة الادب المتقدم او قريبا منه مع كبيرهم ومعيدهم، فلا ينازعوه في ما يقوله لهم اذا وقع منهم فيه شك، بل يترفقوا في تحقيق الحال، ويتوصلوا الى بيان الحق بحسب الامكان.

فاذا بقي الحق مشتبها راجعوا الشيخ فيه بلطف من غير بيان من خالف ومن وافق، مقتصرين على ارادة بيان الصواب كيف كان.

الأمر الثلاثون[3]: يجب على من علم منهم بنوع من العلم، وضربٍ من الكمال ان يرشد رفقته ويرغبهم في الاجتماع والتذاكر والتحصيل، ويهون عليهم مؤونته ويذكر لهم ما استفاده من الفوائد والقواعد والغرائب على جهة النصيحة والمذاكرة، فبارشادهم يبارك الله له في عمله، ويستنير قلبه، وتتأكد المسائل عنده مع ما فيه من جزيل ثواب الله تعالى وجميل نظره وعطفه.

ومن بخل عليهم بشيء من ذلك كان بضد ما ذكر، ولم يثبت علمه، وان يثبت لم يثمر ولم يبارك الله فيه. وقد جرى ذلك لجماعة من السلف والخلف، ولا يحسد

---

(١) م: والعقل.

(٢) خ: لمذاكرة.

(٣) م، خ: الثلاثون.

احدا منهم ولا يحتقره ، ولا يفتخر عليه ولا يعجب بفهم نفسه وسبقه لهم ، فقد كان مثلهم ثم منّ الله تعالى عليه .

فليحمد الله تعالى على ذلك ويستزيده منه بدوام الشكر ، فاذا امتثل ذلك وتكاملت اهليته واشتهرت فضيلته ، ارتقى الى ما بعده من المراتب . والله وليّ التوفيق .

الباب الثاني

في آداب الفتوى والمفتي والمستفتي

مقدمة

الأمور المعتبرة في كل مفتٍ.

في أحكام المفتي وآدابه.

في آداب الفتوى.

في أحكام المستفتي وآدابه.

مُقَدّمَة

ولنذكر من ذلك المهم فانه باب متسع . ولنقدم على ذلك مقدمة فنقول : اعلم ان الافتاء عظيم الخطر ، كثير الاجر ، كبير الفضل جليل الموقع [١] . لأن المفتي وارث الانبياء (ص) ، وقائم بفرض الكفاية . لكنه معرض للخطأ والخطر . ولهذا قالوا المفتي موقّع من[٢] الله تعالى ، فلينظر كيف يقول .

وقد ورد فيه وفي آدابه والتوقف[٣] فيه ، والتحذر منه من الآيات والاخبار والآثار ، اشياء كثيرة نورد جملة من عيونها :

قال الله تعالى : «ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن» (أ). وقال تعالى : «ويستنبؤنك احق هو قل اي وربي انه لحق» (ب). وقال تعالى : «يوسف ايها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان» (ج). وقال تعالى في التحذير : «ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب» . (د) الآية .

وقال تعالى : «وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون» (هـ). وقال تعالى : «قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً قل ءالله أذن لكم ام على الله تفترون» (و). فانظر كيف قسم مستند الحكم الى القسمين فما لم يتحقق الاذن فانت مفتر. وانظر الى قوله تعالى حكاية عن رسوله (ص) اكرم خلقه عليه : «ولو تقوّل علينا بعض الاقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين» (ز). فاذا كان هذا تهديده لأكرم خلقه عليه ، فكيف حال غيره اذا تقوّل عليه عند حضوره بين يديه .

وقال رسول الله (ص) : ان الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ، ولكن

---

(١) م : جلي في الموقع .
(٢) م : ـــ نائب .
(٣) م : التذعن .
(أ) النساء : ١٢٧ .
(ب) يونس : ٥٣ .
(ج) يوسف : ٤٧ .
(د) النحل : ١١٦ .
(هـ) البقرة : ١٦٩ .
(و) يونس : ٥٩ .
(ز) الحاقة : ٤٤ .

يقبض العلم بقبض العلماء، حتى اذا لم يبق علماء اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فافتوا بغير علم فضلّوا وأضلّوا.

وقال (ص): من افتى بفتيا من غير تثبت، وفي لفظ بغير علم، فانما اثمه على من افتاه. وقال (ص): اجرؤكم على الفتوى اجرؤكم على النار. وقال (ص): اشد الناس عذاباً يوم القيمة رجل قتل نبياً او قتله نبي، او رجل يضل الناس بغير علم او مصور يصور التماثيل.

ومن كلام امير المؤمنين (ع)[1]: ان من ابغض الخلق الى الله عز وجل لرَجلين: رجل وكله الله الى نفسه فهو حائر عن قصد السبيل، مشغوف بكلام بدعة قد لهج بالصوم والصلاة فهو فتنة لمن افتتن به، ضال عن هدى من كان قبله، مضل لمن اقتدى به في حياته وبعد موته، حمّال خطايا غيره.

ورجل قمش جهلاً في جهال الناس، عان باغباش الفتنة، قد سماه اشباه الناس عالماً، ولم يغن فيه يوماً سالماً بكل[2] فاستكثر ما قل منه خير مما كثر. حتى اذا ارتوى من اجن واكتنز من غير طائل جلس بين الناس قاضياً ضامناً لتخليص ما التبس على غيره. ان نزلت به احدى المهات المعضلات هيأ لها حشوا من رأيه ثم قطع. فهو من لبس الشبهات في مثل غزل العنكبوت، لا يدري اصاب ام اخطأ، لا يحسب العلم في شيء مما انكر، ولا يرى ان وراء ما بلغ فيه مذهباً فهو مفتاح عشوات، ركاب شبهات، خباط جهالات، لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم، ولا يعض في العلم بضرس قاطع فيغنم. يذري الروايات ذرو الهشيم تبكي منه المواريث، وتصرخ منه الدماء. يستحل بقضائه الفرج الحرام، ويحرّم بقضائه الفرج الحلال. لا مليّ باصدار[3] ما عليه ورد، ولا هو اهل لما منه فرط من ادعائه علم الحق.

---

(١) خطبة ١٥ من نهج امير المؤمنين.
(٢) م: بكذ.
(٣) م: باصدارها.

وروى زرارة بن اعين عن الباقر (ع) قال : سألته ما حق الله على العباد؟ قال : ان يقولوا ما يعلمون[1] ، ويقفوا عند ما لا يعلمون.

وعن ابي عبيدة الحذَّاء قال : سمعت ابا جعفر الباقر (ع) يقول : من افتى الناس بغير علم ولا هدى لعنته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، ولحقه وزر من عمل بفتياه.

وعن المفضل قال : قال ابو عبد الله (ع) : انهاك عن خصلتين فيهما هلك الرجال : ان تدين الله بالباطل ، وتفتي الناس بما لا تعلم.

وعن ابن شبرمة الفقيه العامي قال : ما ذكرت حديثاً سمعته من جعفر بن محمد (ع) الا كاد ان يتصدع قلبي. قال : حدثني ابي عن جدي عن رسول الله (ص) قال ابن شبرمة : واقسم بالله ما كذب ابوه على جده ، ولا جده على رسول الله (ص) قال : قال رسول الله (ص) : من عمل بالمقاييس فقد هلك واهلك ، ومن افتى الناس وهو لا يعلم الناسخ من المنسوخ ، والمحكم من المتشابه فقد هلك واهلك.

وعن بعض التابعين قال : ادركت عشرين ومائة من الانصار من اصحاب رسول الله (ص) يُسأل احدهم عن المسألة فيردها هذا الى هذا ، وهذا الى هذا حتى ترجع الى الاول. وعنه قال : لقد ادركت في هذا المسجد عشرين ومائة من اصحاب رسول الله (ص) ما احد منهم يحدث حديثاً الا ود ان اخاه كفاه الحديث ، ولا يُسأل عن فتيا الا ود ان اخاه كفاه الفتيا.

قال البراء : لقد رأيت ثلثمائة من اهل بدر ، ما فيهم من احد الا وهو يحب ان يكفيه صاحبه الفتيا.

وعن ابن عباس : من افتى الناس في كل ما يسألون فهو مجنون. وعن بعض السلف : ان العالم بين الله[3] وبين خلقه ، فلينظر كيف يدخل بينهم. وقال بعض

---

(١) م : لا يعلمون.

(٢) م : حصلتين.

(٣) م : ـــو. ساقطه

الاكابر لبعض المفتين: اراك تفتي الناس، فاذا جاءك الرجل يسألك فلا يكن همتك ان تخرجه مما وقع فيه وليكن همتك ان تتخلص مما سألك عنه.

وعن عطاء ين السائب النابغي: ادركت قوماً يسأل احدهم عن الشيء وانه ليرعد وعن ثوبان مرفوعاً سيكون اقوام من امتي يتعاطى فقهاؤهم عضل المسائل اولئك شرار امتي.

وعن ابن مسعود: عسى رجل ان يقول ان الله امر بكذا فيقول الله له كذبت. وعن يحيى بن سعيد قال: كان ابن المسيب لا يفتي فتيا الا قال: اللهم سلمني وسلم مني. وعن مالك بن انس انه سئل عن ثمان واربعين مسألة فقال في اثنتين وثلاثين[1] لا ادري. وفي رواية اخرى انه سئل عن خمسين مسألة فلم يجب في واحدة منها، وكان يقول: من اجاب في مسألة فينبغي قبل الجواب ان يعرض نفسه على الجنة والنار وكيف خلاصه ثم يجيب.

وسئل يوماً عن مسألة فقال: لا أدري، فقيل هي مسألة خفيفة سهلة، فغضب وقال: ليس من العلم شيء خفيف، اما سمعت قول الله تعالى: «انّا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً»، فالعلم كله ثقيل.

وعن القاسم بن محمد بن ابي بكر احد فقهاء المدينة، المتفق على علمه وفقهه بين المسلمين انه سئل عن شيء فقال لا احسنه. فقال السائل: اني جئت اليك لا اعرف غيرك. فقال القاسم: لا تنظر الى طول لحيتي وكثرة الناس حولي، والله ما احسنه. فقال شيخ من قريش جالس الى جنبه: يا بن اخي، الزمها فوالله ما رأيتك في مجلس انبل منك اليوم، فقال القاسم: والله لان يقطع لساني احب الي ان اتكلم بما لا علم لي به.

وعن الحسين بن محمد بن شرف شاه الاسترابادي انه دخلت عليه يوماً امرأة[2] فسألته[3] عن اشياء مشكلة في الحيض فعجز عن الجواب. فقالت له المرأة: انت

---

(1) م، خ: ثلثين.

(2) (3): م، خ: الهمزة على كرسي دائماً في الحالات المشابهة فعمدنا الى تصحيحها أحياناً دون ان نشير الى الاصل.

عذبتك[1] واصلة الى وسطك وتعجز عن جواب امرأة؟ فقال يا خالة لو علمت كل مسألة يسأل عنها، لوصلت عذبتي الى قرن الثور.

واقوالهم في هذا كثيرة، فلنقتصر على هذا القدر، ولنشرع في الانواع التي ينقسم اليها الباب.

(١) عذبتك: لحيتك.

النوع الاول :

الامور المعتبرة في كل مفتٍ :

اعلم ان شرط المفتي كونه مسلماً عدلاً فقيهاً ، وانما يحصل له الفقه اذا كان قيماً بمعرفة الاحكام الشرعية ، مستنبطاً لها منْ أدلتها التفصيلية من الكتاب والسنة والاجماع وأدلة العقل ، وغيرها مما هو محقق في محله ولا يتم معرفة ذلك الا بمعرفة ما يتوقف عليه اثبات الصانع وصفاته التي يتم بها الايمان والتصريف واللغة من العربية ، وشرايط الحد والبرهان من علم المنطق ، ومعرفة اصول الفقه وما يتعلق بالاحكام الشرعية من آيات القرآن ، ومعرفة الحديث المتعلق بها ، وعلومه متناً واسناداً ، ولو بوجود اصل صحيح يرجع اليه عند الحاجة الى شيء منه ، ومعرفة مواضع الخلاف والوفاق ، بمعنى ان يعرف المسألة التي يفتي بها ان قوله فيها لا يخالف الاجماع ، بل يعلم انه وافق بعض المتقدمين ، او يغلب على ظنه ان المسألة لم يتكلم فيها الاولون ، بل تولدت في عصره او ما قاربه.

وان يكون له ملكة نفسانية وقوة قدسية يقتدر بها على اقتناص الفروع من اصولها ورد كل قضية الى ما يناسبها من الادلة.

وهذه شرايط المفتي المطلق المستقل اوردناها على طريق الاجمال ، وتفصيلها موكول الى اصول الفقه. فاذا اجتمعت هذه الاوصاف في شخص وجب عليه في كل مسألة فقهية فرعية يحتاج اليها أو يسأل عنها ، استفراغ الوسع في تفصيل حكمها بالدليل التفصيلي. ولا يجوز له تقليد غيره في افتاء غيره ولا لنفسه مع سعة وقت الفعل الذي يدخل فيه المسألة بحيث يمكنه في استنباطها ، بحيث لا ينافي الفعل. ومع ضيقه يجوز له تقليد مجتهد حي. وفي الميت وجهان ومنهم من منع مطلقاً .

النوع الثاني : في احكام المفتي وآدابه :

وفيه مسائل :

الأولى الافتاء فرض كفاية وكذا تحصيل مرتبته . فاذا سئل وليس هناك غيره تعين عليه الجواب. وان كان ثم غيره وحضر، فالجواب في حقهما فرض كفاية. وان لم يحضر الا واحد مع عدم المشقة في السعي الى الآخر ، ففي تعين الجواب على الحاضر وجهان. واذا لم يكن في الناحية مفت وجب السعي على كل مكلف بها يمكنه تحصيل شرائطها كفاية.

فان اخلّوا جميعاً بالسعي اشتركوا جميعاً في الاثم والفسق ، ولا يسقط هذا الوجوب عن البعض باشتغال البعض ، بل بوصوله الى المرتبة لجواز ان لا يصل المشتغل اليها لموت وغيره. ولا يكفي في سقوط الوجوب ظن الوصول ، وان قلنا بالاكتفاء به في القيام بفرض الكفاية مع احتماله.

الثانية : ينبغي ان لا يفتي في حال تغير خلقه وشغل قلبه ، وحصول ما يمنعه من كمال التأمل ، كغضب وجوع وعطش وحزن وفرح غالب ، ونعاس وملالة ومرض مقلق وحر مزعج وبرد مؤلم ومدافعة الاخبثين ونحو ذلك ما لم يتضيق وجوبه . فان افتى في بعض هذه الاحوال معتقداً انه لم يمنعه ذلك من ادراك الصواب ، صحت فتواه على كراهة لما فيه من المخاطرة.

الثالثة : اذا افتى في واقعة ثم تغير اجتهاده وعلم المقلد برجوعه من مستفت او غيره ، عمل بقوله الثاني . فان لم يكن عمل بالقول الاول لم يجز[1] العمل به. وان كان قد عمل به قبل علمه بالرجوع لم ينقض. ولو لم يعلم المستفتي برجوع المفتي فكأنه لم يرجع في حقه.

ويلزم المفتي اعلامه برجوعه قبل العمل وبعده ليرجع عنه في عمل آخر.

الرابعة[2] : اذا افتى في حادثة ثم حدث مثلها ، فان ذكر الفتوى الاولى

(١) م : يكن ، زائدة.

(٢) خ : الرابع.

ودليلها ، افتى بذلك ثانيا بلا نظر ، وان ذكرها ولم يذكر دليلها ولا طرأ ما يوجب رجوعه ، ففي جواز افتائه بالاولى ، او وجوب اعادة الاجتهاد قولان . ومثله تجديد الطلب في التيمم والاجتهاد في القبلة . والقاضي اذا حكم بالاجتهاد ثم وقعت المسألة .

الخامسة[1] : لا يجوز ان يفتي بما يتعلق بألفاظ الايمان والاقادير والوصايا ونحوها الا من كان من اهل بلد اللافظ ، او خبيراً بمرادهم في العادة فتنبه له فانه مهم .

---

(١) خ : الخامس.

النوع الثالث : في آداب الفتوى :

وفيه مسائل :

١ــ الاول : يلزم المفتي ان يبين الجواب بياناً يزيل الاشكال . ثم له[1] الاقتصار على الجواب شفاهاً ، فان لم يعرف لسان المفتي كفاه ترجمة عدلين . وقيل يكفي الواحد لانه خبر وله الجواب كتابة . وان كانت على خطر وكان بعض السلف كثير الهرب من الفتوى في الرقاع لما يتطرق اليها من الاحتمالات ، فان لكل حرف من لفظ السائل كزيه في الجواب .

وكثيراً ما شاهدنا سائلاً برقعة يكون لفظه مخالفاً لما في رقعته[2] فنرجع الى لفظه بعد ان نكون قد كتبنا الجواب ونخرق[3] الرقعة .

٢ ــ الثاني : ان تكون عبارته واضحة صحيحة يفهمها العامة ولا يزدريها الخاصة . وليحترز من القلاقة والاستهجان فيها ، واعراب غريب او ضعيف ، وذكر غريب لغة ونحو ذلك .

٣ ــ الثالث : اذا كان في المسألة تفصيل لا يطلق الجواب ، فانه خطأ ثم له ان يستفصل السائل ان حضر ويعيد السؤال في رقعة اخرى ان كان السؤال في رقعة ، ثم يجيب وهذا اولى واسلم . وله ان يقتصر على جواب احد الاقسام اذا علم انه الواقع للسائل ، ثم يقول هذا اذا كان الامر كذا ، او والحال ما ذكر ونحو ذلك . وله ان يفصل الاقسام في جوابه ويذكر حكم كل قسم . لكن هذا كرهه بعضهم ، وقالوا هذا تعلم الناس الفجور بسبب اطلاعهم على حكم ما يضر من الاقسام وينفع .

٤ ــ الرابع : اذا كان في الرقعة مسائل فالاحسن ترتيب الجواب على ترتيب السؤال ، ولو ترك الترتيب مع التنبيه على متعلق الجواب فلا بأس . ويكون من قبيل

---

(١) خ : له ، زائدة .

(٢) م : رقعة .

(٣) م ، خ : لعلها تحرق أو تخترق .

قوله تعالى : «يوم تبيضّ وجوه وتسودّ وجوه ، فاما الذين اسودت وجوههم». الآيتين(أ).

٥ ــ الخامس : قال بعضهم : ليس من الادب كون السؤال بخط المفتي فاما باملائه وتهذيبه فواسع.

٦ ــ السادس : ليس له ان يكتب السؤال على ما علمه من صورة الواقعة اذا لم يكن في الرقعة تعرض له ، بل على ما في الرقعة. فان اراد خلافه قال : ان كان الامر كذا فجوابه كذا ، واستحبوا ان يزيد على ما في الرقعة ما له تعلق بها ، مما يحتاج اليه السائل ، لحديث هو «الطهور ماؤه الحل ميّتة[1]».

٧ ــ السابع : اذا كان المستفتي بعيد الفهم فليرفق به ، ويصبر على تفهم سؤاله وتفهيم جوابه ، فان ثوابه جزيل.

٨ ــ الثامن : ليتأمل الرقعة كلمة كلمة تأملاً شافياً ، وليكن اعتناؤه بآخر الكلمَ اشد ، فان السؤال في آخرها. وقد يتقيد الجميع به ويغفل عنه. قال بعض العلماء : وينبغي ان يكون توقفه في المسألة السهلة كالصعبة ليعتاده.

٩ ــ التاسع : اذا وجد فيها كلمة مشتبهة سأل المستفتي عنها ونقطها وشكلها ، وكذا ان وجد لحناً او خطأً ، يحيل المعني اصلحه ، وان رأى بياضاً في اثناء سطر وآخره خط عليه او شغله ، لانه ربما قصد المفتي بالايذاء فكتب في البياض بعد فتواه ما يفسدها ، كما نقل ان ذلك وقع لبعض الاعيان.

١٠ ــ العاشر: يستحب ان يقرأها على حاضريه ممن هو اهل لذلك ، ويستشيرهم ويباحثهم برفق وانصاف ، وان كانوا دونه وتلامذته للاقتداء بالسلف ورجاء ظهور ما قد يخفى عليه. فان لكل خاطر نصيباً من فيض الله تعالى. الا ان يكون فيها ما يقبح ابداؤه ، او يؤثر السائل كتمانه او في اشاعته مفسدة.

---

(١) م : ميتته.

(أ) آل عمران : ١٠٦.

١١ ـــ الحادي عشر[1] : ليكتب الجواب بخط واضح وسط ، لا رقيق خاف ولا غليظ جاف ، ويتوسط[2] في سطورها بين توسعتها وتضييقها. واستحب بعضهم ان لا يختلف اقلامه وخطه خوفاً من التزوير، ولئلاً يشتبه خطه.

١٢ ـــ الثاني عشر[3] : اذا كتب الجواب اعاد نظره فيه وتأمله خوفاً من اختلال وقع فيه او اخلال ببعض المسؤول عنه ، ويختار ان يكون ذلك قبل كتابة اسمه وختم الجواب.

١٣ ـــ الثالث عشر: اذا كان هو المبتدىء فالعادة قديما وحديثاً ، ان يكتب في الناحية اليسرى من الرقعة ، ولا يكتب فوق البسملة ونحوها بحال.

١٤ ـــ الرابع عشر: يستحب عند ارادة الافتاء ان يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ، ويسمي الله تعالى ، ويحمده ويصلي على النبي (ص) ، ويدعو ويقول : «رب اشرح لي صدري»(أ)، الآية.

وكان بعضهم يقول : لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، «سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا»(ب) ففهمناها سليمان الآية. اللهم صل على محمد وآله وصحبه وسائر النبيين والصالحين. اللهم وفقني واهدني وسددني واجمع لي بين الصواب والثواب ، وأعذني من الخطأ والحرمان.

١٥ ـــ الخامس عشر: ان يكتب في اول فتواه الحمد لله ، او الله الموفق ، او حسبنا الله ، او حسبي الله ، او الجواب وبالله التوفيق او نحو ذلك. واحسنه الابتداء بالتحميد للحديث ، وينبغي ان يقوله بلسانه ويكتبه ثم يختمه بقوله والله اعلم ، او وبالله التوفيق. ويكتب بعده قاله فلان او كتبه فلان بن فلان الفلاني ، فينتسب الى ما يعرف به من قبيلة او بلد او صفة ونحوها.

---

(١) م ، خ : الحاديعشر.
(٢) م : يتوسط.
(٣) م ، خ : الثانيعشر.

(أ) طه : ٢٥.
(ب) البقرة : ٣٢.

١٦ ـــ السادس عشر: قال بعضهم: وينبغي ان يكتب المفتي بالمداد دون الحبر خوفاً من الحك، بخلاف كتب العلم. فالاولى فيه الحبر لأنها تراد للبقاء، والحبر ابقى.

١٧ ـــ السابع عشر: ينبغي ان يختصر جوابه غالباً، ويكون بحيث يفهمه العامة فهماً جلياً، حتى كان بعضهم يكتب، يجوز ولا يجوز، وبحث ام لا، لا او نعم ونحوها.

١٨ ـــ الثامن عشر: قال بعضهم: اذا سئل عمن قال انا اصدق من محمد بن عبد الله، او الصلاة لعب ونحوهما، مما ينبغي اراقة دمه، فلا يبادر بقوله هذا حلال الدم او عليه القتل. بل يقول ان ثبت هذا باقراره او بيّنة[1] كان الحكم كذا. واذا سئل عمن تكلم بشيء يحتمل الكفر وعدمه قال يسأل هذا القائل، فان قال اردت كذا، فالجواب كذا وكذا. وان سئل عمن قتل او قلع عيناً او غيرها، احتاط وذكر شروط القصاص. وان سئل عمن فعل ما يقتضي تعزيراً ذكر ما يُعزر به فيقول يضرب كذا وكذا ولا يزاد على كذا.

١٩ ـــ التاسع عشر: اذا سئل عن ميراث، فليست العادة ان يشترط في الارث عدم الرق والكفر وغيرهما من موانع الميراث، بل المطلق محمول على ذلك بخلاف ما اذا اطلق الاخوة والاخوات والاعمام وبينهم. فلا بد ان يقول في الجواب من ابوين او اب او ام. وان كان في المذكورين في رقعة الاستفتاء من لا يرث افصح بسقوطه فيقول: وسقط فلان. وان كان يسقط بحال دون حال، قال: وسقط فلان من هذه الحالة او نحو ذلك، لئلا يتوهم انه لا يرث بحال.

واذا سئل عن اخوة واخوات وبنين وبنات، فلا ينبغي ان يقول للذكر مثل حظ الانثيين، فان ذلك قد يشكل على العامي، بل يقول يقتسمون التركة على كذا وكذا سهماً: لكل ذكر سهمان ولكل انثى سهم مثلاً. ولو اتى بلفظ القرآن فلا بأس ايضاً لقلة خفاء معناه وان كان الاول اوضح. وينبغي ان يقول اولاً ويقسم التركة بعد اخراج ما يجب تقديمه من وصية او دين ان كانا[2] الى آخره.

---

(١) م. خ: بيته.

(٢) م: كان.

٢٠ ـــ العشرون : ينبغي ان يلصق الجواب بآخر الاستفتاء ، ولا يدع فرجة لئلا يزيد السائل شيئاً يفسدها. واذا كان موضع الجواب ملصقاً كتب على موضع الالصاق. واذا ضاق موضع الجواب فلا يكتبه في ورقة اخرى ، بل في ظهرها او حاشيتها. واذا كتبه في ظهرها كتبه في اعلاها الا ان يبتدىء من اسفلها متصلاً بالاستفتاء فيضيق الموضع في اسفل ظهرها ليصل جوابه.

٢١ ـــ الواحد والعشرون : اذا ظهر للمفتي ان الجواب خلاف غرض المستفتي ، وانه لا يرضى بكتابته في ورقته ، فليقتصر على مشافهته بالجواب ، وليحذر ان يميل في فتواه او خصمه بحيل شرعية. فانه من اقبح العيوب واشنع الخلال. ومن وجوه الميل ان يكتب في جوابه ما هو له ويترك ما هو عليه. وليس له ان يبدأ في مسائل الدعوى والبينات بوجوه المخالص منها ، ولا ان يعلم احدهما بما يدفع به حجة صاحبه كيلا يتوصل بذلك الى ابطال حق.

وينبغي للمفتي اذا رأى للسائل طريقاً ينفعه ولا يضر غيره ضرراً بغير حق ان يرشده اليه ، كما لو حلف لا ينفق على زوجته شهراً حيث ينعقد اليمين فيقول : اعطها من صداقها او قرضاً او بيعاً ثم ابرئها منه. وكما حكي ان رجلاً قال لبعض العلماء حلفت ان اطأ امرأتي في نهار رمضان ولا اكفّر ولا اعصي فقال سافر بها.

٢٢ ـــ الثاني والعشرون : اذا رأى المفتي المصلحة ان يفتي العامي بما فيه تغليظ وتشديد وهو مما لا يعتقد ظاهره وله فيه تأويل ، جاز ذلك زجراً وتهديداً في مواضع الحاجة حيث لا يترتب عليه مفسدة. كما روي عن ابن عباس انه سأله رجل عن توبة القاتل فقال لا توبة له. وسأله آخر فقال : له توبة. ثم قال اما الاول فرأيت في عينيه ارادة القتل فمنعته ، واما الثاني فجاء مسكيناً قد قتل ، فلم اقنّطه ، لكن يجب عليه التورية في ذلك ، فيقول لا توبة له اي في حالة اصراره على الذنب ، او وهو يريد القتل ونحو ذلك.

٢٣ ـــ الثالث والعشرون : يجب على المفتي عند اجتماع رقاع بحضرته ان يقدم الاسبق فالاسبق كما يفعله القاضي في الخصوم. وهذا فيما يجب فيه الافتاء ، فان

تساووا أو جَهِلَ السابق أقرعَ. قيل ويقدم امرأةً ومسافراً شد رحله ويتضرر بتخلفه عن الرفقة ونحوهما، الا اذا كثروا بحيث يتضرر غيرهم تضرراً ظاهراً فيعود الى التقديم بالسبق او القرعة ثم لا يقدم أحداً الا في فتيا واحدة.

٢٤ — الرابع والعشرون: اذا رأى المفتي رقعة الاستفتاء وفيها خط غيره ممن هو اهل للفتوى، وان كان دونه ووافق ما عنده كتب تحت خطه الجواب صحيح، او هذا جواب صحيح او جوابي، كذلك او مثل هذا او بهذا اقول ونحو ذلك. وله ان يذكر الحكم بعبارة اخصر وارشق. واما اذا رأى فيها خط من ليس اهلاً للفتوى، فلا يفتي معه، لأن في ذلك تقريراً منه لمنكر، بل له ان يضرب عليه وان لم يأذن له صاحب الرقعة، لكن لا يحبسها عنده الا بإذنه. وله نهي السائل وزجره وتعريفه قبح ما فعله، وانه كان يجب عليه البحث عن اهل الفتوى وان رأى فيها اسم من لا يعرفه سأل عنه، فان لم يعرفه فله الامتناع من الفتوى معه خوفاً مما قلناه.

والأولى في هذا الموضع ان يشار الى صاحبها بابدالها. فان ابى ذلك اجابه شفاها، ولو خاف فتنة من الضرب على فتيا عادم الاهلية ولم يكن خطأ عدل الى الامتناع من الفتيا معه. واما اذا كانت خطأ وجب التنبيه عليه وحرّم عليه الامتناع من الافتاء تاركاً للتنبيه على خطئها بل يجب عليه الضرب عليها عند تيسره او الابدال ويقطع الرقعة باذن صاحبها. واذا تعذر ذلك وما يقوم مقامه كتب صواب جوابه عند ذلك الخطأ، ويحسن ان تعاد للمفتي المذكور باذن صاحبها. واما اذا وجد فتيا الأهل وهي على خلاف ما يراه هو، غير انه لا يقطع بخطئها، فليقتصر على كتب جواب نفسه ولا يتعرض لفتيا غيره بتخطئة ولا[1] اعتراض.

٢٥ — الخامس والعشرون: اذا لم يفهم المفتي السؤال اصلاً، ولم يحضر صاحب الواقعة، قيل: يكتب يزاد في الشرح ليجب عنه، او لم افهم ما فيها، وعلى تقدير ان يكتب فلتكن الكتابة في محل لا يضر بحال الرقعة. واذا فهم من السؤال صورة وهو يحتمل غيرها فلينص عليها في اول جوابه فيقول: ان كان قال كذا او فعل كذا وما اشبه ذلك، فالامر كذا وكذا، او يزيد والا فكذا وكذا.

(١) م: والا.

٢٦ ــ السادس والعشرون : ليس بمنكر ان يذكر المفتي في فتواه حجة مختصرة قريبة من آية او حديث ، ومنعه بعضهم ليفرق بين الفتيا والتصنيف . وفصّل بعضهم فقال ان افتى عامياً لم يذكر الحجة ، وان افتى فقيهاً ذكرها . بل يحتاج المفتي في بعض الوقايع الى ان يشدد ويبالغ فيقول : هذا اجماع المسلمين ، او لا اعلم في هذا خلافاً ، او من خالف هذا فقد خالف الواجب وعدل عن الصواب والاجماع ، او فقد أثم وفسق او وعلى ولي الامر ان يأخذ بهذا او لا يهمل الامر وما اشبه هذه الالفاظ على حسب ما تقتضيه المصلحة وتوجبه الحال .

* * *

النوع الرابع : في احكام المستفتي وآدابه وصفته :

وفيه مسايل :

الاولى : في صفته : كل من لم يبلغ درجة المفتي الجامع للعلوم المتقدمة فيما يسأل عنه من الاحكام مستفت ، ويعبر عنه بالعامي ايضاً. وان كان من افاضل عصره ، بل ربما كان اعلم من المفتي في علوم اخر لا يتوقف عليها الافتاء. فان العامية الاصطلاحية تقابل الخاصية باي معنى اعتبرت.

فهنا يراد بالخاص المجتهدون وبالعام من دونهم ، ويقال له ايضاً مقلد. والمراد بالتقليد قبول قول من يجوز عليه الخطأ بغير حجة على عين ما قبل قوله فيه تفعيل من القلادة ، كأنه جعل ما يعتقده من الاحكام قلادة[1] في عنق من قلده.

ويجب على ذكر الاستفتاء اذا نزلت به حادثة ، يجب عليه علم حكمها . فان لم يجد ببلده من يستفتيه وجب عليه الرحيل الى من يفتيه ، وان بعدت داره. وقد رحل خلائق من السلف في المسألة الواحدة الليالي والايام ، وفي[2] بعضها من العراق الى الحجاز. وقد تقدم رحلة رجل من الحجاز الى الشام في حديث ابي الدرداء.

الثانية : يلزم المقلد ان لا يستفتي الا من عرف او غلب على ظنه علمه بما يصير به اهلا للافتاء وعدالته. فان جهل علمه لزمه البحث عما يحصل به احد الامرين : اما بالممارسة المطلقة له على حاله ، او بشهادة عدلين به ، او بشياع حاله بكونه متصفاً بذلك ، او باذعان جماعة من العلماء العالمين بالطريق ، وان لم يكونوا عدولاً بحيث يثمر قولهم الظن. وان جهلت عدالته رجع فيها الى العشرة المفيدة لها ، او الشياع او شهادة عدلين.

الثالثة : اذا اجتمع اثنان فاكثر ممن يجوز استفتاؤهم. فان اتفقوا في الفتوى اخذ بها ، وان اختلفوا وجب عليه الرجوع الى الاعلم الاتقى. فان اختلفوا في الوصفين

(١) م : قلادة ، ساقطة.

(٢) م : في وبعضها.

رجع الى اعلم الورعين واورع العالمين. فان تعارض الاعلم والاورع قلد الاعلم. فان جهل الحال او تساووا في الوصف تخير، وان بعد الفرض، وربما قيل بالتخيير مطلقاً لأشتراك الجميع في الاهلية وهو قول اكثر العامة. ولا نعلم به قائلاً منا بل المنصوص عندنا هو الاول.

الرابعة: في جواز تقليد المجتهد الميت مع وجود الحي:

اولا: معه للجمهور اقوال اصحها عندهم جوازه، مطلقاً، لان المذاهب لا تموت بموت اصحابها ولهذا يعتد بها بعدهم في الاجماع والخلاف. ولان موت الشاهد قبل الحكم لا يمنع الحكم بشهادته بخلاف فسقه.

والثاني: لا يجوز مطلقاً لفوات اهليته بالموت. ولهذا ينعقد الاجماع بعده، ولا ينعقد في حياته على خلافه. وهذا هو المشهور بين اصحابنا خصوصاً المتأخرين منهم. بل لا نعلم قائلاً بخلافه صريحاً ممن يعتد بقوله. لكن هذا الدليل لا يتم على اصولنا من ان العبرة في الاجماع، انما هو بدخول المعصوم كما لا يخفى.

والثالث: المنع منه مع وجود الحي لا مع عدمه وتحقيق المقام في غير هذه الرسالة.

الخامسة: لو تعدد المفتي وتساووا في العلم والدين او قلنا بتخييره مطلقاً قلد من شاء فيما نزل به، ثم اذا حضرت واقعة اخرى فهل يجب الرجوع فيها الى الاول وجهان، وعدمه اوجه، وكذا القول في تلك الواقعة في وقت آخر.

السادسة: اذا استفتى فاجيب ثم حدثت تلك الواقعة مرة اخرى، فهل يلزمه تجديد السؤال؟ فيه وجهان: احدهما نعم، لاحتمال تغير رأي المفتي، والثاني لا، وهو الاقوى لثبوت الحكم. والاصل استمرار المفتى عليه. وهذا يأتي في تقليد الحي، اما الميت فلا.

السابعة: له ان يستفتي بنفسه وان يبعث ثقة يعتمد خطه، او رقعة وله الاعتماد على خط المفتي اذا اخبره عدل انه خطه، او كان يعرف خطه ولم يشك في كون

ذلك الجواب بخطه. ولو لم يعرف لغة المفتي افتقر الى المترجم العدل. وهل يكفي الواحد أم يشترط عدلان؟ وجهان اجودهما الثاني.

الثامنة: ينبغي للمستفتي ان يتأدب مع المفتي ويبجله في خطابه وجوابه ونحو ذلك. ولا يومي بيده الى وجهه، ولا يقل له ما تحفظه في كذا. ولا اذا اجابه هكذا فهمت او وقع لي او نحو ذلك. ولا افتاني فلان او غيرك بهذا او بخلافه، ولا ان كان جوابك موافقاً لما كتب فاكتب والا فلا. ولا يسأله وهو قائم ولا مستوفز ولا مشغول بما يمنعه من تمام الفكر، ولا يطالبه بدليل ولا يقل لمَ قلت كذا فان احب ان يسكن نفسه بسماع الحجة طلبها في مجلس آخر، او في ذلك المجلس بعد قبول الفتوى مجردة.

التاسعة: اذا اراد جمع خط مفتيين في ورقة واحدة، فالاولى البدأة بالاعلم فالاعلم، ثم بالاورع، ثم بالاعدل، ثم بالاسن. وهكذا على ترتيب المرجحات في الامانة. ولو اراد افراد الاجوبة في رقاع بدا بمن يشاء. ولتكن رقعة الاستفتاء واسعة ليتمكن المفتي من استيفاء الجواب واضحاً لا مختصراً مضراً بالمستفتي.

العاشرة: ينبغي ان يكون كاتب الرقعة ممن يحسن السؤال ويضعه على الغرض مع ابانة الخط واللفظ، وصيانتهما عما يعترض للتصحيف، ويبين مواضع السؤال وينقط مواضع الاشتباه ويضبطها. وان كان من اهل العلم فهو اجود، وكان بعض العلماء لا يكتب فتواه الا في رقعة كتبها رجل من اهل العلم.

الحادية عشرة: لا يدع الدعاء في الرقعة للمفتي. فان اقتصر على فتوى واحد قال: ما تقول رحمك الله او رضي الله عنك، او وفقك الله او ايدك الله، او سددك الله ورضي عن والديك ونحو ذلك، ولا يحسن ان يدخل نفسه في الدعاء.

وان اراد جواب جماعة قال: ما تقولون او ما قولكم رضي الله عنكم. او ما قول الفقهاء سددهم الله او ايدهم ونحوه. وان اتى بعبارة الجمع لتعظيم الواحد فهو اولى، ويدفع الرقعة الى المفتي منشورة ويأخذها منشورة ولا يحوجه الى نشرها ولا الى طيها.

الثانية عشرة : اذا لم يجد صاحب الواقعة مفتياً في البلد ، وجب عليه الرحلة اليه مع وجوب الحكم عليه كما تقدم . فان لم يجده في بلده ولا في غيرها ، بناء على ان الميت لا قول له ، وان الزمان يجوز خلوه من المجتهد نعوذ بالله تعالى من ذلك ، وجب عليه الاخذ بالاحتياط في امره ما امكن . فان لم يتفق الاحتياط فهل يكون مكلفاً بشيء يصنعه فيه نظر .

* * *

الباب الثالث

في المناظرة وشروطها وآدابها[1]

ومنه فصلان

الفصل الأول: في شروطها وآدابها

الفصل الثاني: في آفاتها ومزالقها

الفصل الأول: في شروطها وآدابها .

اعلم ان المناظرة في احكام الدين من الدين . ولكن لها شروط ومحل ووقت . فمن اشتغل بها على وجهها ، وقام بشروطها ، فقد قام بحدودها ، واقتدى بالسلف فيها . فانهم تناظروا في المسائل ، وما تناظروا الا لله ، ولطلب ما هو حق عند الله تعالى .

ولمن يناظر لله وفي الله علامات بها نتبين[1] الشروط والآداب :

الاولى ان يقصد بها اصابة الحق ، وطلب ظهوره كيف اتفق ..لا ظهور صوابه وغزارة علمه وصحة نظره. فان ذلك مراء ، قد عرفت ما فيه من القبائح والنهي الاكيد. ومن آيات هذا القصد ان لا يوقعها الا مع رجاء التأثير. فأما اذا علم عدم قبول المناظر للحق ، وانه لا يرجع عن رأيه وأن يبين له اخطاءه فمناظرته غير جائزة لترتب الآفات الآتية[2] ، وعدم حصول الغاية المطلوبة منها.

الثانية : ان لا يكون ثم ما هو اهم من المناظرة ، فان المناظرة اذا وقعت على وجهها[3] الشرعي وكانت في واجب ، فهي من فروض الكفايات . فاذا كان ثم واجب عيني او كفائي هو اهم منه ، لم يكن الاشتغال بها سائغاً.

ومن جملة الفروض التي لا قائم بها في هذا الزمان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد يكون المناظر في مجلس مناظرته مصاحباً لعدة مناكير، كما لا يخفى من سير الاحوال المفروضة والمحرمة ، ثم هو يناظر فيما لا يتفق او يتفق نادراً من الدقائق

(١) م : تتبين.

(٢) م : الآنية .

(٣) م : وجهان.

العلمية والفروع الشرعية. بل يجري منه ومن غيره في مجلس المناظرة من الايحاش والافحاش والايذاء والتقصير فيما يجب رعايته من النصيحة للمسلمين، والمحبة والموادة مايفضي به القائل والمستمع، ولا يلتفت قلبه الى شيء من ذلك، ثم يزعم انه يناظر لله تعالى.

الثالثة: ان يكون المناظر في الدين مجتهداً يفتي برأيه، لا بمذهب احد. حتي اذا بان له الحق على لسان خصمه انتقل اليه فاما من لا يجتهد فليس له مخالفة مذهب من يقلده، فاي فائدة له في المناظرة وهو لا يقدر على تركه ان ظهر ضعفه؟ ثم على تقدير ان يباحث مجتهداً ويظهر له ضعف دليله، فإذا نصر المجتهد فان فرضه الاخذ بما يترجح عنه، وان كان في نفسه ضعيفاً، كما اتفق ذلك لسائر المجتهدين فانهم يتمسكون بأدلة ثم يظهر لهم او لغيرهم انها في غاية الضعف، فيتغير فتواهم لذلك حتى في المصنف الواحد، بل في الورقة الواحدة.

الرابعة: ان يناظر في واقعة مهمة او في مسألة قريبة من الوقوع وان يهتم بمثل ذلك. والمهم ان يتبين الحق، ولا يطول الكلام زيادة على ما يحتاج اليه في تحقيق الحق، ولا يغتر بان المناظرة في تلك المسائل النادرة توجب رياضة الفكر وملكة الاستدلال. والتحقيق كما يتفق ذلك كثيراً لقاصدي حظ النفوس من اظهار المعرفة، فيتناظرون في التعريفات، وما يشتمل عليه من النقوض والتزييفات وفي المغالطات ونحوها. ولو اختبر حالهم حق الاختبار لوجد مقصدهم على غير ذلك الاعتبار

الخامسة: ان تكون المناظرة في الخلوة احب إليه منها في المحفل والصدور. فان الخلوة اجمع للهمم[1]، واحرى لصفاء الفكر ودرك الحق. وفي حضور الخلق ما يحرك دواعي الرياء والحرص على الافحام ولو بالباطل. وقد يتفق لاصحاب المقاصد الفاسدة الكسل عن الجواب عن المسألة في الخلوة، وتنافسهم في المسألة في المحافل، واحتيالهم على الاستيثار بها في المجامع.

---

(١) م: للهم.

السادسة : ان يكون في طلب الحق كمنشد ضالة ، يكف شاكراً متي وجدها . ولا يفرق بين ان يظهر على يده او يد غيره ، فيرى رفيقه معينا لا خصماً ، ويشكره اذا عرفه الخطأ واظهر له الحق ، كما لو اخذ طريقاً في طلب ضالة ، فنبهه غيره على ضالته في طريق آخر والحق ضالة المؤمن يطلبه كذلك فحقه اذا ظهر الحق على لسان خصمه ان يفرح به ويشكره ، لا ان يخجل ويسودّ وجهه يربدّ لونه ، ويجتهد في مجاهدته ومدافعته جهده .

السابعة : ان لا يمنع معينه من الانتقال من دليل الى دليل ، ومن سؤال الى سؤال ، بل يمكنه من ايراد ما يحضره ويخرج من كلامه ما يحتاج اليه في اصابة الحق . فان وجده في جملته او استلزمه ، وان كان غافلاً عن اللزوم ، فليقبله ويحمد الله تعالى . فان الغرض اصابة الحق وان كان في كلام متهافت ، اذا حصل منه المطلوب . فاما قوله هذا لا يلزمني ، وقد تركت كلامك الاول ، وليس لك ذلك ، ونحو ذلك من اراجيف المناظرين ، فهو محض العناد والخروج عن نهج السداد . وكثيراً ما نرى المناظرات في المحافل تنقضي بمحض المجادلات ، حتى يطلب المعترض الدليل عليه ، ويمنع المدعي وهو عالم به ، وينقضي المجلس على ذلك الانكار والاصرار على العناد ، وذلك عين الفساد والخيانة للشرع المطهّر ، والدخول في ذم من كتم علمه .

الثامنة : ان يناظر مع من هو مستقل بالعلم ليستفيد منه ان كان يطلب الحق . والغالب انهم يحترزون من مناظرة الفحول والاكابر خوفاً من ظهور الحق على لسانهم ، ويرغبون فيمن دونهم طمعاً في ترويج الباطل عليهم .

ووراء هذه الشروط والآداب شروط أخر وآداب دقيقة . لكن فيما ذكر ما يهديك الى معرفة المناظرة لله ومن يناظر لها او لعلة .

الفصل الثاني: في آفاتها وتوابعها

في آفات المناظرة وما يتولد عنها من مهلكات الاخلاق

اعلم ان المناظرة الموضوعية لقصد الغلبة والافحام والمباهاة والتشوق لاظهار الفضل هي منبع جميع الاخلاق المذمومة عند الله تعالى، المحمودة عند عدوه ابليس. ونسبتها الى الفواحش الباطنة من الكبر والعجب والرياء والحسد والمنافسة وتزكية النفس وحب الجاه وغيرها، نسبة الخمر الى الفواحش الظاهرة من الزنا والقتل والقذف. وكما ان من خيّر بين الشرب وبين سائر الفواحش فاختار الشرب استصغاراً له، فدعاه ذلك الى ارتكاب سائر الفواحش، فكذلك من غلب عليه حب الافحام والغلبة في المناظرة وطلب الجاه والمباهاة، دعاه ذلك الى اظهار الخبائث كلها.

فأولها: الاستكبار عن الحق وكراهته، والحرص على مدافعته بالمماراة فيه، حتى ان ابغض الاشياء الى المناظر ان يظهر الحق على لسان خصمه. ومهما ظهر تستمر لجحده بما قدر عليه من التلبيس والمخادعة والمكر والحيلة. ثم تصير المماراة له عادة وطبيعة، حتى لا يسمع كلاماً الا وتنبعث داعيته للاعتراض عليه، اظهاراً للفضل[1] واستنقاصاً بالخصم وان كان محقاً، قاصداً اظهار نفسه لا اظهار الحق. وقد تلونا عليك بعض ما في المراء من الذم وما يترتب عليه من المفاسد.

وقد سوّى الله تعالي بين من افترى على الله كذباً وبين من كذب بالحق، فقال

(١) خ: اظهار الفضل.

تعالى: «ومن اظلم ممن افترى على الله كذباً او كذب بالحق لما جاءه» (أ). وهو كبر ايضاً لما تقدم من انه عبارة عن رد الحق على قائله والمراء يستلزم ذلك.

وروي عن ابي الدرداء وابي امامة وواثلة وانس قالوا: خرج علينا رسول الله (ص) يوماً ونحن نتمارى في شيء من امر الدين، فغضب غضباً شديداً لم يغضب مثله، ثم قال: «انما هلك من كان قبلكم بهذا. ذروا المراء، فان المؤمن لا يماري. ذروا المراء فان المماري قد تمت خسارته، ذروا المراء، فان المماري لا اشفع له يوم القيمة، ذروا المراء، فانا زعيم بثلاثة ابيات في الجنة: في رياضها ووسطها واعلاها لمن ترك المراء وهو صادق. ذروا المراء فان اول ما نهاني عنه ربي بعد عبادة الاوثان المراء».

وعنه (ص): «ثلاث من لقي الله عز وجل بهن[(١)] دخل الجنة من اي باب شاء: من حسن خلقه، وخشي الله في المغيب[(٢)] والمحضر، وترك المراء وان كان محقاً».

وعن ابي عبد الله (ع) قال: قال امير المؤمنين: «اياكم والمراء والخصومة فانهما يمرضان القلوب على الاخوان، وينبت عليهما النفاق». وعن ابي عبد الله (ع): قال جبرئيل للنبي (ص): اياك وملاحاة الرجال.

وثانيها: الرياء وملاحظة الخلق والجهد في استمالة قلوبهم، وصرف وجوههم نحوه ليصوبوا نظره وينصروه على خصمه، وهذا هو عين الرياء بل بعضه. والرياء هو الداء العضال والمرض المخوف والعلة المهلكة. قال الله تعالى: «والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد. ومكر اولئك هو يبور[(ب)]». قيل هم اهل الرياء. وقال تعالى: «فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه احدا» (ج). والرياء هو الشرك الخفي. وقال (ص): «ان أخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر. قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول الله؟ قال هو الرياء». يقول الله تعالى يوم القيمة اذا جازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤون في الدنيا

(١) خ: لهن. (أ) الانعام: ٢١. (ب) فاطر: ١٠.
(٢) خ: الغيب. (ج) الكهف: ١١٠.

فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء. وقال (ص) : استعيذوا بالله من حب الخزي. قيل: وما هو يا رسول الله؟ قال: وادٍ في جهنم اعد للمرائين.

وقال (ص): «ان المرائي ينادي يوم القيامة يا فاجر، يا غادر، يا مرائي، ضل عملك وبطل اجرك، اذهب فخذ اجرك ممن كنت تعمل له». وروى جراح المدايني عن أبي عبد الله (ع) في قول الله عز وجل: «فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً» (أ) قال: الرجل يعمل شيئاً من الثواب لا يطلب به وجه الله، انما يطلب تزكية النفس، يشتهي ان يسمع به الناس، فهذا الذي اشرك بعبادة ربه. وعنه (ع) قال: قال النبي (ص): ان الملك ليصعد بعمل العبد مبتهجاً به، فاذا صعد بحسناته يقول الله عز وجل اجعلوها في سجِّين، انه ليس اياي اراد به».

وعن امير المؤمنين (ع): ثلاث علامات للمرائي: ينشط اذا رأى الناس، ويكسل اذا كان وحده، ويحب ان يحمد في جميع اموره.

وثالثها: الغضب، والمناظر لا ينفك منه غالباً سيما اذا رد عليه كلامه واعترض على قوله، وزيف دليله بمشهد من الناس، فانه يغضب لذلك لا محالة، وغضبه قد يكون بحق وقد يكون بغير حق. وقد ذم الله تعالى ورسوله الغضب كيف كان، واكثرا[1] من التوعد عليه. قال الله تعالى: «اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية[2] فانزل الله سكينته على رسوله» (ب) الآية. فذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة[3] عن الغضب ومدح المؤمنين بما انعم عليهم من السكينة. وعن عكرمة في قوله تعالى «سيدا» و«حصورا» قال: السيد الذي لا يغلبه الغضب. وروي ان رجلاً قال يا رسول الله، مرني بعمل وأقل، قال: «لا تغضب». ثم أعاد عليه فقال: «لا تغضب». وسئل (ع) ما يُبعد من

(١) خ: اكثر.
(٢) خ: الجاهلة.
(٣) خ: الصادر.

(أ) الكهف: ١١٠.
(ب) الفتح: ٢٦.

غضب الله تعالى، قال: «لا تغضب». وعنه (ص): من كف غضبه ستر الله عورته. وقال أبو الدرداء: قلت يا رسول الله: دلني على عمل يدخلني الجنة، قال: «لا تغضب». وقال (ص): «الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل». «ما غضب احد[1] الا اشفر على جهنم».

وعن ابي عبد الله (ع) قال: سمعت ابي يقول: اتي رسول الله (ص) رجل بدوي وقال اني اسكن البادية، فعلمني جوامع الكلام فقال: «آمرك ان لا تغضب». فاعاد عليه الاعرابي المسألة ثلاث[2] مرات حتى رجع الرجل الى نفسه وقال: لا أسأل عن شيء بعد هذا، ما امرني رسول الله الا بالخير. وعن ابي عبد الله (ع) قال: «قال رسول الله (ص): «الغضب يفسد الايمان كما يفسد الخل العسل».

وذكر الغضب عند ابي جعفر الباقر (ع) فقال: «ان الرجل ليغضب فما يرضى ابداً حتى يدخل النار». وعنه (ع) قال: مكتوب بالتوراة[3] فيما ناجى الله عز وجل به موسى (ع): «يا موسى امسك غضبك عمن ملّكتك عليه، اكف عنك غضبي». وعن ابي حمزة الثمالي قال: قال ابو جعفر (ع): «ان هذا الغضب جمرة من الشيطان توقد في قلب ابن آدم، وان احدكم اذا غضب احمرت عيناه وانتفخت اوداجه، ودخل الشيطان فيه». والاخبار في ذلك كثيرة.

وفي الاخبار القديمة، قال نبي من الانبياء لمن معه: «من تكفل لي ان لا يغضب يكون معي في درجتي، ويكون بعدي خليفتي». فقال شاب من القوم: «انا»، ثم اعاد عليه فقال الشاب «انا»، ووفى به. فلما مات كان في منزلته بعده وهو ذو الكفل، لانه كفل له بالغضب ووفى به.

رابعها: الحقد وهو نتيجة الغضب، فان الغضب اذا لزم كظمه لعجزه عن التشفي في الحال وُجّه الى الباطن، واحتقن فيه فصار حقداً[4]. ومعنى الحقد ان يلزم

---

(١) خ: احد.

(٢) م: ثلث.

(٣) م: التورية.

(٤) خ: حقد.

قلبه استثقاله والبغض له والنفار منه. وقد قال (ص) : المؤمن ليس بحقود، فالحقد ثمرة الغضب والحقد يثمر اموراً فاحشة كالحسد والشماتة بما يصيبه من البلاء والهجر والقطيعة، والكلام فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وافشاء سر وهتك ستر وغيره، والحكاية لما يقع منه المؤدي الى الاستهزاء والسخرية منه، والايذاء بالقول والفعل حيث يمكن. وكل هذه الامور بعض نتايج الحقد.

واقل درجات الحقد مع الاحتراز عن هذه الآفات المحرمة ان تستثقله في الباطن ولا تنهى قلبك عن بغضه حتي تمتنع عما كنت تتطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام على بره ومواساته. وهذا كله ينقص درجتك في الدين ويحول بينك وبين فضل عظيم وثواب جزيل، وان كان لا يعرضك لعقاب.

واعلم ان للحقود عند القدرة على الجزاء ثلاثة [١] احوال : احدها [٢] ان يستوفي حقه الذي يستحقه من غير زيادة ولا نقصان وهو العدل. والثاني إن يحسن اليه بالعفو وذلك هو الفضل. والثالث ان يظلمه بما لا يستحقه وذلك هو الجور وهو اختيار الارذال. والثاني هو اختيار الصدِّيقين، والأول هو منتهى درجة الصالحين. فليتسم المؤمن بهذه الخصلة ان لم يمكنه تحصيل فضيلة العفو التي قد امر الله تعالى بها، وحض [٣] عليها رسوله والائمة (ص). قال الله تعالى : «خذ العفو» (أ)، الآية. وقال تعالى : «وان تعفوا اقرب للتقوى» (ب). وقال رسول الله (ص) : ثلاث والذي نفسي بيده ان كنت لحالفا عليهن : ما نقصت صدقة من مال فتصدقوا، ولا عفا رجل عن مظلمة يبتغي بها وجه الله تعالى الا زاده الله تعالى بها عزاء يوم القيامة. ولا فتح رجل باب مسألة الا فتح الله عليه باب فقر.

وقال (ص) : «التواضع لا يزيد العبد الا رفعة، فتواضعوا يرفعكم الله، والعفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله، والصدقة لا تزيد المال الا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله». وقال (ص) : «قال موسى (ع) يا رب اي عبادك اعز عليك؟

---

(١) م، خ : ثلثه.
(٢) م، خ : احديها.
(٣) م، خ : خص.

(أ) الاعراف : ١٩٩.
(ب) البقرة : ٢٣٧.

قال : «الذي اذا قدر عفا» . وروى ابن ابي عمير عن عبد الله بن سنان عن الصادق قال : قال رسول الله (ص) في خطبته : «الا اخبركم بخير خلائق الدنيا والآخرة ، العفو عمن ظلمك ، وتصل من قطعك ، والاحسان الى من اساء اليك ، واعطاء من حرمك». والاخبار في هذا الباب كثيرة لا يقتضي للرسالة ذكرها.

وخامسها : وهو نتيجة الحقد ، والحقد نتيجة الغضب كما مر ، والمناظر لا ينفك منه غالبا ، فانه تارة يغلب وتارة يُغلب وتارة يُحمد في كلامه وتارة يحمد كلام غيره . ومتى لم يكن الغلب والحمد له تمناه لنفسه دون صاحبه وهو عين الحسد فان العلم من أكبر النعم. فاذا تمني احد كون ذلك الغلب ولوازمه له فقد حسد صاحبه ، وهذا امر واقع بالمتناظرين الا من عصمه الله تعالى. ولذلك قال ابن عباس : «خذوا العلم حيث وجدتموه ولا تقبلوا اقوال الفقهاء بعضهم في بعض فانهم يتغايرون كما يتغاير التيوس في الزريبة».

واما ما جاء في ذم الحسد والوعيد عليه فهو خارج عن حد الحصر. وكفاك في ذمه ان جميع ما وقع من الذنوب والفساد في الارض من اول الدهر الى آخره كان من الحسد. لما حسد ابليس آدم فصار امره الى ان طرده الله ولعنه واعد له عذاب جهنم خالدا فيها ، وتسلط بعد ذلك على بني آدم ، وجرى فيهم مجرى الدم والروح في ابدانهم ، وصار سبب الفساد على الآباد ، وهو أول خطيئة وقعت بعد خلق آدم . وهو الذي اوجب قتل ابن آدم اخاه كما حكاه الله تعالى عنهما في كتابه الكريم.

وقد قرن الله تعالى الحاسد بالشيطان والساحر فقال : «ومن شر غاسق اذا وقب ، ومن شر النفاثات في العقد ، ومن شر حاسد اذا حسد» (أ). وقال رسول الله (ص) : الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب. وقال (ص) : دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء وهي الحالقة ، لا اقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين. والذي نفس محمد بيده ، لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولن تؤمنوا حتى تحابوا.

(أ) الفلق : ٥.

وقال (ص): «ستة يدخلون النار قبل الحساب بستة. قيل يا رسول الله من هم؟ قال: الامراء بالجور، والعرب بالعصبية، والدهاقين بالكبر، والتجار بالخيانة، واهل الرستاق بالجهالة، والعلماء بالحسد. وروى محمد بن مسلم عن الباقر (ع) انه قال: «ان الرجل ليأتي بادرة فيكفر وان الحسد ليأكل الايمان كما تأكل النار الحطب.

وعن ابي عبد الله (ع): «آفة الدين الحسد والعجب والفخر». وعنه (ع) قال: «قال الله تعالى لموسى (ع): «يا بن عمران، لا تحسدن الناس على ما آتيتهم من فضلي، ولا تمدن عينيك الى ذلك ولا تتبعه نفسك، فان الحاسد ساخط لنعمي، صاد لقسمي الذي قسمت بين عبادي، ومن يك كذلك فلست منه وليس مني». وعنه (ع) قال: «ان المؤمن يغبط ولا يحسد، والمنافق يحسد ولا يغبط».

وسادسها: الهجر والقطيعة: وهو ايضا من لوازم الحقد، فان المتناظرين اذا ثارت بينهما[1] المنافرة، وظهر منها الغضب، وادعى كل منهما انه المصيب وان صاحبه المخطىء، واعتقد و[2] أظهر انه مصر على باطله، مزمع على خلافه، لزم من حقده عليه وغضبه هجره وقطيعته[3]، وذلك من عظائم الذنوب وكبائر المعاصي.

روى داود بن كثير قال: «سمعت ابا عبد الله (ع) يقول: قال ابي، قال رسول الله (ص): ايما مسلمين تهاجرا فمكثا ثلاثا[4] لا يصطلحان الا كانا خارجين من الاسلام، ولم تكن بينهما ولاية، وايهما سبق الى كلام اخيه كان السابق الى الجنة يوم الحساب». وعن ابي عبد الله (ع) انه قال: لا يفترق رجلان على الهجران الا استوجب احدهما البراءة[5] واللعنة، وربما استحق كلاهما. فقال له معتب جعلني

(١) خ: بينها.
(٢) خ: أو.
(٣) خ: قطيعة.
(٤) م، خ: ثلثاً.
(٥) م. خ: البرائه.

الله فداك ، هذا الظالم ، فما بال المظلوم؟ قال «لأنه لا يدعو اخاه الى صلته ، ولا يتغامس له عن كلامه . سمعت ابي يقول : اذا تنازع اثنان فعان احدهما الآخر فليرجع المظلوم الى صاحبه حتي يقول لصاحبه : اي اخي ، انا الظالم ، حتي يقطع الهجران بينه وبين صاحبه ، فان الله تبارك وتعالى حكم عدل ، يأخذ للمظلوم من الظالم» . وروى زرارة عن ابي جعفر (ع) قال : «ان الشيطان يغري بين المؤمنين ما لم يرجع احدهم عن دينه ، فاذا فعلوا ذلك استلقى على قفاه وتمدد ثم قال : فزت . فرحم الله امرأ الّف بين ولبين لنا ، يا معشر المؤمنين تآلفوا وتعاطفوا» .

وعن ابي بصير عن ابي عبد الله (ع) قال «لا يزال ابليس فرحا ما اهتجر المسلمان ، فاذا التقيا اصطكت ركبتاه وتخلعت اوصاله ونادى يا ويله ما ألقى من الثبور» .

وسابعها : الكلام فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وغيرهما : وهو من لوازم الحقد بل من نتيجة المناظرة . فان المناظرة لا تخلو عن حكاية كلام صاحبه في معرض التهجين والذم والتوهين ، فيكون مغتابا ، وربما يحرّف[1] كلامه فيكون كاذبا مباهتا ملبسا . وقد يصرّح باستجهاله واستحماقه ، فيكون متنقصا مشينا . وكل واحد من هذه الامور ذنب كبير ، والوعيد عليه في الكتاب والسنة كثير يخرج عن حد الحصر .

وكفاك في ذم الغيبة ان الله تعالى شبهها باكل الميتة فقال تعالى : «ولا يغتب بعضكم بعضا ، ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه»(أ) . وقال النبي (ص) : «كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه ، والغيبة تتناول العرض» . وقال (ص) : «اياكم والغيبة فان الغيبة اشد من الزنا» ، ان الرجل قد يزني فيتوب ، فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه» . وقال البراء : «خطبنا رسول الله (ص) حتى اسمع العواتق في بيوتها فقال : يا معشر

---

(١) خ : يحرف.

(أ) الحجرات : ١٢ .

من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه ، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ، فانه من تتبع عورة اخيه تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته » . وعن ابي عبد الله (ع) قال : « ما من مؤمن قال في مؤمن ما رأته عيناه وسمعته اذناه فهو من الذين قال الله عز وجل « ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم » (أ)

وعن النبي (ص) : ان الغيبة اشد من ثلاثين[1] زنية ، وفي حديث آخر من ستة وثلاثين زنية . والكلام في الغيبة يطول ، والغرض هنا الاشارة الى اصول هذه الرذائل . وروى المفضل بن عمر عن ابي عبد الله (ع) انه قال : من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروءته ليسقط من اعين الناس ، اخرجه الله من ولايته الى ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان .

وعنه (ع) في حديث : « عورة المؤمن على المؤمن حرام » قال ما هو ان تنكشف فترى منه شيئا ، انما هو ان تروى عنه او تعيبه . وروى زرارة عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) قال : « اقرب ما يكون العبد الى الكفر ان يواخي الرجل على الدين فيحصي عليه عثراته وزلاته » . وروى ابو بصير عن ابي جعفر (ع) قال : قال رسول الله (ص) : « سباب المؤمن فسوق ، وقتاله كفر ، وأكل لحمه معصية ، وحرمة ماله كحرمة دينه » . وعن ابي حمزة قال : « سمعت ابا عبد الله (ع) يقول : اذا قال المؤمن لأخيه أف خرج من ولايته ، واذا قال انت عدوي كفر احدهما ، ولا يقبل الله من[2] مؤمن عملا وهو مضمر على اخيه المؤمن سوءاً » .

وروى الفضيل عن ابي جعفر (ع) قال : « ما من انسان يطعن في عين مؤمن الا مات بشر ميتة وكان قمناً الا يرجع الى خير » .

وثامنها : الكبر والترفع : والمناظرة لا تنفك عن التكبر على الاقران والامثال ، والترفع فوق المقدار في الهيئات والمجالس ومن انكار كلام خصمهم ، وان لاح كونه

---

(١) م ، خ : ثلثين.

(٢) خ : من ساقطة.

(أ) النور : ١٩ .

حقا حذرا من ظهور غلبتهم ، ولا يصرحون عند ظهور الفلج عليهم بانا مخطئون ، وان الحق قد ظهر في جانب خصمنا . وهذا عين الكبر الذي قد اخبر النبي (ص) بانه لا يدخل الجنة من في قلبه منه مثقال . وقد فسره (ص) في الحديث السابق بأنه بطر الحق (وغمص الناس بالصاد المهملة بعد الغين المعجمة احتقارهم) ، وهذا المناظر[1] قد رد الحق[2] على قائله وعدم الاعتراف به[3] بعد ظهوره له وان خفي على غيره ، وربما احتقره حيث يزعم انه محق ، وان خصمه هو المبطل الذي لم يعرف الحق ولا له ملكة العلم والقوانين المؤدية اليه . وعن النبي (ص) انه قال حاكيا عن الله تعالى : «العظمة ازاري والكبرياء ردائي ، فمن نازعني فيها قصمته» . وعن ابي عبد الله (ع) قال : قال رسول الله (ص) : «ان اعظم الكبر غمص الخلق وسفه الحق» . قال : قلت وما غمص الخلق وسفه الحق؟ قال : «تجهل الحق وتطعن على اهله ، فمن فعل ذلك فقد نازع الله عز وجل رداءه» .

وروى الحسين بن ابي العلاء عن ابي عبد الله (ع) قال : سمعته يقول : «الكبر قد يكون في شرار الناس من كل جنس ، والكبر رداء الله فمن نازع الله عز وجل رداءه لم يزده الا سفالاً . وسئل (ع) عن ادنى الالحاد قال : «ان الكبر ادناه» .

وروى زرارة عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) قالا : لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر . وعن عمر بن يزيد قال : «قلت لأبي عبد الله (ع) : انّي آكل الطعام الطيب واشم الرائحة الطيبة واركب الدابة الفارهة ويتبعني الغلام ، فترى في هذا شيئا من التجبّر فلا افعله؟ فاطرق ابو عبد الله (ع) ثم قال : «انما الجبار الملعون من غمص الناس وجهل الحق» . قال عمر : فقلت اما الحق فلا اجهله ، والغمص لا ادري ما هو ، قال : «من حقّر الناس وتجبر عليهم فذلك الجبار . وعن ابي حمزة عن ابي جعفر (ع) قال : قال رسول الله (ص) : «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم» ، وعدَّ منهم الجبار .

(١) خ : المراد ببطر الحق.

(٢) خ : رده.

(٣) وعدم الاعتراف به ، ساقطة . في م.

وتاسعها : التجسس وتتبع العورات : والمناظر لا يكاد يخلو عن طلب عثرات مناظره في كلامه وغيره ليجعله ذخيرة لنفسه ووسيلة الى تسديده وبراءته او دفع منقصته ، حتى ان ذلك قد يتمادى بأهل الغفلة ، ومن يطلب علمه للدنيا فيتفحص عن احوال خصمه وعيوبه ثم انه قد يعرض به في حضرته او يشافهه بها ، وربما يحتج به ويقول كيف اخملته واخجلته الى غير ذلك ، مما يفعله الغافلون عن الدين واتباع الشياطين. وقد قال الله تعالى : «ولا تجسسوا»(١). وقال (ص) : «يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه ، لا تتبعوا عورات المسلمين فمن يتبع عورة مسلم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته فضحه ولو في جوف بيته» . وعن الباقر (ع) : اقرب ما يكون العبد الى الكفران يواخي الرجل الرجل على الدين فيحصي عليه زلاته ليعيّره بها يوما ما. وعنه (ع) قال : «قال رسول الله (ص) : من اذاع فاحشة كان كمبتدئها ، ومن عيّر مؤمنا بشيء لم يمت حتى يركبه.

وعنه (ع) : «من لقي اخاه بما يؤنبه به انبه الله في الدنيا والآخرة» . وعنه (ع) قال : قال امير المؤمنين (ع) في كلام له : «ضع امر اخيك على احسنه حتى يأتيك ما يغلبك ، ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وانت تجد لها في الخير محملا» .

وعاشرها : الفرح بمساءة الناس والغم بسرورهم : ومن لا يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه فهو ناقص الايمان ، بعيد عن اخلاق اهل الدين. وهذا غالب بين من غلب على قلبهم محبة افحام الاقران وظهور الفضل على الاخوان. وقد ورد في احاديث كثيرة ان للمسلم على المسلم حقوقا ان ضيع منها واحداً خرج من ولاية الله وطاعته. من جملة ذلك روى محمد بن يعقوب الكليني باسناده الى المعلى بن خنيس عن ابي عبد الله (ع) قال : «قلت له ما حق المسلم على المسلم؟ قال له سبع حقوق واجبات ، ما منهن حق الا وهو واجب عليه ، ان ضيع منها حقا خرج من ولاية الله وطاعته ، ولم يكن لله فيه نصيب» . قلت له جعلت فداك وما هي؟ قال يا معلّى : «اني عليك شفيق اخاف ان تضيع ولا تحفظ وتعلم ولا تعمل» . قال ، قلت له : «لا قوة الا بالله». قال :

(١) الحجرات : ١٢.

(١)— أيسر حق منها ان تحب له ما تحب لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك.

(٢)— والحق الثاني : ان تجتنب سخطه وتتبع مرضاته وتطيع امره.

(٣)— والحق الثالث : ان تعينه بنفسك ومالك ولسانك ويدك ورجلك.

(٤)— والحق الرابع : ان تكون عينه ودليله ومرآته.

(٥)— والحق الخامس : ان لا تشبع ويجوع ، ولا تروى ويظمأ ، ولا تلبس ويعرى.

(٦)— والحق السادس : ان يكون لك خادم وليس لأخيك خادم ، فواجب ان تبعث خادمك فيغسل ثيابه ويصنع طعامه ويمهد فراشه.

(٧)—والحق السابع :ان تبر قسمه وتجيب دعوته وتعود مريضه وتشهد جنازته. واذا علمت ان له حاجة تبادره الى قضائها ولا تلجئه ان يسألكها ، ولكن تبادره مبادرة فاذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايته وولايته بولايتك.

والاخبار في هذا الباب كثيرة.

وحادي عشرها : تزكية النفس والثناء عليها : ولا يخلو المناظر من الثناء على نفسه اما تصريحا او تلويحا وتعريضاً ، بتصويب كلامه وتهجين كلام خصمه. وكثيرا ما يصرح بقوله : «لست ممن يخفى على أمثاله هذا» ونحوه. وقد قال الله تعالى : «ولا تزكوا انفسكم» (أ). وقيل لبعض العظماء ما الصدق القبيح؟ قال : «ثناء المرء على نفسه». واعلم ان ثناءك على نفسك مع قبحه ونهي الله عنه ينقص قدرك عند الناس ، ويوجب مقتك عند الله تعالى. واذا اردت ان تعرف ان ثناءك على نفسك لا يزيد في قدرك عند غيرك ، فانظر الى اقرانك اذا أثنوا على انفسهم بالفضل ، كيف يستنكره قلبك ويستثقله طبعك ، وكيف تذمهم عليه اذا فارقتهم. فاعلم انهم ايضا في حال تزكيتك نفسك يذمونك بقلوبهم ناجزا ، ويظهرونه بالسنتهم اذا فارقتهم.

(أ) النجم : ٣٢.

وثاني عشرها : النفاق : والمتناظرون يضطرون اليه فانهم يلقون الخصوم والاقران واتباعهم بوجه متألم وقلب منازع ، وربما يظهرون الحب والشوق الى لقائهم وفرائصهم مرتعدة في الحال من بغضهم ، ويعلم كل واحد من صاحبه انه كاذب فيما يبديه ، مضمر خلاف ما يظهره.

وقد قال (ص) : «اذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل ، وتحابوا بالالسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا في الارحام ، لعنهم الله عند ذلك ، فاصمهم واعمى ابصارهم» . ونسأل الله العافية .

فهذه اثنتا عشرة خصلة مهلكة ، اولها الكبر المحرم للجنة وآخرها النفاق الموجب للنار . والمتناظرون يتفاوتون فيها على حسب درجاتهم ولا ينفك اعظمهم دينا وأكثرهم عقلا من حمل مواد هذه الاخلاق ، وانما غايتهم اخفاؤها ومجاهدة النفس عن ظهورها للناس ؛ وعدم اشتغالهم بدوائها والامر الجامع لها طلب العلم لغير الله تعالى .

وبالجملة ، فالعلم لا يهمل العالم ابدا ، بل اما ان يهلكه ويشقيه ، او يسعده ويقربه من الله تعالى ويدنيه . فان قلت في المناظرة فائدتان :

إحداهما ترغيب الناس في العلم ، اذ لولا حب الرئاسة لاندرست العلوم ، وفي سد بابها ما يفتر[1] هذه الرغبة .

والثانية : ان فيها تشحيذ الخاطر وتقوية النفس لدرك مآخذ العلم . قلنا : صدقت ولم نذكر ما ذكرناه لسد باب المناظرة ، بل ذكرنا لها ثمانية شروط واثنتي عشرة آفة ليراعي المناظر شروطها ويحترز عن آفاتها ثم يستدر فوائدها من الرغبة في العلم [2] وتشحيذ الخاطر . فان كان غرضك انه ينبغي ان يرخص في هذه الآفات وتحتمل باجمعها لاجل الرغبة في العلم وتشحيذ الخاطر ، فبئس ما حكمت . فان الله تعالى ورسوله واصفياءه رغبوا الخلق في العلم بما وعدوا من ثواب الآخرة لا بالرئاسة . نعم

(١) خ : يفترق .

(٢) خ : و ، ساقطة .

الرئاسة باعث طبيعي ، والشيطان موكل بتحريكه والترغيب فيه ، وهو مستغن عن نيابتك عنه ومعاونتك .

واعلم ان من تحركت رغبته في العلم بتحريك الشيطان ، فهو ممن قال فيهم رسول الله (ص) : «ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وباقوام لا[1] خلاق لهم» ومن تحركت رغبته بتحريك الانبياء (ع) وترغيبهم في ثواب الله تعالى ، فهو من ورثة الانبياء وخلفاء الرسل وامناء الله على عباده .

واما تشحيذ الخاطر فقد صدقت ، فليشحذ الخاطر وليمت هذه الآفات التي ذكرناها . فان كان لا يقدر على اجتنابها فليتركه وليلزم المواظبة على العلم وطول التفكر فيه لتصفية[2] القلب من كدورات الاخلاق ، فان ذلك أبلغ في التشحيذ . وقد تشحذت خواطر اهل الدين بدون هذه المناظرة . والشيء اذا كانت له منفعة واحدة وآفات كثيرة ، لا يجوز التعرض لآفاته لأجل تلك المنفعة الواحدة ، بل حكمه في ذلك حكم الخمر والميسر . قال الله تعالى : «يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس»(أ) واثمهما أكبر من نفعهما فحرمهما لذلك وأكد تحريمهما . والله الموفق .

---

(١) خ : الأخلاق .

(٢) م : تصفية .

(أ) البقرة : ٢١٩ .

الباب الرابع

في آداب الكتابة والكتب التي هي آلة العلم

في آداب الكتابة والكتب

وما يتعلق بتصحيحها وضبطها ووضعها وحملها وشرائها واعارتها[1] وغير ذلك ، وفيه مسائل :

الأولى : الكتابة من اجل المطالب الدينية : وأكبر اسبابها الملة الحنيفية من الكتاب والسنة وما يتبعها من العلوم الشرعية ، ويتوقفان عليه من المعارف العقلية ، وهي منقسمة في الاحكام حسب العلم المكتوب . فان كان واجبا على الاعيان فهي كذلك ، حيث يتوقف عليها حفظه . وان كان واجبا على الكفاية فهي كذلك . وان كان مستحبا فكتابته مستحبة ، وهي في زماننا هكذا

بالنسبة الى الكتاب والسنة موصوفة بالوجوب مطلقاً ، اذ لا يوجد من كتب الدين ما يقوم بفرض الكفاية بالنسبة الى الاقطار ، سيما كتب التفسير والحديث ، فان معالمها قد اشرفت على الاندراس وروايات اعلامها قد آذنت بالانتكاس ، فيجب على كل مسلم الاهتمام بحالها كتابة وحفظا وتصحيحا ورواية كفاية .

ومن القواعد المعلومة ان فرض الكفاية اذا لم يقم به من فيه كفاية يخاطب به كل مكلف ويأثم بالتقصير فيه كل مكلف به ، فيكون في ذلك كالواجب العيني الى ان[2] يوجد ما فيه كفاية . وقد ورد مع ذلك في الحث على الكتابة ، والوعد بالثواب الجزيل على فعلها كثير من الآثار .

فمنه عن النبي (ص) انه قال : «قيدوا العلم» . قيل وما تقييده ؟ قال : «كتابته» . وروي ان رجلا من الانصار كان يجلس الى النبي (ص) يستمع منه الحديث فيعجبه ولا يحفظه ، فشكا ذلك الى النبي (ص) فقال له النبي (ص) استعن بيمينك وأومى بيده[3] : اي خُط .

(١) م ، خ : وعاريتها .
(٢) خ : ان ، ساقطة .
(٣) خ : بيده ، ساقطة .

وعن الحسن بن علي (ع) انه دعا بنيه وبني اخته فقال: «انكم صغار قوم ويوشك ان تكونوا كبار قوم آخرين، فتعلموا العلم، فمن لم يستطع منكم ان يحفظه فليكتبه وليضعه في بيته». وعن ابي بصير قال: سمعت ابا عبد الله (ع) يقول: «اكتبوا فانكم لا تحفظون حتى تكتبوا». وعنه (ع) قال: «القلب يتكل على الكتابة». وعن عبيد بن زرارة قال: قال ابو عبد الله (ع): «احتفظوا بكتبكم فانكم سوف تحتاجون اليها». وعن المفضل بن عمر قال: قال لي ابو عبد الله (ع): «اكتب وبثّ علمك في اخوانك، فان متّ فأورث كتبك بنيك، فانه يأتي على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه الا بكتبهم». وروى الصدوق في اماليه باسناده الى النبي (ص) انه قال: «ان المؤمن اذا مات وترك ورقة واحدة عليها علم كانت الورقة سترا فيما بينه وبين النار، واعطاه الله تعالى بكل حرف(١) مدينة اوسع من الدنيا وما فيها، ومن جلس عند العالم ساعة ناداه الملك: «جلست الى عبدي وعزتي وجلالي لاسكننك الجنة معه ولا ابالي».

الثاني: يجب على الكاتب اخلاص النية لله تعالى في كتابته، كما يجب اخلاصها في طلبه العلم، لأنها عبادة وضرب من تحصيل العلم وحفظه. والقصد بها لغير الله تعالى من حظوظ النفس والدنيا كالقصد والعلم. وقد تقدم من ذمه ووعيده ما فيه كفاية ويزيد عنه خيرا او شرا، انه موقع بيده ما يكون يوم القيمة حجة له او عليه فلينظر ما يوقعه ويترتب على خطه ما يترتب من خير أو شر، ومن سنة او بدعة يعمل بها في حياته(٢) وبعد موته دهرا طويلا، فهو شريك في اجر من ينتفع به او وزره، فلينظر ما يسببه.

ويعلم من ذلك ان ثواب الكتابة ربما زاد على ثواب العلم في بعض الموارد بسبب كثرة الانتفاع به ودوامه. ومن هنا جاء تفضيل مداد العلماء على دماء الشهداء حيث ان مدادهم ينفع بعد موتهم ودماء الشهداء لا ينفع بعد موتهم.

---

(١) خ: حرف، ساقطة.

(٢) م: حيوته.

الثالث : ينبغي لطالب العلم ان يعتني بتحصيل الكتب المحتاج اليها في العلوم النافعة ما أمكنه ، بكتابة او شراء والا فباجارة أو اعارة[1] لأنها آلة التحصيل. وكثيرا ما تدرب بها الافاضل في الازمنة السابقة ، وحصل لهم بواسطتها ترقّ زائد على من لم يتمكن منها. ولهم في ذلك اقاصيص يطول الأمر بشرحها ، ولا ينبغي للطالب ان يجعل تحصيلها وجمعها وكثرتها حظه من العلم ونصيبه من الفهم ، بل يحتاج مع ذلك الى التعب والجد والجلوس بين يدي المشايخ ، ولقد احسن القائل :

اذا لم تكن حافظا واعيا
فجمعك للكتب لا ينفع

الرابع : ان لا يشتغل بنسخها ان امكنه تحصيلها بشراء ونحوه ، لأن الاشتغال بتحصيل العلم اهم. نعم لو تعذر الشراء لعدم الثمن او لعزة الكتاب ، فليكتب لنفسه ولا يرضى بالاستعارة مع امكان تملكه ، ومتى آل الحال الى النسخ فليشمِّر له ، فان الله يعينه ولا يضيّع به حظه من العلم ، ولا يفوت الحظ الا بالكسل. ومن ضبط وقته حصل مطلبه. وقد تقدم جملة صالحة في ذلك.

الخامس : يستحب اعارة الكتب لمن لا ضرر عليه فيها ممن لا ضرر منه بها استحبابا مؤكدا ، لما فيه من الاعانة على العلم والمعاضدة على الخير والمساعدة على البر والتقوى مع ما في مطلق الاعارة[2] من الفضل والاجر. وقد قال بعض السلف : بركة العلم اعارة الكتب. وقال آخر : من بخل بالعلم ابتلي باحدى ثلاث[3] : ان ينساه او يموت فلا ينتفع به ، أو يذهب كتبه. وينبغي للمستعير أن يشكر للمعير ذلك لاحسانه ويجزيه خيرا.

السادس : اذا استعار كتابا وجب عليه حفظه من التلف والتعيب ، وان لا يسلط به ولا يطل مقامه عنده ، بل يرده اذا قضى حاجته ، ولا يحبسه اذا استغني

(١) م . خ : عارية.
(٢) م . خ : العارية.
(٣) م . خ : ثلث.

عنه لئلا يفوت الانتفاع به على صاحبه ، ولئلا يكسل عن تحصيل الفائدة منه[1] ، ولئلا يمنع صاحبه من اعارة غيره اياه . واما اذا طلبه المالك حرم عليه حبسه ويصير ضامنا له .

وقد جاء في ذم الابطاء برد الكتب عن السلف اشياء كثيرة نظما ونثرا ، وبسبب حبسها والتقصير في حفظها امتنع غير واحد من اعارتها .

السابع : لا يجوز ان يصلح كتاب غيره ، المستعار او المستأجر بغير اذن صاحبه . ولا يحشيه[2] ولا يكتب شيئا في بياض فواتحه وخواتمه ، الا اذا علم رضى مالكه وهو كما يكتبه المحدث على جزء سمعه . ولا يسوده ولا يعيره غيره ولا يودعه لغير ضرورة حيث يجوز شرعا . ولا ينسخ منه بغير اذن صاحبه ، فان النسخ انتفاع زائد على الانتفاع بالمطالعة واشق ، فان كان الكتاب وقفا على من ينتفع به غير معين ، فلا بأس بالنسخ منه لمن يجوز له امساكه والانتفاع به مع الاحتياط . ولا بأس باصلاحه ممن هو اهل لذلك من الناظر فيه او من يأذن له ، بل قد يجب . فان لم يكن له ناظر خاص فالنظر فيه الى الحاكم الشرعي . واذا نسخ منه باذن صاحبه او ناظره فلا يكتب منه والقرطاس في بطنه ، ولا يضع المحبرة عليه ولا يمر القلم الممدود[*] فوق الكتابة .

وبالجملة فيجب حفظه من كل ما يعد عرفا تقصيرا ، وهو امر زائد على حفظ الانسان كتابه . فقد يجوز فيه ما لا يجوز في المستعار ، خصوصا المتهاون بحفظ الكتب ، فان كثيرا من الناس يمتهن كتابه في الغاية بسبب الطبع البارد ، وهذا الأمر لا يسوغ[3] في المستعار بوجه .

---

(١) الجملة مكررة في م.

(٢) خ : يخشيه.

(٣) خ : اسوغ.

(*) الممدود : الذى فيه مداد.

الثامن : اذا نسخ من الكتاب او طالعه ، فلا يضعه على الأرض مفروشا منشورا ، بل يجعله بين كتابين مثلا او كرسي على الوجه المعروف ، لئلا يسرع تقطيع حبكه وورقة جلده .

التاسع : اذا وضع الكتب مصفوفة ، فلتكن على كرسي او تحت خشب او دف ونحو ذلك ، والأولى ان يكون بينها وبين الارض خلو . ولا يضعها على الأرض كيلا تتندى او تبلى ، واذا وضعها على خشب او نحوه جعل فوقها وتحتها ما يمنع من أكل جلودها به .

وكذلك يجعل بينها وبين ما يصادمها أو يسندها من حائط او غيره . ويراعي الادب في وضع الكتب باعتبار علومها وشرفها وشرف مصنفها ، فيضع الاشرف اعلى[1] الكل ثم يراعي التدريج . فان كان فيها المصحف الكريم جعله اعلى الكل . والأولى ان يكون في خريطة ذات عروة في مسمار او وتد[2] في حائط طاهر نظيف في صدر المجلس . ثم كتب الحديث الصرف ، ثم تفسير القرآن ثم تفسير الحديث ، ثم اصول الدين ثم اصول الفقه ثم الفقه ثم العربية . ولا يضع ذات القطع الكبير فوق ذوات الصغير ، لئلا يكثر تساقطها . ولا يكثر وضع الردة في اثنائه لئلا يسرع تكسرها . وينبغي ان يكتب اسم الكتاب عليه في جانب آخر الصفحات من اسفل ، وفائدته معرفة الكتاب وتيسر اخراجه من بين الكتب .

العاشر : ان لا يجعل الكتاب خزانة للكراريس او غيرها ، ولا مخدة ولا مروحة ولا مكبسا ، ولا مستندا ولا متكأ ، ولا مقتلة للبراغيث وغيرها ، لا سيما في الورق . ولا يطوي حاشية الورقة او زاويتها[3] ، ولا يعلّم بعود او شيء جاف ، بل بورقة لطيفة ونحوها ، واذا أظفر فلا يكبس ظفره قويا .

---

(١) خ . على .
(٢) خ : و ، ساقطة .
(٣) م ، خ : زاويتها .

الحادي عشر: اذا استعار كتابا ينبغي له ان يتفقده عند اخذه ورده. واذا اشترى كتابا يعهد اوله وآخره ووسطه وترتيب أبوابه وكراريسه، ويصفح اوراقه واعتبر صحته. ومما يغلب على ظنه صحته اذا ضاق الزمان عن تفتيشه، ان يرى الحاقا او اصلاحا فانه من شواهد الصحة. حتى قال بعضهم لا يضيء الكتاب حتى يظلم، يريد اصلاحه بالضرب والكشط والالحاق ونحوها.

الثاني عشر: اذا نسخ شيئا من كتب العلم الشرعية، فينبغي ان يكون على طهارة مستقبلا طاهر البدن والثياب والحبر والورق. ويبتدىء الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة على رسوله وآله، وان لم يكن المصنف قد كتبها. لكن ان لم يكن من كلام المصسف اشعر بذلث بآن يقول بعد ذلك: قال المصنف[1] او الشيخ ونحو ذلك، وكذلك[2] يختم الكتاب بالحمد له والصلاة والسلام، بعدما يكتب آخر الجزء الفلاني ويتلوه كذا وكذا ان لم يكن كمل الكتاب. ويكتب اذا كمل «تم» الكتاب الفلاني او الجزء الفلاني، وبتمامه «تم» الكتاب ونحو ذلك ففيه فوائد كثيرة.

وكلما كتب اسم الله تعالى اتبعه بالتعظيم مثل: تعالى او سبحانه او عز وجل. او تقدس ونحو ذلك، ويتلفظ بذلك ايضا. وكلما كتب اسم النبي (ص) كتب بعد الصلاة عليه وعلى آله والسلام ويصلي ويسلم هو بلسانه ايضا. ولا يختصر الصلاة في الكتاب ولا يسأم من تكريرها ولو وقعت في السطر مرارا كما يفعل بعض المحرومين المتخلفين من كتابة صلعم او صلم أو ص، فان ذلك كله خلاف الأولى والمنصوص. بل قال بعض العلماء ان اول من كتب صلعم قطعت يده. واقل ما في الاخلال بأكمالها تفويت الصواب العظيم عليها.

فقد ورد عنه (ص) انه قال: «من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب». واذا مر بذكر احد من الصحابة سيما الاكابر

(١) م: المصن.

(٢) م، خ: كك.

كتب رضي الله عليه ، أو رضوان الله عليه ، أو بذكر أحد من السلف الاعلام كتب رحمه الله ، أو تغمده الله برحمته ، ونحو ذلك.

وقد جرت العادة باختصاص الصلاة والسلام بالانبياء ، وينبغي ان يجعل للأئمة عليهم السلام «السلام»[1] ، وان جاز خلاف ذلك كله ، بل يجوز الصلاة على كل مؤمن كما دل عليه القرآن والحديث. وكتابة ما ذكر من الثناء ونحوه هو دعاء ينشيه لا كلام يرويه ، فلا يتقيد فيه بالرؤية ولا باثبات المصنف[2] بل يكتبه ، وان سقط من الاصل المنقول أو المسموع منه. واذا وجد شيئا من ذلك قد جاءت به الرواية أو مذكورا في التصنيف ، كانت العناية باثباته وضبطه أكثر.

هذا هو الراجح ومختار الأكثر ، وذهب بعض العلماء الى اسقاط ذلك كله من الكتابة مع النطق بذلك ، وينبغي ان يذكر السلام على النبي مع الصلاة عملا بظاهر الآية ، ولو اقتصر على الصلاة لم يكن به بأس.

الثالث عشر: لا يهتم المشتغل بالعلم بالمبالغة في حسن الخط ، وانما يهتم بصحته وتصحيحه ، ويجتنب التعليق جدا ، وهو خلط الحروف التي ينبغي تفريقها. والمشق : وهو سرعة الكتابة مع تغيير[3] الحروف. قال بعضهم : «وزن الخط وزن القراءة». اجود القراءة ابينها ، واجود الخط ابينه. وينبغي ان يجتنب الكتابة الدقيقة لأنه لا ينتفع به ، او لا يكمل الانتفاع به لمن ضعف نظره ، وربما ضعف[4] نظر الكاتب نفسه بعد ذلك فلا ينتفع به.

قال بعض السلف لكاتب رآه يكتب خطا دقيقا : لا تفعل فانه يخونك احوج ما تكون اليه. وقال بعضهم : اكتب ما ينفعك وقت احتياجك اليه ، ولا تكتب ما لا تنتفع به وقت الحاجة ، اي وقت الكبر وضعف البصر. وهذا كله في غير مسودات المصنفين ، فان تأنيهم في الكتابة يفوّت كثيرا من اغراضهم التي هي اهم من تجويد

(١) خ : السلام ، ساقطة.

(٢) م ، خ : المصن.

(٣) م : تعثره.

(٤) خ : ضعف ، ساقطة.

الكتابة. فمن ثم تراها غالبا عسرة القراءة، مشتبكة الحروف والكلمات لسرعة الكتابة، واشتغال الفكر بأمر آخر.

الرابع عشر: قالوا: لا ينبغي ان يكون القلم صلبا جدا فيمنع سرعة الجري، أو رخوا فيسرع اليه الحفى. قال بعضهم: اذا اردت ان تجود خطك فاطل جلفتك[1] واسمنها، وحرّف قطتك وايمنها، ولتكن السكين حادة جدا لبراية الاقلام وكشط الورق، خاصة لا تستعمل في غير ذلك، وليكن ما يقط عليه القلم صلبا، ويحمدون في ذلك القصب[2] الفارسي اليابس جدا، والأبنوس الصلب الصقيل[3]

الخامس عشر: ينبغي ان لا يقرطم الحروف ويأتي بها مشتبهة بغيرها، بل يعطي كل حرف حقه وكل كلمة حقها. ويراعي من الآداب الواردة في ذلك ما روي عن النبي (ص) انه قال لبعض كتابه: الق الدواة وحرف القلم وانصب الباء وفرّق السين ولا تعور الميم وحسّن الله ومدّ الرحمن وجوّد الرحيم. وضع قلمك على اذنك اليسرى فانه اذكر لك. وعن زيد بن ثابت انه قال: قال رسول الله (ص): «اذا كتبت بسم الله الرحمن فبين[4] السين فيه.

وعن ابن عباس انه قال: قال رسول الله (ص): «لا تمد الباء الى الميم حتي ترفع السين». وعن انس قال: قال رسول الله (ص): اذا كتب احدكم بسم الله الرحمن الرحيم فليمد الرحمن. وعنه رضي الله عنه: من كتب بسم الله الرحمن الرحيم فجوّده تعظما لله غفر الله له. وعن أمير المؤمنين (ع): تنوّق رجل في بسم الله الرحمن الرحيم فغفر له. وعن جابر (رض) قال: قال رسول الله (ص): اذا كتب احدكم كتابا فليترّبه فانه انجح.

---

(١) خ: فاطل في القلم، مكان جلفتك.
(٢) خ: القضيب.
(٣) خ: الثقيل.
(٤) م: فتبين.

السادس عشر: كرهوا في الكتابة فصل مضاف اسم الله تعالى منه ، كعبد الله أو رسول الله ، فلا يكتب عبد أو رسول في آخر سطر و« الله » مع ما بعده في أول سطر آخر لقبح الصورة ، وهذه الكراهة للتنزيه ، ويلتحق بذلك أسماء النبي (ص) ، اسماء الصحابة ونحوها ، الموهم لخلل كقوله : سابّ النبي كافر ، فلا يكتب سابّ مثلاً في آخر سطر وما بعده في أول آخر ، و[1] لا اختصاص للكراهة بالفصل بين المتضايفين فغيرهما مما يستقبح فيه الفصل كذلك[2] ، وكذلك كرهوا جعل بعض الكلمة في آخر سطر وبعضها في أول آخر.

السابع عشر: عليه مقابلة كتابه بأصل صحيح موثوق به ، وأولاه ما كان مع مصنفه ثم ما كان مع غيره من أصل بخط المصنف ، ثم بأصل قوبل معه اذا كان عليه خطه ، ثم ما قوبل به مع غيره مما هو صحيح مجرد ، لأن الغرض المطلوب ان يكون كتابه مطابقاً لأصل المصنف. وبالجملة فمقابلة الكتاب الذي يرام النفع منه على اي وجه كان مما يفيد الصحة متعبة[3] ، فينبغي مَزيد الاهتمام بها. وقد قال بعض السلف لابنه : كتبت؟ قال نعم ، قال : عرضت كتابك؟ فقال : لا. قال : لم تكتب.

وعن الاخفش قال : اذا نسخ[4] الكتاب ولم يعارض ثم نسخ ولم يعارض خرج الكتاب أعجمياً. وقد سبقه الخليل بن احمد فقال : اذا نسخ الكتاب ثلاث مرات ولم يعارض يحول بالفارسية. الا ان الاخفش اقتصر على مرتين.

الثامن عشر: اذا صحح الكتاب بالمقابلة ، فينبغي ان يضبط مواضع الحاجة ، فيعجم المعجم ويشكل المشكل ويضبط المشتبه ، ويتفقد مواضع التصحيف. أما ما يفهم بلا نقط وشكل ، فلا ينبغي الاعتناء بنقطه وشكله لأنه اشتغال بما غيره أولى

---

(١) خ : بل ، زائدة.
(٢) م ، خ : كك.
(٣) خ : متعينة.
(٤) خ : انسخ.

منه وتعب بلا فائدة ، وربما يحصل للكتاب به اظلام [1] ولكن ينتفع به المبتدي وكثير من الناس.

وروى حميل بن دراج قال : قال ابو عبد الله (ع) : اعربوا حديثنا فانا قوم فصحاء.

ومن مهات الضبط ما يقع بسببه اختلاف المعنى : كحديث «زكاة [2] الجنين زكاة [2] أمه» ، وكذلك [3] ضبط الملتبس من الاسماء ، اذ هي سماعية ، وان احتاج الى ضبطه في الحاشية قبالته فعل ، لأنه ابعد من الالتباس سيّما عند دقة الخط وضيق الاسطر. واذا أوضحه في الحاشية كتب عليه فيها بيان او حرف «ن» [4].

وقد جرت العادة في ضبط الاحرف بضبط الحروف المعجمة بالنقط ، واما المهملة فلهم في ضبطها طرق : منها ان لا يتعرض لها ويجعل الاهمال علامة عليها ، ولم يرتضه جماعة ، فقد يغفل المعجم سهواً او نحوه فيشتبه بالمهمل.

ومنها ان ينقطها من أسفل بنحو نقط نظيرها المعجم من اعلى فينقط الراء والدال مثلاً من اسفل نقطة ، والسين من اسفل ثلاثاً [5] وهكذا ، واستثني منها الحاء ، فلا ينقط من اسفل لئلا يلتبس بالجيم ، ومنها ان يكتب مثل ذلك الحرف منفرداً ، والاولى ان يكون تحته وان يكون اصغر مما في الاصل.

ومنها أن يكتب على المهمل شكلة صغيرة كالهلال أو كالعلامة مضطجعة على قفاها. ومنها ان يخط عليها خطاً صغيراً وهو موجود في كثير من الكتب القديمة ولا يفطن له كثير لخفائه.

ومن الضبط ان يكتب في باطن الكاف المعلقة كاف صغيرة او همزة ، وفي باطن اللام لام صغيرة.

---

(١) خ : ظلام.

(٢) م : ذكاة.

(٣) م : كك.

(٤) خ : ن ، ساقطة.

(٥) م ، خ : ثلثاً.

التاسع عشر: ينبغي ان يكتب على ما صححه وضبطه في الكتاب وهو في محل شك عند مطالعته، او تطرق احتماله صحة صغيرة. ويكتب فوق ما وقع في التصنيف او في النسخ وهو خطأ كذا صغيرة، ويكتب في الحاشية صوابه[1] كذا ان كان يتحققه، او لعله كذا ان غلب على ظنه انه كذلك[2] او يكتب على ما اشكل عليه ولم يظهر له وجهة صوابه[3] وهي رأس صاد مهملة مختصرة من صح[4]. قال بعضهم ويجوز ان يكون معجمة مختصرة من ضبّة ويكتب فوق الكتابة غير متصلة بها لئلا يظن ضرباً او غيره. فاذا تحققه هو او غيره بعد ذلك وكان المنقول صواباً زاد تلك الصاد حاء فيصير صح. قيل واشاروا الى ان الضبّة نصف صح، وان الصحة لم يكمل فيما هي فوقه مع صحة روايته ومقابلته مثلاً، والى تنبيه الناظر فيه على انه منقب في نقله، غير غافل. فلا يظن أنه غلط فيصلحه، وقد يتجاسر بعضهم فيغير ما الصواب ابقاؤه واستعير لتلك الصورة اسم الضبة لشبهها بضبة الاناء التي يصلح بها خلله بجامع ان كلاً منهما جعل على ما فيه خلل، او بضبّة الباب لكون المحل مقفلاً بها، لا يتجه قراءته كما ان الضبة يقفل بها.

العشرون: اذا وقع في الكتاب زيادة اوكتب فيه شيء على غير وجهه، يخيّر فيه بين ثلاثة[5] أمور: الأول: الكشط، وهو سلخ الورق بسكين ونحوها، ويعبر عنه بالبشر بالباء الموحدة. وبالحك، وسيأتي ان غيره أولى منه، وهو أولى في ازالة نقطة أو شكلة او نحو ذلك.

الثاني: المحو وهو الازالة بغير سلخ ان امكن، بأن تكون الكتابة في ورق صقيل جداً في حال طراوة المكتوب وأمن نفوذ الحبر، وهو أولى من الكشط لأنه اقرب زمناً واسلم من فساد المحل غالباً. ومن الحيل الجيدة عليه لعقه رطباً بخفة ولطافة. ومن هنا قال بعض السلف: من المروة ان يرى[6] في ثوب الرجل وشفتيه مداد.

---

(١) خ: ضوابه.
(٢) م، خ: كلك.
(٣) م، خ: ص
(٤) خ: ضبه.
(٥) م، خ: ثلثه.
(٦) خ: يرث.

والثالث: الضرب عليه وهو اجود من الكشط والمحو، لا سيما في كتب الحديث، لأن كلاً منهما يضعّف الكتاب ويحرك تهمة وربما افسد الورق.

وعن بعض المشايخ انه كان يقول كان الشيوخ يكرهون حضور السكين مجلس السماع حتى لا يبشر شيء، وربما لأنه يصح في رواية اخرى، وقد يسمع الكتاب[1] مرة أخرى على شيخ آخر يكون ما بشر صحيحاً في روايته، فيحتاج الى الحاقه بعد بشره ولو خط عليه في رواية الاول، وصح عند الآخر اكتفي بعلامة الآخر عليه بصحته. وفي كيفية الضرب خمسة أقوال:

ـــاحدها: ان يصل بالحروف المضروب[2] عليها ويخط بها خطاً ممتداً، ويسمى عند المغاربة بالشق، واجوده ما كان دقيقاً بينا يدل على المقصود، ولا يسود الورق ولا يطمس الحروف ولا يمنع قراءة ما تحته.

ـــوثانيها: ان يجعل الخط فوق الحروف منفضلاً عنها منعطفاً طرفاه على اول المبطل وآخره ومثاله هكذا[3].

ـــوثالثها: ان يكتب لفظة «لا» او لفظة «من» فوق اوله ولفظة «الى» فوق آخره. ومعناه من هنا ساقط الى هنا. او لا يصح مثلاً هذا الى هنا. ومثل هذا يحسن فيما صح في رواية وسقط في اخرى. ومثاله هكذا «الى» او هكذا «من ـــ الى».

ـــورابعها: ان يكتب في اول الكلام المبطل وفي آخره نصف دائرة (ومثاله هكذا) فإن ضاق المحل جعله في اعلى كل جانب.

ـــوخامسها: ان يكتب في اول المبطل وفي آخره صفراً، وهو دائرة صغيرة سميت بذلك لخلو ما اشير إليه بها من الصحة كتسمية الحساب لها بذلك لخلوّ موضوعها من عدد مثاله «٥» هكذا «٥». فان ضاق المحل جعل ذلك في اعلى كل جانب.

---

(١) خ: لكتاب.

(٢) خ: والمضروب.

(٣) خ: ، ساقطة.

ومنهم من يصل بين المبطل مكان الخط نقطاً متتالية ، ولو كان المبطل أكثر من سطر فان شئت علّم بما ذكر في الثلاثة[1] الاخيرة من الخمسة في كل سطر وآخره. وان شئت علّم بها في طرف الزائد فقط. واذا تكررت كلمة او اكثر سهواً اضرب على الثانية لوقوع الاولى صواباً في موضعها ، الا اذا كانت الثانية اجود صورة او ادل على القراءة. وكذا اذا كانت الاولى آخر سطر فان الضرب عليها أولى صيانة لاول السطر. واذا كان في المكرر مضاف ومضاف إليه ، او صفة وموصوف او متعاطفان ، او مبتدأ و[2] خبر ، فمراعاة عدم التفريق بين ما ذكرنا والضرب على المتطرف من المتكرر لا على المتوسط ، لئلا يفصل بالضرب بين شيئين بينهما ارتباط ، اولى من مراعاة الاول او الاخير او الاجود ، اذ مراعاة المعاني احق من تحسين الصورة في الخط. واذا ضرب على شيء ثم تبيّن له انه كان صحيحاً واراد عود[3] اثباته كتب في اوله واخره صح صغيرة ، وله ان يكررها عنبه ما لم يؤد الى تسويد الورق ، ويختار التكرار فيما اذا ضرب بالخط المتصل او المنفصل او النقط المتتالية ، وعدمه فيما اذا ضرب بغير ذلك من العلامات. ويحسن حينئذ ان يضرب على العلامة «من» و«لا» و«الى» و«نصف الدائرة» و«الصفر» ويكتب لفظة صح.

الواحد والعشرون : اذا اراد تخريج شيء سقط وتسمى اللحق بفتح الحاء مشتق من اللحاق بالفتح ، اي الادراك ، فليخرجه في الحاشية وهو اولى من جعله بين السطور لسلامته من تضييقها وتغليس ما يقرأ ، سيما اذا كانت السطور ضيقة متلاصقة. وقالوا جهة اليمين لوضع الحواشي اولى ان امكن بأن اتسعت لشرفها ، ولاحتمال سقط آخر فيخرج الى جهة اليسار. فلو خرج الاول الى اليسار ثم ظهر سقط آخر في السطر فان خرج له الى اليسار ايضاً اشتبه محل السقطين بمحل الآخر ، او الى اليمين تقابل طرف التخريجين وربما التقيا لقرب السقطين فيظن ان ذلك ضرب على ما بينهما على ما مر في كيفية الضرب. فالابتداء باليمين وجعله ضابطاً يزيل الاشتباه الا ان يكثر السقط في السطر الواحد وهو نادر.

(١) م ، خ : الثلثة.
(٢) خ : أو.
(٣) خ : عود ، ساقطة.

نعم ان كان الساقط آخر سطر، الحقه بآخره مطلقاً للامن حينئذ وليكن متصلاً بالاصل، ولا يكتبه في أول السطر بعده، ولا يلحقه في الحاشية اليمنى نعم ان ضاق المحل لقرب الكتابة من طرف الورقة او للتجليد خرّج الى الجهة الاخرى وليكن كتب الساقط من اي جهة كان التخريج صاعداً لفوق الى اعلى الورقة لا نازلاً به الى اسفلها لاحتمال تخريج آخر بعده، فلا يجد له محلا مقابله ويجعل رؤوس الحروف الى جهة اليمين، سواء كان في جهة يمين الكتابة ام يسارها، وينبغي ان يحسب الساقط وما يجيء منه من الاسطر قبل ان يكتبها، فان كان سطرين او اكثر جعل السطور اعلى الطرة نازلاً بها الى اسفل بحيث ينهي السطور الى جهة الكتابة ان كان التخريج عن يمينها، وان كان عن يسارها ابتدأ الأسطر من جانب الكتابة بحيث تصل سطوره الى طرف الورقة، فان انتهى الهامش قبل فراغ الساقط أكمل[1] في اعلى الورقة او اسفلها بحسب ما يكون من الجهتين، ولا يوصل الكتابة والاسطر بحاشية الورقة من اي جهة كانت، بل يدع مقداراً يحتمل الحك عند حاجته مرات، ثم كيفية التخريجة للساقط ان يجعل في محله من السطر خطاً صاعداً الى تحت السطر الذي فوقه منعطفاً قليلاً الى جهة التخريج من الحاشية ليكون اشارة إليه.

واختار جماعة من العلماء ان يصل بين الخط واول الساقط بخط ممتد بينهما، وهو غير مرضي عند الباقين لاشتماله على تسويد الكتاب، سيما ان كثر التخريج. نعم ان لم يكن ما يقابل محل السقوط خالياً واضطر الى كتابته بمحل آخر، اختير مد الخط الى اول الساقط، او كتب قبالة المحل يتلوه كذا في المحل الفلاني، او نحوه مما يزيل اللبس. واذا كتب الساقط في التخريج فانتهى منه كتب في آخره صح وتصغيرها اولى. وبعضهم يكتب «صح رجع» وبعضهم يقتصر على «رجع».

الثاني والعشرون: اذا صحح الكتاب على الشيخ او في المقابلة علّم على موضع وقوفه يبلغ او بلغت او بلغ الغرض[2] او نحو ذلك مما يفيد معناه، وان كان ذلك بخط الشيخ فهو اولى ففيه فوائد خمسة، من اهمها الوثوق بالنسخة والاعتماد عليها على تطاول الازمنة، اذا كان الشيخ او المقابل معروفاً بالثقة والضبط، فان ذلك مما

(١) م: كمل.

(٢) م، خ: العرض.

يحتاج إليه سيما في هذا الزمان لضعف الهمة وفتور العزيمة في الازمنة المقاربة لزماننا[1] عن مباشرة التصحيح والضبط خصوصا لكتب الحديث، فالاعتماد على تصحيح الثقات السابقين مع الاجتهاد في تحقيق الحق بحسب الامكان.

الثالث والعشرون: ينبغي ان يفصل بين كل كلامين او حديثين بدائرة او قلم غليظ، ولا يوصل الكتابة كلها على طريقة واحدة لما فيه من عسر استخراج المقصود ويضيع الزمان فيه. ورجحوا الدائرة على غيرها وعمل عليها غالب المحدثين. واختار بعضهم اغفال الدائرة حتى يقابل. وكل كلام يفرغ منه ينقط في الدائرة التي تليه نقطة، وفي المقابلة الثانية ثانية وهكذا.

الرابع والعشرون: لا بأس بكتابة الحواشي والفوائد والتنبيهات المهمة على غلط، او[2] اختلاف رواية او نسخة او نحو ذلك على حواشي كتاب يملكه او لا يملكه بالاذن، ولا يكتب في آخر ذلك «صح» ويخرج لها باعلى وسط كلمة المحل التي كتبت الحاشية لاجلها، لا بين الكلمتين. او يجعل بدل التخريجة اشارة بالصدى. وكل ذلك ليتميز هذا عن تخريج الساقط في الاصل.

وبعضهم يكتب على اول المكتوب من ذلك حاشية او فائدة مثلاً او صورة حشه؟. وبعضهم يكتب ذلك في آخره. ولا ينبغي ان يكتب الا الفوائد المهمة المتعلقة بذلك المحل، ولا يسوده بنقل المباحث والفروع الغريبة كما اتفق لبعض غفلة اهل هذا العصر الذين لم يقفوا على مصطلح العلماء، فأفسدوا اكثر الكتب. ولا ينبغي الكتابة بين الاسطر (مطابق)[3].

الخامس والعشرون: ينبغي كتابة التراجم والابواب والفصول ونحو ذلك بالحمرة ونحوها. فانه اظهر في البيان وفي فواصل الكلام. ولك في كتابة شرح ممزوج بالمتن ان تميز المتن بكتابته بالحمرة او تخط عليه بها خطاً منفصلاً عنه، ممتداً عليه كالصورة

---

(١) خ: لزمننا.

(٢) خ: و.

(٣) م، خ: مط.

الثانية من صور الضرب المارة، لكي تميزه عن الضرب بترك انعطاف الخط من طرفيه. وكتابة جميع المتن بالحمرة اجود لأنه قد يمزج بحرف واحد، وقد تكون الكلمة الواحدة بعضها متن وبعضها شرح فلا يوضح ذلك بالخط ايضاحه بالحمرة والله الموفق.

الخاتمة

المطلب الأول :

في أقسام العلوم الشرعية .
في أقسام العلوم الفرعية .

المطلب الثاني :

في مراتب أحكام العلم الشرعي .
في ترتيب العلوم بالنظر إلى المتعلم .

وأما الخاتمة فتشتمل على مطالب مهمة:

المطلب الأول: في أقسام العلوم الشرعية.

في أقسام العلوم الشرعية وما يتوقف عليه من العلوم العقلية والادبية وفيه فصلان:

١ — الأول: في أقسام العلوم الشرعية الأصلية وهي أربعة:

— علم الكلام،
— وعلم الكتاب العزيز،
— وعلم الاحاديث النبوية،
— وعلم الاحكام الشرعية المعبر عنها بالفقه.

— علم الكلام:

فاما علم الكلام ويعبر عنه بأصول الدين فهو اساس العلوم الشرعية وقاعدتها، لأن به يعرف الله ورسوله وخليفته وغيرهما مما يشتمل عليه. وبه يعرف صحيح الآراء من فاسدها وحقها من باطلها. وقد جاء في الحث على تعليمه وفضله كثير من الكتاب والسنة. قال الله تعالى: «فاعلم أنه لا إله الا الله» (أ). وقال تعالى: «اولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق»(١) (ب)، وقال تعالى: «أولم ينظروا في ملكوت السماوات والارض (٢) وما خلق الله من شيء» (ج)، ومرجع ذلك الى الامر بالنظر والاستدلال بالصنعة المحكمة، والآثار المتقنة على الصانع الواحد القادر العالم الحكيم.

---

(١) م: وما بينهما الا بالحق، ساقطة.

(٢) م: وقال تعالى: او لم ينظروا في ملكوت السموات والارض، ساقطة.

(أ) محمد: ١٩.

(ب) الروم: ٨.

(ج) الأعراف: ١٨٤

وعن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله (ص) : «ما قلت ولا قال القائلون قبلي مثل «لا إله الا الله» . وعن أبي عبد الله (ع) عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله (ص) «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة» . وعنه عن آبائه عن علي (ع) في قول الله عز وجل : «هل جزاء الاحسان الا الاحسان» . قال علي (ع) : سمعت رسول الله (ص) يقول : «ان الله عز وجل قال ما جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد الا الجنة» . وعن ابن عباس قال : جاء اعرابي الى النبي (ص) فقال : يا رسول الله : علمني من غرائب العلم ، قال : ما صنعت في رأس العلم حتى تسأل عن غرائبه ؟ قال الرجل : ما رأس العلم يا رسول الله ؟ قال : معرفة الله حق معرفته . قال الاعرابي : وما معرفة الله حق معرفته ؟ قال : تعرفه بلا مثل ولا شبه ولا ند وانه واحد احد ، ظاهر باطن ، اول آخر ، لا كفؤله ولا نظير ، فذلك حق معرفته . والاثر في ذلك عن اهل البيت (ع) كثير جداً ، ومن اراده فليقف على كتابي التوحيد للكليني والصدوق بن بابويه رحمهما الله تعالى .

ـــ علم الكتاب :

واما علم الكتاب فقد استقر الاصطلاح فيه[١] على ثلاثة[٢] فنون قد افردت بالتصنيف وأطلق عليها اسم العلم .

احدها علم التجويد : وفائدته معرفة اوضاع حروفه وكلماته مفردة ومركبة ، فيدخل فيه معرفة مخارج الحروف وصفاتها ومدها واظهارها واخفائها وادغامها وامالتها وتفخيمها ونحو ذلك .

وثانيها علم القراءات : وفائدته معرفة الوجوه الإعرابية والبنائية التي نزل القرآن بها ونقلت عن النبي (ص) تواتراً ، ويندرج فيه بعض ما سبق في الفن الاول ، وقد يطلق عليهما علم واحد ويجمعهما تصنيف واحد .

---

(١) خ : وفيه .

(٢) م ، خ : ثلثه .

وثالثها علم التفسير : وفائدته معرفة معانيه واستخراج احكامه وحكمه ليترتب عليه استعماله في الاحكام والمواعظ والامر والنهي وغيرها ، ويندرج فيه غالباً معرفة ناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه وغيرها .

وقد يفرد الناسخ والمنسوخ ، ويخص بعلم آخر ، الا ان أكثر التفاسير مشتملة على المقصود منهما . وقد ورد في فضله وآدابه والحث على تعلمه اخبار كثيرة وآثار . فروي عن ابن عباس مرفوعاً في قوله تعالى : «يؤتي الحكمة من[1] يشاء و[2] من يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً[3] كثيراً» (أ) ، قال : الحكمة القرآن وروي عنه يعني تفسيره فانه قد قرأه البر والفاجر . وعنه (رض) في تفسير الآية انه قال : الحكمة المعرفة بالقرآن ناسخه ومنسوخه ، ومحكمه ومتشابهه ، ومقدمه ومؤخره ، وحلاله وحرامه ، وأمثاله .

وقال النبي (ص) : «اعربوا القرآن والتمسوا غرائبه» . وعن أبي عبد الرحمن السلمي قال : حدثنا من كان يقربنا من الصحابة ، انهم كانوا يأخذون من رسول الله (ص) عشر آيات ، فلا يأخذون في العشر الاخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل . وعن ابن عباس قال : «الذي يقرأ[4] القرآن ولا يحسن تفسيره كالاعرابي يهذ * الشعر هذاً . وعن النبي (ص) : «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار» . وقال (ص) : «من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ» . وقال (ص) : «من قال في القرآن بغير ما يعلم جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار» . وقال (ص) : «أكثر ما اخاف على امتي من بعدي رجل يتناول القرآن يضعه على غير مواضع» وعن ابي عبد الله (ع) قال : «قال ابي :ما ضرب رجل القرآن بعضه ببعض الا كفر» ، يعني تفسيره برأيه من غير علم . وقد تقدم حديث العلامة الذي قال[5] للنبي : انه اعلم الناس بانساب العرب ووقائعها وايام الجاهلية والاشعار

(١) خ : ومن .
(٢) خ : و ، ساقطة .
(٣) خ : خير .
(٤) م ، خ : يقرء .
(٥) م ، خ : قيل .

(أ) البقرة : ٢٦٩ .
(*) يهذ . يهذ الشعر ، أي يُكثر منه في خطأ

العربية ، فقال النبي (ص) ذاك علم لا يضر من جهله ولا ينفع من علمه. ثم قال (ص) : «انما العلم ثلاثة[1] · آية محكمة ، او فريضة عادلة ، او سنة قائمة ، وما سواهن فهو فضل». والكلام في جملة ذلك مما يطول ويخرج عن وضع الرسالة فلنقتصر منه على هذا القدر.

ـ علم الحديث :

واما علم الحديث فهو اجلّ العلوم قدراً ، وأعلاها رتبةً وأعظمها مثوبةً بعد القرآن. وهو ما اضيف الى النبي (ص) او الى الأئمة المعصومين (ع) قولاً او فعلاً او تقريراً او صفة. حتى الحركات والسكنات واليقظة والنوم. وهو ضربان : رواية ودراية.

فالاول العلم بما ذكر ، والثاني وهو المراد بعلم الحديث عند الاطلاق. وهو علم يعرف به معاني ما ذكر ومتنه وطرقه وصحيحه وسقيمه ، وما يحتاج إليه من شروط الرواة واصناف المرويات ، ليعرف المقبول منه والمردود ليعمل به او يجتنب. وهو افضل العلمين ، فان الغرض الذاتي منهما هو العمل ، والدراية هي الشبه القريب له.

قد روي عن الصادق (ع) انه قال : خبر تدريه خير من ألف ترويه. وقال (ع) : عليكم بالدرايات لا الروايات. وعن طلحة بن زيد قال : قال ابو عبد الله (ع) : رواة الكتاب كثير ورعاته قليل ، فكم مستنسخ للحديث مستغش للكتاب والعلماء يحزنهم الدراية والجهال يحزنهم الرواية.

ومما جاء في فضل علم الحديث من الاخبار والآثار قول النبي (ص) : ليبلغ الشاهد الغائب ، فان الشاهد عسى ان يبلغ من هو اوعى له منه. وقوله (ص) : نضّر الله امرأ سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره[2] ، فرب حامل فقه الى من هو

---

(١) م ، خ : ثلثة.

(٢) خ : غيرِ.

افقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه . وقوله (ص) : «من ادى الى امتي حديثاً يقام به سنّة ، او يثلم به بدعة فله الجنة» . وقوله (ص) : «رحم الله خلفائي» ، قلنا : ومن خلفاؤك؟ قال : الذين يأتون من بعدي فيروون احاديثي ويعلمونها الناس . وقوله (ص) : من حفظ على امتي اربعين حديثاً من امر دينها بعثه الله يوم القيامة فقيهاً ، وكنت له شافعاً وشهيداً .

هذا ما ورد من ألفاظ هذا الحديث . وقواه (ص) : «من يعلم حديثين اثنين ينفع بهما نفسه او يعلمها غيره فينتفع بهما ، كان خيراً من عبادة ستين سنة» . وقوله (ص) : من رد حديثاً بلغه عني فانا مخاصمه يوم القيامة[1] ، فاذا بلغكم عنّي حديث لم تعرفوه فقولوا الله اعلم . وقوله (ص) : «من كذب عليّ متعمداً أو ردَّ شيئاً أمرت به فليتبوأ بيتاً في جهنم» وقوله (ص) : «من بلغه عني حديث فكذب به فقد كذب ثلاثة[2] : الله ورسوله والذي حدّث به» . وقوله (ص) : تذاكروا وتلاقوا وتحدثوا ، فان الحديث جلاء القلوب ، ان القلوب ليرين كما يرين السيف جلاؤه» الحديث . وروى علي بن حنظلة قال : سمعت ابا عبد الله (ع) يقول : اعرفوا منازل الناس على قدر روايتهم عنا . وعن ابي عبد الله (ع) قال : ان العلماء ورثة الانبياء ، ذاك ان الانبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً ، وانما ورثوا احاديث من احاديثهم ، فمن اخذ بشيء منها فقد اخذ حظاً وافراً ، فانظروا علمكم هذا عمن تأخذونه ، فان فينا اهل البيت في كل خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين .

وعن معاوية بن عمار قال : قلت لأبي عبد الله رجل راوية لحديثكم يبث ذلك في الناس ويسدّده في قلوبهم وقلوب شيعتكم ، ولعل عابداً ليست له هذه الرواية ايهما افضل؟ قال : الراوية لحديثنا يشد به قلوب شيعتنا افضل من الف عابد . وعن ابي بصير قال : قلت لابي عبد الله (ع) : قول الله جل ثناؤه : «الذين يسمعون[3]

---

(١) خ : القيمة .

(٢) م ، خ : ثلثة .

(٣) م : يستمعون .

القول فيتبعون احسنه » ، قال هو الرجل يسمع الحديث فيحدث به كما يسمعه ، لا يزيد فيه ولا ينقص منه . وعن ابي عبد الله (ع) قال : قال امير المؤمنين (ع) : « اذا حدثتم بحديث فاسندوه الى الذي حدثكم فان كان حقاً فلكم وان كان كذباً فعليه » .

وروى هشام بن سالم وحماد بن عثمان وغيرهما قالوا : سمعنا ابا عبد الله (ع) يقول : «حديثي حديث ابي ، وحديث ابي حديث جدي ، وحديث جدي حديث الحسين ، وحديث الحسين حديث الحسن ، وحديث الحسن حديث امير المؤمنين ، وحديث امير المؤمنين حديث رسول الله (ص) ، وحديث رسول الله (ص) قول الله عز وجل» .

— **الفقه** :

وأما الفقه وأصله[1] في اللغة الفهم ، او فهم الاشياء الدقيقة ، وفي الاصطلاح علم بحكم شرعي فرعي مكتسب من دليل تفصيلي ، سواء كان من نصه او استنباطاً[2] . وفائدته امتثال اوامر الله تعالى واجتناب نواهيه المحصلان للفوائد الدنيوية والاخروية .

ومما ورد في فضله وآدابه خبر : من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين . وخبر فقيه اشد على الشيطان من الف عابد . وقوله (ص) : خصلتان لا تجتمعان في منافق : حسن سمت وفقه في الدين . وقوله (ص) : «أفضل العبادة الفقه وأفضل الدين الورع» . وخبر أبي سعيد : كان النبي (ص) وأصحابه اذا جلسوا كان حديثهم الفقه ، الا ان يقرأ رجل سورة او يأمر رجلاً بقراءة سورة .

وروى حماد بن عثمان عن ابي عبد الله (ع) قال : اذا اراد الله بعبد خيراً فقهه في الدين . وروى بشير الدهان قال : قال ابو عبد الله (ع) : لا خير فيمن لا يتفقه من اصحابنا يا بشير ، ان الرجل منهم اذا لم يستغن بفقهه احتاج إليهم ، فاذا احتاج إليهم أدخلوه في باب ضلالتهم وهو لا يعلم . وعن المفضل بن عمر قال : سمعت ابا

---

(١) خ : واصل .
(٢) خ : استنباطه .

عبد الله يقول : «عليكم بالتفقه في دين الله ولا تكونوا أعراباً ، فانه من لم يتفقه في دين الله لم ينظر الله إليه يوم القيامة ولم يزكِّ له عملاً» . وروى ابان بن تغلب عنه (ع) انه قال : (لوددْت ان اصحابي ضربت رؤوسهم بالسياط حتى يتفقهوا)[1] وروي عنه[2] انه قال له رجل : جعلت فداك ، رجل عرف هذا الامر لزم بيته ولم يتعرف الى احد من اخوانه قال : فقال كيف يتفقه هذا في دينه .

وعن علي بن حمزة قال : سمعت ابا عبد الله (ع) يقول : تفقهوا في الدين فانه من لم يتفقه منكم في الدين فهو أعرابي ، ان الله يقول في كتابه : «ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون» (أ). وعن ابي جعفر (ع) قال : «الكمال كل الكمال التفقه في الدين والصبر على النائبة وتقدير المعيشة» . وروى سليمان بن خالد عن ابي عبد الله (ع) انه قال : ما من احد يموت من المؤمنين احب الى ابليس من موت فقيه . وعنه (ع) قال:اذا مات المؤمن الفقيه ثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها شيء . وعن علي بن ابي حمزة قال : سمعت ابا الحسن موسى بن جعفر (ع) يقول : اذا مات المؤمن بكت عليه الملائكة وبقاع الأرض التي كان يعبد الله عليها ، وأبواب السماء التي كان يصعد فيها باعماله،وثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها شيء ، لأن المؤمنين الفقهاء حصون الاسلام كحصن سور المدينة لها . وعن ابي عبد الله (ع) قال : لا يسع [3] الناس حتى يسألوا ويتفقهوا ويعرفوا إمامهم ويسعهم أن يأخذوا بما يقول وإن كانت تقية . فهذه نبذة من الأخبار المختصة بالعلوم الشرعية مضافة إلى ما ورد في مطلق العلم ، وقد تقدم جملة منه .

---

(١) ما بين القوسين ساقط في م.

(٢) وروى عنه ، ساقطة في م.

(٣) م : يسع .

(أ) التوبة : ١٢٢ .

في أقسام العلوم الفرعية.

وهي التي تتوقف معرفة العلوم الشرعية عليها ، اما المعرفة بالله تعالى وما يتبعه فلا يتوقف صنل تحققه على شيء من العلوم ، بل يكفي فيه مجرد النظر ، وهو امر عقلي يجب على كل مكلف. وهو اول الواجبات بالذات ، وان كان الخوض في مباحثه وتحقيق مطالبه ودفع شبه المبطلين فيه يتوقف على بعض العلوم العقلية كالمنطق وغيره .

واما الكتاب العزيز فانه بلسان عربي مبين ، فتتوقف معرفته على علوم العربية من النحو والتصريف والاشتقاق والمعاني والبيان والبديع ولغة العرب واصول الفقه ، ليعرف به حكم عامة وخاصه ومطلقه ومقيده ومحكمه ومتشابهه وغيرها من ضروبه . فمعرفة ما يتوقف عليه من هذه العلوم واجب كوجوبه . فان كان عينياً فهي عينية ، وان كان كفائياً فهي كفائية . وسيأتي تفصيله إن شاء الله تعالى .

واما الحديث النبوي فالكلام فيه كالكلام في الكتاب وعلومه علومه . ويزيد الحديث عنه بمعرفة أحوال رواته ، من حيث الجرح والتعديل ، ليعرف ما يجب قوله منها وما يجب رده ، وهو علم خاص بالرجال .

واما الفقه فتوقف معرفته على جميع ما ذكر من العلوم الفرعية والاصلية .

واما الكلام فتتوقف معرفة الشرع على شارحه وعدله وحكمته ومعرفة مبلّغه وحافظه .

واما الكتاب ففيه نحو خمسماية آية تشتمل على احكام شرعية ، فلا بد من معرفتها لمن يريد التفقه بطريق الاستدلال .

واما الحديث فلا بد من معرفة ما يشمل منه على الاحكام ليستنبطها منه ومن الآيات القرآنية . فان لم يمكن استنباطها منهما رجع الى بقية الادلة التي يمكن استفادتها منها من الاجماع ودليل الغقل على الوجه المقرر في اصول الفقه .

والمنطق آلة شريفة لتحقيق الأدلة مطلقاً ومعرفة الموصل منها الى المطلوب من غيره .

فهذه علوم تتوقف عليها العلوم الشرعية. وجملة ما يتوقف عليه الفقه اثنا عشر، وهي ترجع بحسب ما استقر عليه تدوين العلماء الى ثمانية. فان علم الاشتقاق قد ادرج في اصول الفقه غالباً وفي بعض العلوم العربية وعلم المعاني والبيان والبديع قد صار علماً واحداً في اكثر الكتب الموضوعة لها، والتصريف داخل مع النحو في اكثر الكتب، وقلّ من افرده علماً، خصوصاً كتب المتقدمين فتدبر ذلك موفقاً.

المطلب الثاني: في مراتب أحكام العلم الشرعي

في مراتب احكام العلم الشرعي وما الحق به، وهي ثلاثة: فرض عين، وفرض كفاية وسنّة.

فالاول: ما لا يتأدى الواجب عيناً الا به، وعليه حمل حديث طلب العلم فريضة على كل مسلم، وهو يرجع الى اعتقاد وفعل وترك. فالاول اعتقاد كلمتي الشهادتين وما يجب لله ويمتنع عليه، والاذعان بالامامة للامام، والتصديق بما جاء به النبي (ص) من احوال الدنيا والآخرة مما ثبت عنه تواتراً كل ذلك بدليل يسكن النفس إليه ويحصل به الجزم. وما زاد على ذلك من ادلة المتكلمين والخوض في دقائق الكلام فهو فرض كفاية لصيانة الدين ودفع شبه المبطلين.

وأما الفعل فتعلم واجب الصلاة عند التكليف بها، ودخول وقتها او قبله، بحيث يتوقف التعلم عليه. ومثلها الزكاة والصوم والحج والجهاد والامر بالمعروف.

وأما باقي ابواب الفقه من العقود والايقاعات، فيجب تعلم احكامها حيث يجب على المكلف بأحد الأسباب المذكورة في كتب الفقه والا فهي واجبة كفاية، ومنه تعلم ما يحل ويحرم من المأكول والمشروب والملبوس ونحوها مما لا غنى عنه. وكذلك احكام عشرة النساء لمن له زوجة وحقوق المماليك لمن له شيء منها.

وأما الترك فيدخل في بعض ما ذكر ليجتنب[1] ومما يلحق به، بل هو اهمه كما اسلفناه في صدر الكتاب تعلم مما يحصل به تطهير القلب من الصفات المهلكة،

(١) م: ليتجنب.

كالرياء والحسد والعجب والكبر ونحوها مما تحقق في علم آخر مفرد، وهو من اجلّ العلوم قدراً، الا انه قد اندرس بحيث لا يكاد يرى له اثر ولا توقف. تعلم بعض هذه الواجبات على الاشتغال به قبل البلوغ لضيق وقته بعده ونحوه وجب على الولي تعليم الولد ذلك قبله من باب الحسبة، بل ورد الامر بتعليم مطلق الأهل ما يحصل به النجاة من النار.

قال الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا قوا انفسكم وأهليكم ناراً» (أ) قال علي (ع) وجماعة من المفسرين معناه علموهم ما ينجون به من النار. وقال (ص): «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

(الثاني): وأما فرض الكفاية فما لا بد للناس منه في اقامة دينهم من العلوم الشرعية، كحفظ القرآن والاحاديث وعلومها، والفقه والاصول والعربية ومعرفة رواة الحديث والاجماع، وما يحتاج إليه في قوام امر المعاش كالطب والحساب وتعلم الصنايع الضرورية، كالخياطة والفلاحة حتى الحجامة ونحوها.

فرع: قال بعض العلماء: فرض الكفاية افضل من فرض العين لأنه يصان بقيام البعض به جميع المكلفين عن اثمهم المترتب على تركهم له، بخلاف فرض العين فانما يصان به عن الاثم القائم به فقط.

(الثالث): واما السنة فكتعلم نفل[1] العبادات والآداب الدينية ومكارم الاخلاق وشبه ذلك وهو كثير. ومنه تعلم الهيئة للاطلاع على عظمة الله تعالى وما يترتب عليه من الهندسة وغيرها.

وبقي علوم اخر بعضها محرم (ط) كالسحر والشعبذة وبعض الفلسفة، وكل ما يترتب عليه اثارة الشكوك. وبعضها محرم على وجه دون آخر، كأحكام النجوم والرمل، فانه يحرم تعلمها مع اعتقاد تأثيرها وتحقيق وقوعها، وتباح مع اعتقاد كون

---

(١) م: تفل.

(أ) التحريم: ٦.

الامر مستنداً[١] الى الله تعالى، وانه اجرى العادة بكونها سبباً في بعض الآثار وعلى سبيل التفاؤل[٢]. وبعضها مكروه كاشعار المولّدين المشتملة على الغزل وتزجية الوقت والبطالة وتضييع العمر بغير فائدة.

وبعضها مباح كمعرفة التواريخ والوقايع والاشعار الخالية[٣] عما ذكر مما لا يدخل في الواجب، كأشعار العرب العاربة[٤] التي تصلح للاحتجاج بها في الكتاب والسنة فانها ملحقة باللغة. وباقي العلوم من الطبيعي والرياضي والصناعي اكثره موصوف بالاباحة بالنظر الى ذاته. وقد يمكن جعله مندوباً لتكميل النفس واعدادها لغيره من العلوم الشرعية، بتقويتها في القوة النظرية وقد يكون حراماً اذا استلزم التقصير في العلم الواجب عيناً او كفايةً، كما يتفق كثيراً في زماننا هذا لبعض المحرومين الغافلين عن حقائق الدين.

ومن هذا الباب الاشتغال في العلوم التي هي آلة العلم الشرعي زيادة عن القدر المعتبر منها في الآلية، مع وجوب الاشتغال بالعلم الشرعي لعدم قيام من فيه هذه الكفاية به ونحوه.

ولتحرير اقسام العلوم وبيان احكامها على التفصيل محل آخر فان ذكره هنا يخرج عن موضوع الرسالة.

واعلم ان تخصيص العلوم الأربعة بالشرعية مصطلح جماعة من العلماء وربما خصه بعضهم بالثلاثة[٥] الأخيرة. ويمكن رد كل علم واجب او مندوب إليه ولا حرج في ذلك فانه مجرد اصطلاح لمناسبة والله اعلم.

---

(١) خ: مستند.
(٢) م، خ: التفأل.
(٣) خ: الخيالية
(٤) خ: العاربة.
(٥) م، خ: بالثلثه.

في ترتيب العلوم بالنظر الى المتعلم .

اعلم ان لكل من هذه العلوم مرتبة من التعلم لا بد لطالبه من مراعاتها لئلا يضيع سعيه او يعسر عليه طلبه ، وليصل الى بغيته بسرعة . وكم قد رأينا طلاباً للعلم سنين كثيرة لم يحصلوا منه الا على القليل ، وآخرين حصلوا منه كثيراً في مدة قليلة بسبب مراعاة[1] ترتيبه وعدمه .

وليعلم ايضاً ان الغرض الذاتي ليس هو مجرد العلم بهذه العلوم بل الغرض موافقة مراد الله تعالى منها ، اما بالآلية او بالعلم او بالعمل ، او باقامة نظام الوجود ، او ارشاد عباده الى ما يراد منهم ، او غير ذلك من المطالب . وبسبب ذلك يختلف ترتيب التعلم .

فمن كان تعلمه في ابتداء امره وريعان شبيبته وهو قابل للترقي الى مراتب العلوم ، والتأهل للتفقه في الدين بطريق الاستدلال والبراهين ، فينبغي ان يشتغل في اول امره بحفظ كتاب الله تعالى ، وتجويده على الوجه المعتبر ليكون مفتاحاً صالحاً معيناً ناجحاً ، وليستنير القلب به ويستعد بسببه الى درك باقي العلوم .

فاذا فرغ منه اشتغل بتعلم العلوم العربية ، فانها اول آلات الفهم واعظم اسباب العلم الشرعي . فيقرأ[2] اولاً علم التصريف ويتدرج في كتبه من الاسهل الى الاصعب والأصغر الى الاكبر، حتى يتقنه ويحيط به علماً . ثم ينتقل الى النحو فيشتغل فيه على هذا النهج ، ويزيد فيه بالجد والحفظ ، فان له اثراً عظيماً في فهم المعاني ومدخلاً جليلاً في اتقان الكتاب والسنة لأنهما عربيان . ثم ينتقل منه الى بقية العلوم العربية .

فاذا فرغ منها اجمع اشتغل بالمنطق وحقق مقاصده على النمط الاوسط ، ولا يبالغ فيه مبالغته في غيره لأن المقصود منه يحصل بدونه وفي الزيادة تضييع للوقت غالباً .

---

(١) خ : مراعات .

(٢) م : فيقرء .

ثم ينتقل منه الى علم الكلام ويتدرج فيه كذلك ويطلع على طبيعياته ، ليحصل له بذلك ملكة البحث والاطلاع على مزايا العوالم وخواصها.

ثم ينتقل الى اصول الفقه متدرجاً[1] في كتبه ومباحثه كذلك ، وهذا العلم اولى العلوم بالتحرير واحقها بالتحقيق بعد علم النحو لمن يريد التفقه في دين الله ، فلا يقتصر منه على القليل. فبقدر ما يحققه يتحقق عنده المباحث الفقهية والادلة الشرعية.

ثم ينتقل منه الى علم دراية الحديث ، فيطالعه ويحيط بقواعده ومصطلحاته ، وليس من العلوم الدقيقة وانما هو اصطلاحات مدونة وفوائد مجموعة ، فاذا وقف على مقاصده انتقل الى قراءة[2] الحديث بالرواية والتفسير والبحث والتصحيح ، على حسب ما يقتضيه الحال ويسعه الوقت. ولا اقل من اصل منه يشتمل على ابواب الفقه ، واحاديثه.

ثم ينتقل منه الى البحث عن الآيات القرآنية المتعلقة بالاحكام الشرعية ، فقد افردها العلماء (رض) بالبحث وخصوصاً بالتصنيف ، فليطالع فيها كتاباً وليبحث عن اسرارها ، و يمعن[3] النظر في كشف اغوارها ، فليس لها حد يقف عليها الافهام ، اذ ليست كغيرها من كلام الانام ، وانما هي كلام الملك العلام ، وفهم الناس لها حسب ما يصل اليه عقولهم وتدركه افهامهم ، فاذا فرغ منها انتقل الى قراءة[4] الكتب الفقهية ، فيقرأ[5] منها اولاً كتابا يطلع فيه على مطالبه ورؤوس مسائله وعلى مصطلحات الفقهاء وقواعدهم. فانها لا يكاد يستفاد الا من افواه المشايخ بخلاف غيره من العلوم

ثم يشرع ثانياً في قراءة[6] كتاب آخر بالبحث والاستدلال ، واستنباط[7] الفرع

---

(١) خ : متدرجان.
(٢) م ، خ : قرائه.
(٣) خ : و ، ساقطة.
(٤) م ، خ : قرائة.
(٥) خ : فيقرء.
(٦) م ، خ : قرائة.
(٧) خ : والاستنباط.

من اصوله ورده الى ما يليق به من العلوم ، واستفادة الحكم من كتاب او سنة من جهة النص والاستنباط من عموم لفظه[1] او اطلاقه ، ومن حديث صحيح او حسن او غيرهما ، ليتدرب على هذه المطالب على التدريج . فليس من العلوم شيء اشد ارتباطاً بغيره ولا اعم احتياجاً إليها منه ، فليبذل فيه جهده وليعظم فيه جده[2] ، فانه المقصد الاقصى والمطلب الاسنى ووراثة[3] الانبياء .

ولا يكفي ذلك كله الا بهبة من الله تعالى إلٓهية ، وقوة منه قدسية يوصله الى هذه البغية ويبلغه هذه الرتبة ، وهي العمدة في فقه دين الله تعالى ولا حيلة للعبد فيها ، بل هي منحة إلٓهية ونفحة ربانية يخص بها من يشاء من عباده ، الا ان للجد والمجاهدة والتوجه الى الله تعالى والانقطاع إليه اثراً بيناً في افاضتها من الجانب القدسي «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين» (أ).

فاذا فرغ من ذلك كله شرع في تفسير الكتاب العزيز بأسره . فكل هذه العلوم له مقدمة ، واذا وفق له فلا يقتصر على ما استخرجه المفسرون بانظارهم فيه ، بل يكثر من التفكر في معانيه ويصغي نفسه للتطلع على خوافيه ، ويبتهل الى الله تعالى في ان يمنحه من لدنه فهم كتابه واسرار خطابه ، فحينئذ يظهر عليه من الحقائق ما لم يصل إليه غيره من المفسرين ، لأن الكتاب العزيز بحر لجي في قعره درر وفي ظاهره خير ، والناس في التقاط درره والاطلاع على بعض حقائقه على مراتب حسب ما تبلغه قوتهم ويفتح الله به عليهم .

ومن ثم ترى التفاسير مختلفة حسب اختلاف اهلها فيما يغلب عليهم من العلم فمنها ما يغلب عليه العربية ككشاف الزمخشري ، ومنها ما يغلب عليه الحكمة والبرهان الكلامي كمفاتح الغيب للرازي . ومنها ما يغلب عليه القصص كتفسير الثعلبي ، ومنها ما يسلط على تأويل الحقايق دون تفسير الظاهر كتأويل عبد الرزاق القاشي ، الى غير ذلك من الظاهر .

---

(١) م : لفظ .
(٢) خ : حده .
(٣) خ . وراءه .

(أ) العنكبوت : ٦٩ .

ومن المشهور ما روي من ان للقرآن تفسيراً وتأويلاً وحقائق ودقائق وان له ظهراً وبطناً وحداً ومطلعا، «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم» (أ).

فاذا فرغ من ذلك واراد الترقي وتكميل النفس، فليطالع كتب الحكمة من الطبيعي والرياضي والحكمة العملية[١] المشتملة على[٢] تهذيب الاخلاق في النفس، وما خرج عنها من ضرورات دار الفناء.

ثم ينتقل بعده الى العلوم الحقيقية والفنون الحقية[٣] فانها لباب هذه العلوم ونتيجة كل معلوم، وبها يصل الى درجة المقربين ويحصل على مقاعد الواصلين. أوصلنا الله واياكم الى ذلك الجناب انه كريم وهاب.

هذا كله ترتيب من هو اهل لهذه العلوم وله استعداد لتحصيلها ونفس قابلة لفهمها. فاما المقصرون عن درك هذا المقام الممنوعون بالعوائق عن الوصول الى هذا المرام، فليقتصروا منها على ما يمكنهم الوصول إليه، متدرجين فيه حسب ما دللنا عليه. فان لم يكن لهم بد من الاقتصار فلا اقل من الاكتفاء بالعلوم الشرعية والاحكام الدينية. فان ضاق الوقت او ضعفت النفس عن ذلك فالفقه اولى من الجميع، فبه قامت النبوات وانتظم امر المعاش والمعاد، مضيفاً إليه ما يجب مراعاته من تهذيب النفس واصلاح القلب من علم الطب النفسي، ليرتب عليه العدالة التي بها قامت السموات والارض. والتقوى التي هي ملاك الامر.

فاذا فرغ عما خلق له من العلوم فليشتغل بالعمل الذي هو زبدة العلم وعلة الخلق. قال الله تعالى: «وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون»(ب) وهذه العلوم بمنزلة الآلات القريبة او البعيدة[٤] للعمل كما حققناه في الباب الاول. وما اجهل

(١) خ: العلمية.
(٢) خ: المشتملة، ساقطة.
(٣) خ: الفقهية.
(٤) خ: ليعيده.

(أ) الحديد: ٢١.
(ب) الذاريات: ٥٦.

واخسر واحمق من يتعلم صنعة لينتفع بها في امر معاشه ثم يصرف عمره ، ويجعل كدّه في تحصيل آلاتها من غير ان يشتغل بها اشتغالاً يحصل به الغرض منها ، فتدبر ذلك موفقاً ان شاء الله تعالى.

تتمة الكتاب

اعلم وفقك الله تعالى اني قد اوضحت لك السبيل، وعلمتك كيفية المسير، وبينت لك كمال الآداب، واحثثتك على دخول هذا الباب. فعليك بالجد والتشمير، واغتنام ايام عمرك القصير في اقتناء الفضائل النفسانية، والحصول على الملكات العلمية. فانها سبب لسعادتك المؤبدة، وموجبة لكمال النعمة المخلدة، فانها من كمالات نفسك الانسانية وهي باقية ابداً لا تعدم كما تحقق في العلوم الحكمية، ودلت عليه الآيات القرآنية والاخبار النبوية. فتقصيرك في تحصيل الكمال في ايام هذه المهلة القليلة موجب لدوام حسرتك الطويلة. واعتبر في نفسك الآن ان كنت ذا بصيرة انك لا ترضى بالقصور عن ابناء نوعك من بلدك او محلتك، وتتألم بزيادة علمهم على علمك وارتفاع شأنهم على شأنك، مع انك وهم في دار خسيسة، وعيشة دنية زائلة عما قليل، ولا تكاد تطلع على نقصك من الخارجين عنك الا القليل.

فكيف ترضى لنفسك ان كنت عاقلاً بأن تكون غداً في دار البقاء عند اجتماع جميع العوالم من الانبياء والمرسلين وَالشهداء والصالحين والعلماء الراسخين، والملائكة المقربين ومنازلهم في تلك الدار على قدر كمالاتهم التي حصلوها في هذه الدار الفانية، والمدة الزائلة في موقف صف النعال[1]، وأنت الآن قادر على درك الكمال.

ما هذا الا قصور في العقل او سبات نعوذ بالله من سنة الغفلة وسوء الزلة، هذا كله على تقدير سلامتك في تلك الدار من عظيم الاخطار وعذاب النار، وانّى لك بالامان[2] من ذلك وقد عرفت ان اكثر هذه العلوم واجب اما على الاعيان او الكفاية. وان الواجب الكفائي اذا لم يقم من فيه كفاية يأثم الجميع بتركه ويصير حكمه كالواجب العيني.

---

(١) خ: المتعال.

(٢) خ: باماِن.

واين القائم في هذا الزمان بل في اكثر الازمان بالواجب من تحصيل هذه العلوم الشرعية ، والحاصل على درجتها المرضية سيما التفقه في الدين ، فان اقل مراتبه وجوبه على الكفاية وادنى ما ينادى به هذا الواجب في كل قطر منه قائم به ممن فيه كفاية ، وهذا لا يحصل الا مع وجود خلق كثير من الفقهاء في اقطار الارض . ومتى اتفق ذلك في هذه الازمنة . هذا مع القيام بما يلزمه من العلوم والكتب التي يتوقف عليها من الحديث وغيره وتصحيحها وضبطها وكل هذا امر معدوم في هذا الزمان .

فالتقاعد عنه والاشتغال بغير العلم ومقدماته قد صار من اعظم العصيان وان كان بصورة العبادة من دعاة او قراءة[1] قرآن . فأين السلامة من اهوال القيامة للقاعد عن الاشتغال بالعلوم الشرعية على تقدير رضاه بتهمة الخسيسة عن ارتقاء مقام اهل الدرجة العلية[2] واعتبر ثالثاً على تقدير السلامة من ذلك كله .

ان امتيازك عن سائر جنسك من الحيوانات ، ليس الا بهذه القوة العاقلة التي قد خصك الله بها من بينها ، المميزة بين الخطأ والصواب ، الموجبة لتحصيل العلوم النافعة لك في هذه الدار وفي دار المآب . فقعودك عن استعمالها فيما خلقت له ، وانهماكك[3] في مهلكك من المأكل والمشرب ، وغيرها من الاعمال التي تشاركك فيها سائر الحيوانات حتى الديدان والخنافس ، فانها تأكل وتشرب وتجمع القوت ، وتتناكح وتتوالد ، مع انك قادر على ان تصير من جملة الملائكة المقربين باستعمال قوتك[4] في العلم والعمل ، بل اعظم من الملائكة ، عين الخسران المبين .

فتنبهوا معشر اخواني واحبائي ، ايقظنا الله واياكم من غفلتكم واغتنموا ايام مهلتكم وتلافوا تفريطكم قبل زوال[5] الامكان وفوت الاوان ، والحصول في خبر كان ، فيا لها من حسرة لا يتدارك فارطها ، وندامة تخلد محنتها . نبّهنا الله واياكم من

---

(١) م ، خ : قرائه .

(٢) خ : لعليه .

(٣) خ : وانها كذلك .

(٤) خ : قوتيك .

(٥) خ : زمان .

مراقد الطبيعة ، وجعل ما بقي من ايام هذه المهلة مصروفاً على علوم الشريعة ، وأحلّنا جميعاً في دار[1] كرامته بمنازلها الرفيعة. انه اكرم الاكرمين ، واجود الاجودين.

وعلى هذا القدر نختم الرسالة ، حامدين لله تعالى ، مصلين على خاتم الرسالة ، وعلى أهل العصمة والعدالة ، مسلمين مستغفرين من ذنوبنا انه غفور رحيم.

وقد[2] فرغ منها مؤلفها المفتقر[3] الى عفو[4] الله تعالى ورحمته زين الدين علي ابن احمد الشامي العاملي ضحى[5] يوم الخميس يوم العشرين من شهر ربيع الاول سنة أربع وخمسين وتسعماية ٩٥٤ ، (تقبلها الله برحمته وتلقاها بيد كرامته ورأفته ، انه اجود الاجودين ، يا أرحم الراحمين)[6].

---

(١) خ : درا ، ساقطة.
(٢) م : وقد ، ساقطة.
(٣) خ : الفقير.
(٤) خ : غفران.
(٥) م : ضحى ، ساقطة.
(٦) م : ما بين القوسين ساقط.

أشهر الاعلام [1]

— أ —

١ — ابراهيم بن ادهم بن منصور ابو اسحاق :

كان مولده في بلخ ، ثم انتقل الى بغداد ، ثم خرج الى الشام طلباً للحلال المحض فاقام بها غازياً ومرابطاً يلزم الورع الشديد والجهد الجهيد مع لزوم الزهادة باستعمال العبادة الى ان مات في بلاد الروم غازياً سنة احدى وستين ومائة ، وكان من بكر بن وائل : السلمي ، طبقات الصوفية ، ٢٧ ، ٣٨ ، ٤٤ . ابن حبّان ، مشاهير علماء الامصار ، رقم ١٤٥٥/ص ١٨٣ .
راجع : حلية الاولياء ، ج ٧ ، ص ٣٦٧ ، ٣٨٥ .
راجع : شذرات الذهب ، ج ١ ، ٢٥٥ .

٢ — ابن عباس : (عبد الله) :

(ت ٦٨ هـ/٦٨٧ م) : ابن عم النبي ، لقّب «حبر الامة» ، حضر صفين مع علي ، كان سديد الرأي . روى الكثير من حديث الرسول . له تفسير . حاول التوفيق بين عبد الله بن الزبير وعبد الملك بن مروان . له اخبار كثيرة في الوعظ والتذكير . را . : أبو نعيم ، حلية الاولياء ، ج ١ ، ص ٣١٤ — ٣٢٩ .

---

(١) ذكرنا فقط أشهر الأعلام الذين وردوا في نص «منية المريد وآداب المفيد والمستفيد»

٣ــ ابن مسعود (عبد الله) :

ت ٣٢ هـ/٦٥٢ م : صحابي ، هذلي ، خدم النبي مدة حياته ، سادس من اسلم. أول من جهر بالقرآن في مكة. وقد هاجر الى الحبشة ، ويعتبر احد المبشرين بالجنة . وممن اتقنوا تلاوة القرآن الكريم بل هوكان ممن يملي المصحف عن ظهر قلبه ، وتسمع النبي لقراءته . هو احد رفقاء النبي الاربعة عشر. له وصايا ومواعظ كثيرة. ابو نعيم ، حلية الاولياء ، ج ١ ، ص ١٢٤ ــ ١٣٩ .

٤ــ أبو امامة بن سهل بن حنيف الانصاري :

سماه النبي اسعد ، مات سنة مائة بالمدينة. ابن حبّان : مشاهير علماء الامصار ، رقم ١٣٩ ، ص ٢٨:

٥ــ ابو الاسود الدؤلي :

اسمه عمرو بن سفيان ، أول من تكلم في النحو بالبصرة. ابن حبّان ، مشاهير علماء الامصار ، رقم ٦٩٤ ، ص ٩٤.

٦ــ أبو حمزة ، كنيته أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام الخزرجي البخاري :

قدم النبي صلعم المدينة وهو ابن عشر سنين ، فأهدته أمه لرسول الله صلعم كي يخدمه ، فخدم نبي الله عشر سنين ، وانتقل من المدينة بعد ان بصّرت البصرة ايام عمر بن الخطاب وسكنها. وكان يصفّر لحيته بالورس ، وتوفي سنة احدى وتسعين.
ابن حبّان ، مشاهير علماء الامصار ، رقم ٢١٥ ، ص ٣٧.

٧ــأبو الدرداء :

عويمر بن زيد ، بن عامر ، او ابن مالك ، بن عبد الله بن قيس بن عائشة بن امية ، بن مالك بن عامر بن عدي بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الانصاري الخزرجي ، أبو الدرداء ؛ يروي عنه ابن بلال ، وزوجه ام الدرداء وخلف. أسلم يوم بدر ، وشهد احداً ، والحقه عمر بالبدريين جمع القرآن وولي قضاء دمشق. مات سنة اثنين وثلاثين.

أبو نعيم ، حلية الاولياء ، ج ١ ، ص ٢٠٨ــ٢٢٧.

٨ــ أبو ذر الغفاري :

اسمه جندب بن جناد بن سفيان ــ وقد قيل ان اسم ابيه يزيد ، يقال ايضاً سكن. وكان ابو ذر ممن هاجر الى النبي (صلعم) من بني غفار الى مكة ، واختفى في استار الكعبة اياماً كثيرةً لا يخرج منها الا لحاجة الانسان ، من غير ان يطعم او يشرب شيئاً الا ماء زمزم ، حتى رأى رسول الله صلعم بالليل فآمن به وهو أول من حياه بتحية الاسلام ؛ ثم هاجر الى المدينة وشهد جوامع المشاهد ، ومات بالربذة في خلافة عثمان بن عفان سنة اثنتين وثلاثين. ج.

ابن حبّان ، مشاهير علماء الامصار ، رقم ٢٨ ، ص ١١ــ١٢.

أبو نعيم ، حلية الاولياء ، ج ١ ، ص ١٥٦ــ١٧٠.

٩ــأبو سعيد الخدري سعد بن مالك بن سنان الخزرجي :

من سادات الانصار وكان ابوه ممن شهد احداً ؛ مات بالمدينة بعد الحرّة سنة اربع وستين.

ابن حبّان ، مشاهير علماء الامصار ، رقم ٢٦ ، ص ١١.

١٠ــ ابو عبد الرحمن السلمي عبد الله بن حبيب :

من قراء القرآن وأهل الورع في السر والاعلان ، مات سنة اربع وسبعين.

ابن حبّان : مشاهير علماء الامصار ، رقم ٧٥٣ ، ص ١٠٢.

١١ — ابو العباس الشاعر السائب بن فروخ :

من جملة اهل مكة ومتّقيهم.

ابن حبّان : مشاهير علماء الامصار، رقم ٦١٢، ص ٨٤.

١٢ — الشيخ أبو عمرو :

هو ابن الصلاح توفي سنة ٦٤٣ هـ.

السبكي، طبقات الشافعية، ج ٥، ص ١٣٧.

١٣ — أبو مسلم الخولاني عبد الله بن ثوّب :

أسلم على عهد معاوية.وكان من عباد اهل الشام وزهادهم ؛ توفي في ولاية معاوية بن ابي سفيان.

ابن حبّان، مشاهير علماء الامصار، ٨٥٦، ص ١١٢.

١٤ — أبو هريرة الدوسي :

اختلفوا في اسمه، فنهم من زعم انه عمير بن عامر بن عبد، ومنهم من قال سكين بن عمرو ومنهم من قال عبد الله بن عمرو، وقيل عبد الرحمن بن صخر، ويقال ان اسمه عبد شمس ومنهم من قال عبد نهم، ومنهم من قال عمرو ؛ من الحفاظ المواظبين على صحبة رسول الله. مات سنة ٥٨.

ابن حبّان، مشاهير علماء الامصار، رقم ٤٦، ص ١٥.

١٥ — أبو يوسف القاضي يعقوب بن ابراهيم ابن سعد :

من بجيلة، من الفقهاء المتقنين ؛ لم يسلك سبيل صاحبه الا في الفروع وكان يباينه في الايمان والقرآن ؛ مات سنة ١٨١.

ابن حبّان، مشاهير علماء الامصار، رقم ١٣٥٦، ص ١٧١.

١٦ — جابر بن سليم يروي عن يحيى بن سعيد الانصاري

قالوا عنه : «لا يكتب حديثه». ميزان الاعتدال، مع ١ ، ص ١٧٥.

١٧ — جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ، الصادق ، ابو عبد الله :

من سادات اهل البيت وعباد اتباع التابعين وعلماء اهل المدينة ، كان مولده سنة ثمانين سنة سيل الجحاف ، ومات سنة ثمان واربعين ومائة وهو ابن ثمان وستين سنة .

ابن حبّان ، رقم ٩٩٧ ، ص ٢٢٧. راجع ، السلمي ، طبقات الصوفية ، ص ، ٤٩٨. رقم ٥٠٥.

١٨ — حبيب بن الشهيد :

مولى للأزد ، كنيته ابو شهيد ، مات بعد الهزيمة سنة ١٤٥.

ابن حبّان ، رقم ١١٩٧ ، ص ١٥٢.

١٩ — الحسن بن علي بن ابي طالب :

ابن فاطمة الزهراء ، كنيته ابو محمد ، سمّ حتى نزل كبده ، وأوصى الى اخيه الحسين ، ومات بالمدينة في شهر ربيع الاول سنة ٥١ هـ بعد ما مضى من امارة معاوية عشر سنين وصلى عليه سعيد بن العاص ، ودفن في بقيع الفرقد.

ابن حبّان ، رقم ٦ ، ص ٧.

٢٠ ـــ الحسن بن الحسين بن (الحسن بن) علي بن ابي طالب :

من قرّاء أهل البيت وعبادهم مات في سجن ابي جعفر سنة ١٤٥ هـ ، وقد طعن في السن.

ابن حبّان ، رقم ٤٢٢ ، ص ٦٢ ، ٦٣.

٢١ ـــ الحسين بن محمد بن موسى أبو محمد الازدي : السلمي.

طبقات الصوفية ، ص ١١٤ ، ٣٦١ ، ٣٦٦ ، ٤٧٧.

٢٢ ـــ الحسن بن علي بن يزد انيار :

حيلة الاولياء : جـ ١ ، ص ٣٦٣ ، الرسالة القشيرية : ص ٣٦ ، نتائى الافكار القدسية ، ج ١ ، ص ٢٠١.

طبقات الشعراني : مع ١ ، ص ١٣٣ ـــ ١٣٦.

٢٣ ـــ الحسين بو عبد الله ·

ابن فاطمة الزهراء ، كان بينه وبين الحسن ظهر واحد ثم حبلت فاطمة به ، قتل يوم عاشوراء بكربلاء يوم السبت (٦١ هـ) وهو عطشان في امارة يزيد ابن معاوية ، وحُمِل راسه الى الشام واختلف في موضع رأسه ، فمنهم من زعم أن رأسه في البرج الثالث من السور على باب الفراديس بدمشق ، ومنهم من زعم أن رأسه على رأس عمود في مسجد جامع دمشق عن يمين القبلة بجنب القبّة الخضراء ، وقد رأيت ذلك العمود ، ومنهم من زعم أن رأسه في قبر ابيه وقال : احصنه بعد المات به ، فأما جثته فبكربلاء لا شك فيه.

ابن حبّان : مشاهير علماء الامصار ، رقم ٧ ، ص ٧٠.

٢٤ ـــ حاماد بن سلمة :

وكنيته أبو صخرة الحنظلي ، مولى حميّر بن كراثة من تيم ، ويقال انه مولى

قريش ، من عباد اهل البصرة ومتقنيهم ، ممن لزم العبادة والعلم والورع ونصرة السنة والطبق على البدع ، مات سنة ١٦٧ . ولم ينصف من ترك حديثه ثم لم يترك حديث ابن اخي الزهري.
ابن حبّان ، رقم ١٢٤٣ ص ١٥٧ .

٢٥ —حماد بن مسلمة :

أبو اسامة الهذلي ،
طبقات الصوفية ، ص ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٤٧ ، ٣١٣.

—ز—

١٦ —زكريا بن يحيى بن اسد :

او يحيى المروزي زكرويه : يعرف بزكرويه ، سكن بغداد ، وحدث عن جماعة ، منهم معروف الكرخي ، وروى عنه جماعة ، منهم : أبو العباس ، محمد بن يعقوب ، الاصمّ. وكان ثقة ، لا بأس به . توفي يوم الخميس ، سنة ٢٧٠. السلمي ،
طبقات الصوفية ، ص ٨٣.

٢٧ —زيد بن ثابت بن الضحاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة ابو سعيد ابو خارجة :

من بني سلمة أحد بني الحارث بن خزرج ، من فقهاء الصحابة وجلّة الانصار وله كنيتان ابو سعيد وابو خارجة ، مات في ولاية معاوية بن ابي سفيان سنة ٤٥ هـ. وقد قيل سنة احدى وخمسين.
ابن حبّان ، رقم ٢٢ ، ص ١٠ .

٢٨ ــ **زين العابدين : علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب أبو الحسن :**

من فقهاء اهل البيت وأفاضل بني هاشم وعباد المدينة ، مات سنة اثنتين وتسعين وله ٥٨ سنة .

ابن حبّان ، رقم ٤٢٣ ، ص ٦٣ .

ــ ط ــ

٢٩ ــ **طلحة بن زيد الرقي ، وقيل الكوفي ، وقيل الشامي :**

نزيل واسط . وكنيته أبو مسكين وقيل أبو محمد. قال البخاري : «منكر الحديث» . وقال غيره : «بل كان يضع» . ميزان الاعتدال : ج ١ ص ٤٧٧ . السلمي .
طبقات الصوفية ، ص ٣٣٨ .

ــ ع ــ

٣٠ ــ **عبد الله بن سليمان الطويل :**

من اهل المدينة ، سكن مصر ، مستقيم الامر في الحديث اذ روى عن المدنيين والغرباء .
ابن حبّان ، رقم ٥٣٣ ، ص ١٩٠ .

٣١ ــ **عطاء بن أبي رباح :**

مولى آل ابي خيثم ، الفهري القرشي ، واسم ابي رباح اسلم ، كان مولده بالجند من اليمن ونشأ بمكة ، وكان اسود اعور أشلّ اعرج ثم عمي في آخر عمره ، وكان من سادات التابعين (وكان) المقدم في الصالحين مع الفقه والورع ، كان مولده سنة ٢٧ ، ومات بمكة سنة ١٢٤ ، كنيته أبو محمد.

ابن حبّان : مشاهير علماء الامصار ، رقم ٥٨٩ ، ص ٨١. السلمي ، طبقات الصوفية ، ٢١٨ ، ٣٣٨.

٣٢ ــ عطاء بن السائب بن زيد الثقفي، أبو زيد :

لا يصح له لأنس بن مالك ولا لغيره من الصحابة ، مات سنة ١٣٦ هـ وكان يهم في الشيء بعد الشيء.
ابن حبّان ، رقم ١٣٢٥ ، ص ١٦٧.

٣٣ ــ عكرمة بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي :

من خيار أهل مكة وصالحي قريش ، مات سنة ١١٦ هـ.
ابن حبّان ، رقم ٥٩٤ ، ص ٨٢.

٣٤ ــ علي بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف أبو الحسين الهاشمي :

وأم علي فاطمة بنت اسد بن هاشم بن عبد مناف ، وهاشم اخو هشام ، فاستخلف علي (ع) بعد دفن عثمان وبايعه الناس في السر والعلن. فجرد عليّ اسباب الدين تجريداً وافضى عن التمويه والتبديل ولزم الطريقة الواضحة ورام ردّ الناس عن تمكنهم من الدنيا وتمتّعهم بنزهتها وطيباتها على ما كان عليه المصطفى (صلعم)فالتاثت عليه الامور حتى كان من امره ما كان من الحوادث على حسب ما ذكرنا. قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادي في مسجد الكوفة بسيف مسموم عند قيامه الى الصلاة ، وذلك ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان. ومات يوم الجمعة ، وله يوم مات اثنتان وستون سنة ، وكانت خلافته خمس سنين وثلاثة أشهر الا اربعة عشر يوماً ،
ابن حبّان ، مشاهير علماء الامصار ، رقم ٥ ص ٦ ، ٧. راجع السلمي ، طبقات الصوفية ، ص ٢ ، ٨ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٧٩ ، ٢٤٩ ، ٢٩١ ، ٣٦٦ ، ٣٧٠

٣٥ ـ علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب ، أبو الحسن :

من فقهاء اهل البيت وافاضل بني هاشم وعباد المدينة ، مات سنة اثنتين وتسعين وله ثمان وخمسون سنة .

ابن حبّان ، مشاهير علماء الامصار ، رقم ٤٢٣ ص ٦٣ .

٣٦ ـ علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب الهاشمي أبوا لحسن الرضا .

كان سيد بني هاشم ، وكان المأمون يعظّمه ويجله وعهد اليه بالخلافة ، وأخذ له بالعهد . مات مسموماً سنة ٢٠٣ . خلاصة تهذيب الكمال ، ص ١٣٥ .

ـ ف ـ

٣٧ ـ الفضيل بن غياض بن منصور ابو علي :

مولده بسمرقند وترعرع بيبورد ونشأ بالكوفة وبها كتب الحديث ثم انتقل الى مكة فجاور البيت العتيق مع لزوم الورع الشديد والجهد الجهيد ودوام الخوف وجلاء الجوف الى ان مات بها سنة ١٨٧ وقبره مشهور يزار قد زرته مراراً .

ابن حبّان ، مشاهير علماء الامصار ، رقم ١١٧٩ ، ص ١٤٩ . السلمي ، طبقات الصوفية ، ص ٦ ، ١٤ ، ٢٧ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ١٣٧ .

ـ ق ـ

٣٨ ـ القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، أبو محمد :

كان صموتاً لا يتكلم ملازماً للورع والنسك مواظباً على الفقه والأدب على ما كان يرجع اليه مع العقل والعلم ، فلما ولّي عمر بن عبد العزيز قال اهل المدينة : اليوم تنطق العذراء في خدرها ، أرادوا به القاسم بن محمد ، مات

سنة ١٠٢ هـ. وهو ابن اثنتين وسبعين سنة بعد عمر بن عبد العزيز بسنة.
ابن حبّان، مشاهير علماء الامصار، رقم ٦٤، ص ٦٢، ٦٤.

ـــكـــ

٣٩ ـــكثير بن زياد: ابو سهل البرمساني ـــالازدي العتكي البصري:

أصله بصري، سكن بلخ، ثم سمرقند. وكان ثقة. تهذيب التهذيب، ج ٨، ص ٤١٣. ميزان الاعتدال، ج ٢، ص ٣٥٣.

ـــمـــ

٤٠ ـــمالك بن أنس، مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث:

الاصحبي، ابو عبد الله المدني احد اعلام الاسلام، وامام دار الهجرة، قال الشافعي «مالك حجة الله تعالى على خلقه» ولد سنة ٩٣، وحمل به ثلاث سنين. وتوفي سنة ١٧٩، ودفن بالبقيع. خلاصة تهذيب الكمال ص ٣١٣.
راجع، ابن حبّان، مشاهير علماء الامصار، رقم ١١١، ص ١١٤.

٤١ ـــمسلم:

صاحب الصحيح، ص ٧، ٣٦، ١٨٧ ٢١٣، ٢٢١، ٢٤٩، ٢٥٣.
السلمي،
طبقات الصوفية.

٤٢ ـــمعاذ بن انس الجهني:

راجع: ابن حبّان، مشاهير علماء الامصار، رقم ٣٩٢، ص ٥٦.

٤٣ — معاذ بن جبل بن عمرو الانصاري أبو عبد الرحمن :

مات بالاردن في الطاعون يعني طاعون عمواس سنة ١٨ هـ وله ثلاث وثلاثون سنة ، وكان قد شهد بدرا والعقبة.

ابن حبّان ، مشاهير علماء الامصار ، رقم ٣٢١ ، ص ٥٠١ . السلمي ، طبقات الصوفية ، ص ٣٦٦ .

٤٤ — معاذ بن الحارث بن رفاعة أخو معوّذ بن الحارث :

يقال لهما ابنا عفراء ، كانت عفراء امهما ، وكان معاذ بن عفراء ممن شهد بدرا ، وقتل يوم الحرّة سنة ٦٣ هـ . وقد قيل انه قتل مع علي بن ابي طالب يوم الجمل .

ابن حبّان ، مشاهير علماء الامصار ، رقم ٩٥ ، ص ٢٢ .

٤٥ — معافى بن عمران الموصلي أبو مسعود :

من العباد المتقشفين وأهل الفضل في الدين ، ممن جالس اسماعيل بن ابي خالد وذويه ، مات سنة خمس وثمانين ومائة ، وكان الثوري يسميه الياقوت .

ابن حبّان : مشاهير علماء الامصار ، رقم ١٤٨٩ ، ص ١٨٦ . السلمي ، طبقات الصوفية ، ص ١ ،٣ ، ٤١ ، ٢٤٩ .

٤٦ — محمد بن مسلم بن عبيد الله الزهري القرشي ابو بكر:

من احفظ اهل زمانه للسند واحسنهم لها سياقا وكان فقيهاً فاضلاً ، مات ليلة البلايا بسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة ١٢٤ هـ .

ابن حبّان ، مشاهير علماء الامصار ، رقم ٤٤٤ ، ص ٦٦ .

٤٧ —محمد بن مسلم بن تدرس الاسدى مولاهم ، ابو الزبير المكّي :

كان ثقة ، ولكنه كان يدلس عن جابر ، وابن عباس ، وعائشة ، وعبد الله بن عمرو. مات سنة ١٢٨ هـ. خلاصة تهذيب الكمال : ص ٣٠٦.

٤٨ —محمد بن مسلم الطائفي :

سكن مكة ، ممن كان له العناية الكثيرة في العلم ، وكان يهم في الاحايين.
ابن حبّان ، مشاهير علماء الامصار ، رقم ١١٧٦ ، ص ١٤٩.

—و—

٤٩ —وائل بن حجر الحضرمي :

كان ملكاً عظيماً بحضر موت ، لما بلغه ظهور النبي (صلعم) نزل عن ملكه ونهض الى رسول الله صلعم مسلماً ، فلما قدم قال النبي (صلعم) : هذا وائل بن حجر أتاكم من ارض بعيدة من حضرموت طائعاً غير مكره راغباً في الله وفي رسوله وفي دينه بقية ابناء الملوك اللهم بارك في وائل وفي ولده ثم أقطعه ارضاً وبعث به معاوية بن ابي سفيان يسلّمها له وكتب له كتاباً ولاهل بيته بماله..
ابن حبّان ، رقم ١٧٦ ، ص ٤٤ —٤٥.

٥٠ —وائل بن داود الليثي :

والد بكر بن وائل ، من المنشقين وكان ثقة.
ابن حبّان ، مشاهير علماء الامصار ، رقم ١٣٣٦ ، ص ١٦٨.

٥١ —وكيع بن الجراح بن مليح ، الامام الحافظ الثبت :

محدث العراق ، ابو سفيان الرواسي الكوفي ، احد ائمة الاعلام ، ورواس بطن من قيس عيلان. ولد سنة ١٢٩. وسمع الاعمش وخلف وروى عنه

يحيى بن معاذ وخلائق وكان ابوه يلي أمر بيت المال ، فاراد الرشيد ان يوليه قضاء الكوفة توفي وكيع بغيد — راجعاً من الحج — يوم عاشوراء سنة ١٩٧ هـ. تذكرة الحفاظ : ج ١ ، ص ٢٨٢ ، ٢٨٤.
راجع ، ابن حبّان ، مشاهير علماء الامصار ، رقم ١٣٧٤ ، ص ١٧٣.

٥٢ — وكيع بن عدس بن عامر ، ابن اخي أبي رزين العقيلي لقيط بن عامر:

ويقال حدس ، من الاثبات ، كنيته ابو مصعب ، فاما شعبة وهشيم مثالاً عن يعلي بن عطاء عن وكيع بن عدس وقال حماد بن سلمة وابو عواضة عن يعلي عن وكيع بن عدس والصواب بالحاء والله اعلم.
ابن حبّان ، مشاهير علماء الامصار ، رقم ٩٧٣ ، ص ١٢٤.

٥٣ — وهب بن منبه بن كامل بن سيح بن سحسار أبو عبد الله:
كان ينزل ذمار على مرحلتين من صنعاء ، كان ممن قرأ الكتب ولزم العبادة وواظب على العلم وتجرد للزهادة ، صلى اربعين سنة صلاة الصبح بوضوء عشاء الآخرة ، ومات في المحرم سنة ١١٣ هـ.
ابن حبّان ، مشاهير علماء الامصار ، رقم ٩٥٦. ص ١٢٢ — ١٢٣.

— ي —

٥٤ — يحيى بن أبي كثير:

من اهل البصرة ، سكن اليمامة ، مات سنة ١٢٩ ، لا يصح له عن انس بن مالك ولا غيره من الصحابة سماع وتلك كلها اخبار مدلّسة.
ابن حبّان ، مشاهير علماء الامصار ، رقم ١٥٣٧ ، ص ١٩١.

٥٥ — يحيى بن سعيد الانصاري :

وهو يحيى بن سعيد بن قيس بن عمرو استقضاه ابو جعفر فارتفع شأنه. كنيته ابو سعيد، وكان من فقهاء اهل المدينة ومتقيهم. مات بالعراق سنة ١٤٣ هـ.

ابن حبّان، مشاهير علماء الامصار، رقم ٥٨١، ص ٨٠.

راجع خلاصة تهذيب الكمال، ص ٣٦٨.

٥٦ — يحيى بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاصي الاموي أبو أيوب :

من اهل الكوفة، سكن بغداد، كنيته ابو ايوب، مات ١٩٤ هـ. وهم اخوة اربعة يحيى وعبد الله وعنبة وعبيد بنو سعيد بن أبان.

أبن حبّان، مشاهير علماء الامصار. رقم ١٣٩١، ص ١٧٥.

٥٧ — يحيى بن سعيد بن فروخ القطان أبو سعيد :

مولى بني تميم، كنيته أبو سعيد، وكان من سادات اهل البصرة وقرائهم، ممن مهّد لأهل الحديث طرق الاخبار وحثّهم على تتبع العلل والآثار، وعنه تعلم رسم الحديث أحمد بن جنبل ويحيى بن معين وعلي بن المدني واسحاق بن ابراهيم وابو خيثمة وسائر ائمتنا، مات سنة ١٩٨.

ابن حبّان، مشاهير علماء الامصار، رقم ١٢٧٨؛ ص ١٦١، ١٦٢.

٥٨ — يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي الواعظ، السلمي :

طبقات الصوفية، ص ١٠٧ — ١١٤.

المرجعية

١ــ مراجع خاصة بالتربية (التأديب، تهذيب الصبيان) العربية الاسلامية:

١ - ابن الجزار القيرواني (القرن الرابع الهجري)، سياسة الصبيان وتدبيرهم، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، الدار التونسية للنشر.

٢ - ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم في ادب العالم والمتعلم، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت. (تصوير لطبعة حيدر آباد الدكن، ١٣٥٣).

٣ ــ ابن خلدون (عبد الرحمن ...)، المقدمة...، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط ٥، د. ت.

٤ ــ ابن سحنون، (محمد ...)، آداب المعلمين. نشرة الاشواني، في: «التربية في الاسلام»، ص ٣٥٣ــ ٣٦٨. نشرة حسن حسني عبد الوهاب، تونس، ١٣٤٨/ ١٩٢٩.

٥ ــ ابن سينا (ابو علي الحسين ...)، رسالة في السياسة، طبعة الاب لويس شيخو، بيروت، ١٩١١. وطبعات اخرى منها تحقيقنا لها في رسالة ماجستير باشراف الاب د. جبر، ١٩٧٤.

٦ ــ ابن طفيل، حي بن يقظان، نشرة فاروق سعد، بيروت، دار الافاق، ١٩٧٤.

٧ ــ ابن عبد البر النمري القرطبي، جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي من روايته وحمله، المدينة المنورة، د. ت. جزءان.

٨ ــ ابن عرضون (احمد ...)، مقنع المحتاج في آداب الزواج. في: مجلة العربي (الكويت، آب، ١٩٧٩)، ص ١٠٨ــ ١١٢.

٩ ــ ابن المقفع ، الادب الصغير والادب الكبير رسالة الصحابة ، تحقيق يوسف ابو حلقة ، بيروت ، مكتبة البيان ، ط ٢ ، ١٩٦٠ .

ــ الادب الوجيز للولد الصغير ، تحقيق وتعريب محمد غفراني الخراساني ، القاهرة ، عالم الكتب ، ١٣٤١ ، هـ. ش.

١٠ــ ابن يحيى (عبد الحميد...) ، في : محمد كرد علي ، رسائل البلغاء ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط ٣ ، ١٩٤٦ .

١١ــ اخوان الصفاء ، رسائل اخوان الصفاء ، ٤ ج ، تحقيق خير الدين الزركلي ، القاهرة ، ١٩٢٨ .

١٢ــ الجاحظ ، البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ، مطبعة الخانجي ، ط ٢ ، ١٩٦٠ . ايضا : بيروت ، دار الفكر للمجتمع ، ١٩٦٨ .

١٣ــ الزرنوجي ، تعليم المتعلم طريق التعلم . استانبول ، ١٢٩٢/ ١٨٧٥ . القاهرة ، دار احياء الكتب العربية ، د. ت..

١٤ــ السبكي (عبد الوهاب ...) ، معيد النعم ومبيد النقم ، تحقيق محمد علي النجار وابو زيد الشلبي ومحمد ابو العيون ، القاهرة ، دار الكتاب العربي ، ط ١ ، ١٩٤٨ .

١٥ــ السمعاني ، (عبد الكريم ...) ، ادب الاملاء والاستملاء ، تحقيق ماكس ويس ويلر ، ليدن ، بريل ، ١٩٥٢ .

١٦ــ الطوسي (نصير الدين ...) ، كتاب آداب المعلمين ، تحقيق يحيى الخشاب ، في : مجلة معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ج ٣ ، ج ٢ ، (١٩٥٧ ، ص ٢٦٧ ــ ٢٨٤) .

١٧ــ العلموي (عبد الباسط بن موسى بن محمد العلموي) ، ادب المفيد والمستفيد ، نشرة احمد عبيد ، دمشق ، المكتبة العربية ، ١٣٤٩/ ١٩٣٠ .

١٨ — الغزالي (ابو حامد...) ، ايها الولد ، بيروت ، اللجنة الدولية لترجمة الروائع الانسانية ، ١٩٥١ . احياء علوم الدين ، القاهرة ، كتاب الشعب ، دار الشعب ، ٤ ج ، د. ت..ميزان العمل ، تحقيق سليمان دنيا ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٤ .

١٩ — الفارابي ، كتاب آراء اهل المدينة الفاضلة ، تحقيق البير نادر ، بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٥٩ .

رسالة السياسة ، نشرة الاب لويس شيخو ، في : المشرق ، السنة الرابعة ، ١٩٠١ .

٢٠ — القابسي (ابو الحسن علي بن محمد بن خلف المعروف بالقابسي) ، الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين واحكام المعلمين والمتعلمين. نشرة : احمد فؤاد الاهواني ، في : «التربية في الاسلام» ، ص ٢٦٨ — ٣٤٩ .

٢١ — الكندي (يعقوب بن اسحاق...) ، رسائل الكندي الفلسفية ، تحقيق محمد عبد الهادي ابو ريده ، جزءان ، القاهرة ، ١٩٥٠ .

— رسالة في السيوف واجناسها ، تحقيق عبد الرحمن زكي ، مجلة كلية الاداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٥١ .

٢٢ — مسكويه (احمد بن محمد بن يعقوب...) ، تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق ، مقدمة حسن تميم ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ط ٢ ، ١٣٩٨ / ١٩٧٨ .

١ — مراجع عامة متعلقة بالفكر العربي الاسلامي :

١ — ابن ابي اصيبعة ، عيون الانباء في طبقات الاطباء ، بيروت ، تحقيق نزار رضا ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٦٥ .

٢ — ابن جلجل ، طبقات الاطباء والحكماء ، تحقيق فؤاد السيد ، القاهرة ١٩٦٥ .

٣ – ابن خلكان، وفيات الاعيان، تحقيق احسان عباس، ١٠ اجزاء، بيروت، دار الثقافة.

٤ — ابن النديم، الفهرست، طبعة رضا تجدد، طهران، ط ١، ١٩٧١.

٥ — القفطي، تاريخ الحكماء، تحقيق ليبرت، ١٩٠٣. تصوير مكتبة المثنى، بغداد، د. ت.

٣— مراجع حديثة درست التربية العربية الاسلامية(*) :

١ — الابراشي (محمد عطية...)، التربية الاسلامية وفلاسفتها، القاهرة، دار عيسى البابي الحلبي، ط ٢، ١٩٦٩.

٢ — الاهواني (أحمد فؤاد...)، التربية في الاسلام، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٨.

٣ — زيعور (علي...)، الدراسة بالعيّنة للتربويّات في الذات العربية — الإدابة والتعليم عند السمعاني. مجلة «الباحث» باريس، ١٩٨٠، ص ٤٣ — ٧٠.

٤ — شلبي (احمد...)، تاريخ التربية الاسلامية، بيروت، دار الكشاف، ١٩٤٥.

٥ — الشيباني (عمر محمد الثومي...)، من اسس التربية الاسلامية، ليبيا منشورات المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان، ط ١، ١٩٧٩.

٦ — شهلا (محمد...)، منهج التربية الاسلامية، دمشق، دار دمشق، ط ٢، د. ت.

٧ — طوطح (خليل...)، التربية عند العرب، القدس، المطبعة التجارية، د. ت.

(*) ذكرنا في هذه اللائحة المراجع المتخصصة فقط. لم نورد الا الاهم حتى لا نطيل المرجعية.

٨ — طلس (اسعد...)، التربية والتعليم في الاسلام، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٥٧.

٩ — طيباوي (عبد اللطيف...)، محاضرات في تاريخ العرب والاسلام، بيروت، ط ٢، دار الاندلس، ١٩٧٩.

١٠ — عاقل (فاخر...)، التربية قديمها وحديثها، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٤.

١١ — مرسي (احمد سعيد...) تطور الفكر التربوي، القاهرة، عالم الكتب، ط ٣، ١٩٧٥.

— تاريخ التربية والتعليم، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٤.

١٢ — عبد الدائم (عبد الله...)، التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى اوائل القرن العشرين، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٣.

١٣ — فياض (عبد الله...)، تاريخ التربية عند الامامية واسلافهم من الشيعة بين عهدي الصادق والطوسي، بغداد، مطبعة اسعد، ١٩٧٣.

١٤ — ناصر (محمد...)، قراءات في الفكر التربوي، ج ٣، الكويت، وكالة المطبوعات، ط ٢، ١٩٧٧.

١٥ — سليمان (فتحية حسن...)، مذاهب في التربية — بحث في المذهب التربوي عند ابن خلدون، القاهرة، ومكتبة النهضة، ١٩٥٧.

— مذاهب في التربية — بحث في المذهب التربوي عند الغزالي، القاهرة، مكتبة النهضة.

٤ — مراجع في التربية العامة :

١ — اوبير (رونيه...)، الجامع في التربية العامة، ترجمة عبد الله عبد الدائم، دمشق، مطبعة الجامعة السورية، ١٩٦١.

٢ — بالماد (غي ...) ، مناهج التربية ، ترجمة جوزف عبود كبة ، بيروت ، منشورات عويدات ، ١٩٧٠.

٣ — الجندي (انور ...) ، التربية وبناء الاجيال ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٧٥.

٤ — الخوري (انطوان م. ...) ، اعلام التربية ، حياتهم وآثارهم ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني — الكتاب المصري ، ١٩٦٤.

٥ — ديوي (جون ...) ، المدرسة والمجتمع ، ترجمة احمد حسن الرحيم ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ط ٢ ، ١٩٧٨.

٦ — رسل (برتراند ...) ، التربية والنظام الاجتماعي ، ترجمة سمير عبده ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ط ٢ ، ١٩٧٨.

— في التربية ، ترجمة سمير عبده ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٦٤.

٧ — ريبول (اوليفيه ...) ، فلسفة التربية ، ترجمة جهاد نعمان ، بيروت ، منشورات عويدات ، ط ١ ، ١٩٧٨.

٨ — الشوبكي (علي ...) ، المدرسة والتربية وادارة الصفوف ، بيروت ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٧٧.

٩ — صليبا (جميل ...) ، مستقبل التربية في العالم العربي ، بيروت ، منشورات عويدات ، ط ٢ ، ١٩٦٧.

١٠ — عبد الدائم (عبد الله ...) ، التربية القومية ، بيروت ، دار الاداب ، ١٩٦٠.

— التخطيط التربوي ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط ٢ ، ١٩٧٢.

— المدخل الى التربية التجريبية ، دمشق ، مطبعة الجامعة السورية ، ط ٢ ، ١٩٥٧.

ـــحسين (عبد الله ...) ، التعليم العربي والجامعي ، القاهرة ، مطبعة التوفيق ، ١٩٤٥ .

١١ ـــ عبد المجيد (عبد العزيز ...) ، في طرق التدريس ـــ القصة في التربية ... القاهرة ، دار المعارف ، ط ٦ ، ١٩٧٣ .

١٢ ـــ عبد العزيز (صالح ..) التربية وطرق التدريس ، ٣ اجزاء ، القاهرة ، دار المعارف ، طبعات عديدة ، ١٩٧٦ .

١٣ ـــ عطية (نعيم ...) ، التقييم التربوي الهادف ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ط ١ ، ١٩٧٠ .

١٤ ـــ غالب (حنا ...) ، مواد وطرائق التعليم في التربية المتجددة ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ط ٢ ـــ ١٩٧٠ .

١٥ ـــ فايد (عبد الحميد ...) ، رائد التربية العامة ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ط ٢ ، ١٩٧٠ .

١٦ ـــ الفنيش (احمد علي ...) وزيدان (محمد مصطفى ...) ، التوجيه الفني التربوي ، ليبيا ، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلانات ، ١٩٧٦ .

١٧ ـــ مديسي (انجيلا ...) ، التربية الحديثة ، ترجمة علي شاهين ، بيروت منشورات عويدات ، ط ٢ ، ١٩٧٧ .

١٨ ـــ ميالاريه (غاستون ...) ، مدخل الى التربية ، ترجمة نسيم نصر ، منشورات عويدات ، ١٩٧٤ .

١٩ ـــ ياسين (محمد حسين آل ...) ، المبادىء الاساسية في طرق التدريس العامة ، منشورات مكتبة النهضة في بغداد وبيروت ، دار القلم ، ١٩٧٤ .

د ـــ مراجع في علم النفس وعلم النفس التربوي :

١ ـــ رزوق (اسعد ...) ، موسوعة علم النفس ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٧ .

٢ ـــ روكلن (موريس ...) ، تاريخ علم النفس . ترجمة علي زيعور ، بيروت ، دار الاندلس ، ط ٣ ، ١٩٧٨ (فصلا علم النفس التربوي وعلم نفس الولد) .

٢ ـــ زيعور (علي ...) ، مذاهب علم النفس ، بيروت ، دار الاندلس ، ط ٢ ، ١٩٧٧ .

٤ ـــ صالح (احمد زكي ...) ، علم النفس التربوي ، القاهرة ، مكتبة النهضة ، ط ١٠ ١٩٧٢ .

٥ ـــ عاقل (فاخر ...) ، مدارس علم النفس ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ط ٣ ، ١٩٧٧ .

٦ ـــ القوصي (عبد العزيز ...) ، اسس الصحة النفسية ، القاهرة ، مكتب النهضة ، ط ٤ ، ١٩٥٢ .

٦ ـــ مجلات ودوريات :

١ ـــ الابحاث التربوية ، اصدار كلية التربية في الجامعة اللبنانية ، ١٩٧٥ وما بعد .

٢ ـــ التربية الجديدة ، مكتب اليونسكو للتربية في البلاد العربية ، توزيع المكتبة الشرقية ، بيروت ، ك الأول ، ١٩٧ وما بعد .

٣ ـــ صحيفة التخطيط التربوي في البلاد العربية ، اعداد متفرقة .

٤ ـــ المجلة التربوية ، اصدار المركز التربوي للبحوث والانماء ، بيروت ، ١٩٧٥ وما بعد[1] .

(١) نذكر ايضاً من المراجع الاساسية : عبد الامير الاعسم ، مجلة رسالة الاسلام ، بغداد ، العدد ١ ـــ ٢ ، ١٩٦٨

٧ـــ اطروحات ومحاضرات جامعية :

— بيطار (صبحي...)، التربية والتعليم عند ابن سينا، كلية التربية بالجامعة اللبنانية، ١٩٧٧.

— رعد (ماجد...)، الرياضة والفكر العربي عند العرب، كلية الاداب بالجامعة اللبنانية، ١٩٧٨.

— زيعور (علي...)، القطاع الاجتماعي في الفلسفة العربية الاسلامية، محاضرات للماجستير في كلية الاداب بالجامعة اللبنانية، ١٩٧٤، ١٩٧٧.

— شمس الدين (عبد الامير...)، السياسة عند ابن سينا. اطروحة ماجستير، كلية الاداب، الجامعة اللبنانية، ١٩٧٤.

٨ ـــمرجعية عن زين الدين العاملي :

آغا بزرك، الذريعة...

الآصفي (محمد مهدي...)، الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، النجف، ط ١، ١٣٨٦.

الخوانساري، روضات الجنات.

شمس الدين (محمد رضا...)، حياة الامام الشهيد المقتول الشيخ محمد بن مكي الشامي العاملي، النجف، مطبعة الغري الحديثة، ١٣٧٦ / ١٩٥٧.

فضل الله (د. مهدي...)، محمد بن مكي وزين الدين بن علي ـــمفكران مصلحان من لبنان، في مجلة الباحث، تموز وآب، ١٩٨٠، ص ٢١ ـــ٤١.

مكي (محمد كاظم...)، مربٍّ لبناني في القرن السادس عشر يقول بالفروق الفردية والتدرج بالقصاص، مقال في: المجلة التربوية، وزارة التربية اللبنانية، بيروت، العدد ٢، السنة ٣ (١٩٦٣)، ص ٨ ـــ١١.

٩ — مراجع بالفرنسية (*) :

1. Durkheim (Emile -). Education et Sociologie, Paris, P.U.F., 1977.
2. Gal (Roger-), Histoire de l'Education, Paris, P.U.F., 1976.
3. Foulquie (Paul-), Dictionnaire de la langue pédagogique, Paris, P.U.F., 1971.
4. Lafont (Robert-), Vocabulaire de psychopédagogie et de psychiatrie de l'enfant, Paris, P.U.F.
5. Medici (Angela-) L'Education nouvelle, Paris, P.U.F., 1972.
6. Mollo, l'Ecole dans la société, Paris, Dunod, 1970.
7. Reboul, La philosophie de l'Education, Paris, P.U.F., 1970.
8. Thomas (Raymond), L'Education physique, Paris, P.U.F., 1970.
9. Van Quang (Jean-Pierre-), Sciences et techniques de l'éducation, Paris, Casterman, 1974.

(*) لم نذكر هنا سوى الكتب المتعلقة بالتربية والتعليم، ولم نُكثِر.

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة